

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه
مشروع: الأدب العربي في ضوء الدراسات الاستشراقية

الموسومة
الدراسات الاستشراقية واللغة العربية
صراع بين الفصحى والعامية

إعداد الطالبة: بوسطة فتية

لجنة المناقشة:

أ.د/ فرعون بخالد	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د/ الأحمر الحاج	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
د/ مولاي حورية	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د/ الزين فتية	المركز الجامعي عين تموشنت	عضوا مناقشا
د/ بن معمر بوخزة	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د/ فريحي مليكة	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا

السنة الجامعية

1437هـ / 1438هـ - 2016م / 2017م

-

-

-

-

-

-

الاستشراق ظاهرة فكرية أدت دورا خطيرا في ساحة اللغة العربيّة، وتركت آثارا سلبية كثيرة، ظهرت بصماتها واضحة في المجتمعات العربية الإسلامية، فهو المسؤول الأوّل عن الغزو الفكري المتواصل للثقافة الإسلامية.

والموضوع كما يتضح من عنوانه يتناول نواح عدّة، بدءا بأهمية اللغة العربية والتي تكمن في ارتباطها الوثيق بالدين الإسلامي وبالقرآن الكريم، حيث اصطفى المولى العزيز هذه اللغة من بين جميع اللغات لتكون لغة كتابه العظيم ورسوله الكريم، فكانت الركن الثابت الأصيل للشخصية العربية الإسلامية، ووصولاً إلى حركة التغلغل الاستشراقيّ في اللغة العربية، وتتبع أثره فيها وأهلها، حيث اتّضح أنّ جل المشاكل التي ظهرت في هذا الميدان لم تكن إلا نتيجة لأثر الفكر الاستشراقي فيها.

وحاولت ما أمكنني أن أُلِمَّ بجوانب البحث منذ بداياته الأولى، وأن أقف على كثير من الحقائق المتعلّقة به، كما سيتبيّن ذلك من خلال هذه الدراسة.

فالمشكلة قديمة متجدّدة لا تزال نعاني من تبعاتها وأمّا البواعث التي حدثت بي إلى اختيار هذا الموضوع للبحث فعديدة، ذاتية وموضوعية:

فاللغة العربية هي الرّحم الواصلة بين المسلمين لأنّها لغة القرآن الكريم نَمِيلُ إليها وبكلّ ما يتصلّ بها، إيماناً بجزيل عطائها وعظيم فضائلها. وهي تواجه الآن مشكلات عميقة عمق وجودنا العربيّ بسبب ارتباطها بالدين الإسلاميّ، فتكالبت عليها الأعداء، وتعاقبت عليها التّكبات، حتّى أنّ الدّاء أصاب أهلها، من جاهل بها، ومتربّص بها، وآخر يحاول جاهدا أن يصلح ما يمكن



إصلاحه، والواجب يحتم علينا فعل شيء لمواجهة هذا القلق العميق الذي ينتاب العربي الغيور على دينه ولغته، والمشغول بصناعة فكره وثقافته.

وتتمحور المشكلة البحثية لهذا البحث حول التوصيف الدقيق لطبيعة العلاقة القائمة بين اللغة العربية الفصحى، واللغة العامية، وكيف تمكن المستشرقون من جعلها بؤرة توتر وصراع شديدين وزرعوا الفتنة بين أهلها حتى يدبّ في فيها الوهن .

فقد بدأ الهجوم على اللغة العربية الفصحى من طرف الفكر الاستشراقي الذي لا يخدم إلا أغراضه وغاياته، وغالبا ما يخضع للحركات التنصيرية والاستعمارية، فرأيت لزاما أن أدرس هذا الموضوع للتعرف على مكامن الخطر، وكشف منافذ الرّيبة، للدّفاع عمّا نتمسك به جميعا من قيم دينية وفكرية وخلقية وقومية، ووجدت بأنّ الاستشراق جانب الصّواب في كثير من اتّجاهاته وبحوث ونظرياته.

والحقيقة أنّ كثيرا من أدبائنا ومفكر يبلّغوا على أيدي المستشرقين، وتأثروا بهم، فنقلوا إلينا أفكارهم وآراءهم ونظرياتهم، ورأيت أنّ الواجب يقتضي إبراز هذا التأثير وذاك التأثير في الفكر العربي في لغته العربية.

والمنهج الذي اتّبعته هو المنهج التاريخي التحليلي، بيّنت هذا كلّ خلال البحث الذي جعلته مشتملا على: مقدّمة، مدخل، ثلاثة فصول، وخاتمة.

أمّا المقدّمة، فتناولت فيها عناصر هذا البحث وقيمه بإيجاز شديد.

وأما الفصل الأوّل وعنوانه «مكانة اللغة العربيّة في وسطها التّداولي»، بحيث تحدّث فيه عن تجليات اللغة على الفرد والمجتمع، وأعقبته الحديث عن قيمة اللغة في العصر الجاهلي ثمّ دخول الإسلام وأثر القرآن الكريم فيها من المنظورين: منظور الثقافة العربية الإسلامية والمنظور الاستشراقي، ثمّ عرّجت على أهمّ خصائص اللغة العربيّة وختمت بمكانتها أيضا من المنظورين العربيّ

والاستشراقيّ، وحاولت ما أمكنني أن أبين العلاقة الوطيدة واللازمة بين اللّغة العربيّة والوحدة الإسلاميّة، كما بيّنت وعي المستشرقين لهذا الأمر مستشهدة بأقوالهم في ذلك.

وبحثت في الفصل الثاني وعنوانه «طبيعة الفهم الاستشراقيّ للغة العربيّة» عن مفهوم الاستشراق ونشأته متعرّضة لنظرته إلى اللّغة العربيّة، ثمّ بحثت في أهمّ الدّواعي التي أدّت بالمستشرقين إلى الاهتمام باللّغة العربيّة مركزة في دراستي على الدّواعي: الحضارية، العلميّة، التّصويريّة، وختمته بالدّاعي الاستعماريّ الذي درست فيه الوضع في الجزائر - كأنموذج ١ - كما تناولت أهمّ المعارك التي قام بها الفكر الاستشراقيّ ضدّ اللّغة العربيّة التي اتّهمها بالتّخلف والجمود، كان أهمّها: الدّعوة إلى العاميّة، صعوبة النّحو، مزاعم إصلاح الخط العربيّ، مع بيان أبرز الرّواد المستشرقين الذين قادوا هذه المعارك، ثمّ تعرضت لأساليب أخرى استخدمت لنفس الغرض على نحو المجالات (مجلة الشرق، مجلة المقتضب). ثمّ تحدّثت عن تناول المستشرقين لترجمة معاني القرآن الكريم، أساليبهم وأهدافهم.

وأما الفصل الثالث والمعنون بـ «آثار الحركة الاستشراقيّة وأبعادها»، حيث تناولت تأثير الأفكار المستشرقين على بعض المفكرين العرب، وكيف استعمل الاستشراق أبناء العرب لضرب بعضهم ببعض وقد بيّنت فيه أيضا وعي البعض الآخر، ثمّ بحثت في نفوذ المستشرقين إلى الجامعات اللّغوية بما فيهم المناهضين للإسلام علنا، مركزة دراستي على الجمع العلمي بدمشق، الجمع المصري بالقاهرة، الجمع العلمي العراقي، وختمته بأبعاد الحركة الاستشراقيّة على اللّغة العربيّة التي وجدناها دائما تناصب العداء للعربيّة الفصحى كونها لغة القرآن الكريم لسان الوحي الإلهي ومؤكّدة على أنّ العالم العربي الإسلامي ظل مركز الصّراع العالميّ منذ أن اندفع العرب بإسلامهم إلى خارج جزيرتهم وحتى وقتنا هذا وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأما الخاتمة فعرّجت فيها بإبراز أهمّ النتائج التي توصلت إليها.

والمصادر التي اخترتها لإعداد هذا البحث تربو على أكثر من (185) مرجعا حسب الطّبيعة التي فرضت نفسها على البحث.

وقد تحدّيت مختلف المتاعب والعوائق التي واجهتني للوصول إلى الحقائق، ساعية ما أمكنني إلى خدمة الإسلام وكتابه ولغته المجيدة.

أخيرا، لا يسعني إلّا أن أدعو بالخير والرضوان من المولى العليّ الحميد لكلّ من أهدى لي نصحا، أو دعا لي بالخير والفلاح في ظهر الغيب، وأسأل الله الكريم أن يجعل هذه الدّراسة خالصة لوجهه الكريم، وأن تكون لنا في الدّنيا نافعة، ويوم القيامة شافعة، وإلى اللجنة دافعة ولدرجاتنا رافعة، إنّّه ولي ذلك والقادر عليه.



لا غرو في أن اللغة أرقى قنوات التّواصل بين النّاس، فهي الصّورة المسموعة أو المقروءة التي تجيش في صدورنا وتعشش في عقولنا وتنبض بها قلوبنا، لأنّها تحتل مكانة خاصّة في تكوين الشخصية الإنسانيّة بكل ما تحتويه من مظاهر الوحدة والهوية التي تبني المجتمعات وتساعد على ترابط واستمرار الأمم عبر العصور بما تحمله من مبادئ وثقافات، فـ «اللغة هي المظهر الحسيّ للناحية الرّوحية للنّاس، وهي القوّة التي تؤثّر في أنماط تفكيرهم»¹.

واللغة العربيّة بالذات سجل أمين لتراثنا وتاريخنا وآفاق تطلعاتنا، والحصن الحصين لكتاب ربّنا العليم الحكيم وسنة نبينا سيد الخلق أجمعين، تتفرّد بكونها لا تقبل الخضوع للتغيير أو التبديل دون غيرها من اللغات، لارتباطها بالقرآن الكريم ذلك الكتاب المقدّس المبين الذي قال عنه المولى الجليل: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مِّثْقَانِي نَقْشَعُرٍ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ

وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ الزمر: ٢٣

رفع شأنها وأعلى قدرها وسما بها إلى أرفع الدّرجات فكانت وعاء الوحي الإلهيّ، منها انبثقت العلوم والمعارف فامتطى الخير ركابه وانبجج النّور، وانطلق الفكر، وفكّ الزمان قيوده، واخضوضرت الأرض بفيض عطائها وطيب عبقها، فبلسانها الطاهر جاءت البشارة العظمى — نزول القرآن — فانبعث منها قبس من نور خاتم الأنبياء والرّسل فأنازل فحمة الدّجى، وأضاء الكون بنور الله في شريعة سمحة.

1- عميرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات العربيّة، دار حنين، عمان، ط.02، 1992، ص 16.

تلك اللغة التي جمعت كل العناصر الجوهرية لعالمية الشخصية العربية الإسلامية والأبعاد الكامنة فيها واللامتناهية من قيم الحق والخير والجمال والعبقرية الخالدة في صفحات المستقبل من تاريخ أمتنا المجيدة، فكانت البصمة المتميزة في انتفاع شعوب عدّة من خارج الحدود الإسلامية. عرف المستشرقون قيمة اللغة في حياة الشعوب والأوطان وأجمعوا على أهميتها لأنهم خبروا آثارها في مسيرة البشر الحضارية فاستثمروها كسلاح خفيّ هادئ فديدهم هو خلق الفوضى والخلخلة في ثقافة وأصول الانسان العربيّ، وعن هذه الحركة الاستشراقية يتحدّث "المعالقي": "أدركت - الحركة الاستشراقية - أهمية تقطيع أوصال العرب وتمزيق وحدتهم وأيقنت استحالة تحقيق هذه الغاية مادام الرابط اللغويّ يجمع بين أبناء الضاد وما بقيت اللغة العربية واحدة وحرفها الموحد يصل بلادهم بتراتها الماضي ، يشدّ أواصرها ، ويوثق عضدها ، ويضفي عليها هالة من القوة والتّجدد"¹ فلا غرابة في أن يعكف أعداء الإسلام في كل العصور على هدف واحد وهو محاربة اللغة العربية فحيكت ضدها المؤامرات بنشوب حرب ضروس مستمرة.

هي حرب فكرية تحاول طمس معالم هذه اللغة، وتشويه صورتها والقضاء عليها بكل الأساليب، فجندت الأقلام، وسال الكثير من الحبر، إنّه غزو فكريّ، يستهدف هوية الإنسان، وروحه النابض وعقله الرّاجح، وتاريخه الأصيل المتأصل، فإذا كان الغزو المسلّح يترك آثارا واضحة من خراب ودمار، فما بالك بالغزو الفكريّ الذي يرمي إلى تحطيم القيم ومسح المبادئ فالسبيل الوحيد إذن هو «بليلة العقل العربي وتشكيكه في نفسه، وإلا تحطيم الرّابطة الأولى والأخيرة في

1- معالقي، منذر، الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، ط.1، 1418هـ/1997م، ص.41.

حياة العرب، وهي اللغة بتمزيقها إلى لغات»¹ فَيُتْرَكُ العربي إنسانا دون شخصية أو هوية، إنسانا تائها ضعيفا، مترددا، مهزوزا، مهزوما لا ملمح له ولا مَعْلَمٌ، فهو بذلك شبه إنسان، مسروق الروح والوجدان، غريب في وطنه بين أهله، لا يدرك كنهه ولا مبتغاه، فإذا كانت حرب السّلاح تستدعي تكثيف الضّربات وتقدّم الجيوش لإحراز النّصر، فإنّ حرب الكلمة - الفكر - تعمل على ضربات خفيفة رقيقة في ظاهرها، قاسية وخيمة في حقيقتها.

علما أنّهم يدركون أنّ الثروة الحقيقية للأمة هو الإنسان فيعمدون بكل ما لديهم إلى تحطيمه، ومن ثمّ فإنّ الواجب يحتم علينا أن نكتم بهذه النعمة التي حباها الله إياها، برعايتها والمحافظة عليها والتشبهت بها، وذلك بتوظيفها في جميع المجالات والاعتزاز والفخر بها، والتنبه دائما لأيّ خطر يتهدّد بها، بل لأيّ شائبة انحراف تشوبها حتى تظل على الدوام من أخلد الصّفحات كنوزا لا تفنى، وحياة ونضارة تبقى، يشيخ الزّمان ولا تشيخ، وتطوى الأيام والدّهور، وهي ماثلة في الصّدور وفي السّطور.

1- محمود شاكر، أباطيل وأسمار، ج(1-2) في مجلد واحد، مكتبة الخانجي، ط.3، 2005، ص 121

»

«

2907

المبحث الأول: تجليات اللغة على الفرد والمجتمع

أولاً: أهمية اللغة:

تعريف اللغة:

أ لغة: اللّسن، وحدّها أنّها «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»، وهي فُعْلَةٌ، من لَعَوْتُ، أي تكلمت، أصلها لُعُوَّة كَكُرَّة، وقيل أصلها: لُغى أو لَعُو، والهاء عوض، وجمعها لُغى مثل: بُرة وُبُرَى، وفي المحكم: الجمع لغات ولغون، وبالنسبة إليها لغون، والنسبة إليها لغويٌّ، وقال أبو سعيد: «إذا أردت أن تنتفع بالإعراب فاستلغهم، أي اسمع من لغاتهم من غير مسألة»¹.

ب اصطلاحاً: «قدرة ذهنية مكتسبة يمثّلها نسق يتكوّن من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما»². فاللغة بهذا المفهوم (تعدّ):

1 قدرة ذهنية تتكوّن من مجموع المعارف اللغويّة، تتولّد وتنمو لدى كلّ فرد، وتمثّل صلة الوصل بين فكره وأفكار مجتمعه.

2 هذه القدرة مكتسبة، نابعة من شعور الإنسان بانتمائه لمجتمعه نفسياً واجتماعياً وثقافياً، ورغبته في التعايش والتّواصل معه كونه لا يستطيع أن يعيش بعيداً منعزلاً عمّا يحدث حوله.

3 أداة للتّواصل بين أفراد مجتمع معيّن تستقيم بها حياتهم، وتسير بها أمورهم، وتقضى حوائجهم المختلفة.

1- ينظر، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، تح: خالد رشيد، لسان العرب، دار الصبح، ج12، بيروت، لبنان، ط، 01، 2006/1427م، ص290.

2- المتروك أحمد محمد، الخصلة اللغوية، أهمّيّتها، مصادرها، وسائل تنميتها، عالم المعرفة، د. ط. ص. 29.

أهمية اللغة:

تعدّ اللغة* أهمّ مظهر من مظاهر السلوك الإنسانيّ، وهي تمثّل أساس الحياة الاجتماعية، فهي الوسيلة الأنجح لدى الفرد للتعبير عن أفكاره، وآرائه وأحاسيسه، وبالتالي فهي حاجة ملحة يسعى إليها الإنسان لاكتسابها ذلك أنّه مهما بلغ «ما يحصله الإنسان من مظاهر حضارية من علوم ومعارف وطرق ووسائل مادية، فإنّه يشعر في قرارة نفسه بأنّه يعتمد اعتمادا كليّا على ما لديه من قدرة لغوية لتحقيق مآربه»¹ فاللغة إذن تقرّب الأفكار، وتذيب الفوارق الثقافية، وتعكس روح الودّ والتّفاهم، وترسم صورة حقيقية لحياة الآخر.

اللغة، المجتمع، الهوية:

اللغة والمجتمع: ممّا لا شكّ فيه أنّ اللغة باتت تشغل مكانة لها أثرها العميق في الحياة الاجتماعية فهي تعمل بصفة خاصّة من أجل فهم القضايا ذات الاعتبار الاجتماعية فدراسة اللغة ليست لأنّها بنية مستقلة تمثّل مجرد نظام من الجمل، بل بوصفها خطابا بكونها حدثا بعيد المدى، يقول فنديريس (Vendryes): «في أحضان المجتمع تكوّنت اللغة، ووجدت يوم أحسنّ الناس بالحاجة إلى التفاهم بينهم، وتنشأ من احتكاك بعض الأشخاص، الذين يملكون أعضاء الحواس، ويستعملون في علاقاتهم، الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرّفاتهم، الإشارة إذا

* هناك أنواع من اللغة: لغة الكلام، لغة الإشارة، لغة العيون، لغة الحيوان... وفي هذا البحث نركّز على لغة الكلام .

1- المعتوق، أحمد محمّد، الحصيلة اللغوية، ص 31.

أعوزهم الكلمة، والنظرة إذا لم تكف الإشارة»¹. فاللغة نشاط اجتماعي ناتج عن حاجة التواصل بين أفراد المجتمع، تفرض ألوانا معينة من السلوك والتفكير والعواطف وتسجل بدقة حضارة المجتمع ونظمه وعقائده، واتجاهاته الفكرية والثقافية والعلمية...إلخ.

ويؤكد الباحثون في علم اللغة على الارتباط الشديد بين اللغة والمجتمع ذلك ل: «أن وجود اللغة يشترط وجود مجتمع، فليس هناك نظام لغوي يمكن أن يوجد منفصلا عن جماعة إنسانية تستخدمه، وتتعامل به»² ويرى جان بياجيه (Jean Piaget) «أن اللغة مؤسسة اجتماعية تحكمها نوااميس مفروضة على الأفراد»³ ومن ثم فإن اللغة عنصر مهم في تكوين المجتمع وبنائه، وتوجيه مساره.

ولعل وجود أي أمة من الأمم مرتبط بوجود شخصيتها المرتسمة في لغتها، يرى الألماني فيخته **j.G.Fichte** أستاذ الفلسفة بجامعة برلين أن أصالة اللغة تمثل: «رمز وجود الأمة، وبقدر أصالة اللغة والمحافظة على اللغة الأصلية أو فقدتها تكون المجموعة البشرية أمة وشعبا أصيلا أو مجرد أشتات فحسب»⁴. لذا فإن اللغة تكون المجتمع وتحافظ على تماسكه وترابطه حتى يكون كلاً مترابلاً، وتعكس صدى روحه، تؤثر في تصورات، وتصبغ عليها المعاني، فينطبع بطبعها ويتشكل بشكلها، ويتميز بها عن غيره.

1- فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، القاهرة، 1950م، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، ص 35.

2- لطيمات غازي مختار، في علم اللغة، دار طلاس، ط.2، 2000، ص 22.

3- المرجع نفسه، ص 22.

4- قاسم مولود، اللغة و الشخصية في حياة الأمم، مجلة الأصالة، قسنطينة، العدد: (17-18)، 1394هـ/1974م، ص 51.

وأيا كانت اللغة فهي عارمة تتدفق تلقائياً، فتؤثر على الإنسان المتحدّث بها تأثيراً مباشراً
فعلاً بما تشحنه من طاقة كامنة، وذلك لارتباطها بالفكر الإنساني، ذلك أنّ حياة كلّ أمة مرتبطة
بحياة لغتها ارتباطاً وثيقاً لا مناص منه، كما يعبر عن ذلك هردر الألماني (Herder)، بقوله: «لغة
الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، ولكن
قلب الشعب ينبض للترابط في لغته، وروحه يكمن في لغة الآباء والأجداد»¹. فاللغة عامل مهم
للترابط بين الأجيال، ووسيلة الانتقال للثقافات بين العصور.

وتؤثر اللغة في الأمة المتحدّثة بها تأثيراً لا حدّ له يمتدّ إلى تفكيرها، وإرادتها، وتصوّراتها، وإلى
أعماق أعماقها، حتى تصبح تصرفاتها جميعها مرتبطة بهذا التأثير، متكيفة معه، وهذا ما أشار إليه
الفيلسوف الألماني هيدجر (Heidegger) حين قال: «إنّ لغتي هي مسكني، هي موطني
ومستقرّي، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها، وبعيونها أنظر إلى بقية أرجاء
الكون الفسيح»²، ويضيف: «حيث توجد اللغة يوجد عالم، ولما كان التاريخ لا يصير ممكناً في
عالم، اقتضى ذلك أنّه حيث توجد اللغة يوجد التاريخ»³، إذن فللغة سلطان يهيمن على تفكير
الإنسان ويحدّد سلوكاته، فهي مرآة المجتمع تكشف عن طبيعته وسماته الحضارية وهي تلعب الدور
الأكبر في استقبال الأفكار واستيعابها والتعبير عنها.

1- السيد محمود، التمكن للغة العربية: آفاق وحلول، مجلّة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 83، ج.2، ص.302.

2- السيد محمود، التمكن للغة العربية، ص.302.

3- المرجع نفسه، ص.303.

وتتأثر اللغة بالمجتمع وأفكاره فيشكلها ويصبغها بصبغته ليخرج إلى النور جوهرها وتفيض لنا حقيقتها و«تتأثر اللغة أيما تأثر بحضارة الأمة، ونظمها، وتقاليدها، وعقائدها، واتجاهاتها العقلية، ودرجة ثقافتها، ونظرتها إلى الحياة، وشؤونها الاجتماعية العامة... وما إلى ذلك. فكل تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صدها في أداة التعبير، ولذلك تعدّ اللغات أصدق سجلّ لتاريخ الشعوب»¹ فالتوسع الحضارة أيّة أمة ورقّيها وتطورها يؤدي إلى اتّساع لغتها وسمو أساليبها ومعانيها «وانتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يهذب لغتها، ويسمو بأساليبها ويوسع نطاقها، ويزيل ما عسى أن يكون بها من خشونة»²، تماما كما حدث مع اللغة العربية، فانتقال العرب من الجاهلية إلى الإسلام فحضر بلغتهم، وصقلها ووسّع مداركها، وارتقى بها حتى صارت تلامس عنان السّماء، فقد جعل منها لغة عالمية حملها رسالة الإسلام.

وهكذا فإنّ اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي تسجّل بها الأمة علومها، وتدوّن آدابها، وتكتب تاريخها، وتستوعب نتائج عقول أبنائها، فهي بذلك ألزم لوازم الأمة: «فإنّ كانت الأمة جسما، فاللغة الرّوح، أو شمسا، فاللغة الشعاع»³، فاللغة عصب الأمة، ووعاء فكرها، تحفظه وتعبر عنه وترقى به، هي المرآة العاكسة لتقدّم وتطور أهلها أو العكس.

واللغة مقومّ أساسي ترتكز عليه الأمم لتقوى وحدتها وتضمن بقاها على نحو ما حدث للدولة الألمانية التي ظلّت موحّدة رغم تمزيقها جغرافيا إلى دولتين بعد الحرب العالمية الثانية: «وإنّ

1- وافي، علي عبد الواحد، اللغة والمجتمع، دار عكاظ، ط4، 1403هـ / 1983م، ص. 13 .

2- المرجع نفسه، ص نفسها.

3- الأبراشي، محمد عطية، لغة العرب وكيف نهض بها، دار الكتاب العربي، مصر، ط. 1، 1366هـ / 1947م، ص. 06.

المحك الحقيقيّ لفاعلية أي عنصر من عناصر الانتماء القوميّ لدى المجتمع سواء كان في اللغة أو الدين أو المشيئة أو المصلحة الاقتصادية، يتمثل في مدى قدرته على الرّبط بين أفراد المجتمع ومدى مقاومته وتعرّضه للتّحلّل أو الذّوبان في مجتمع آخر أقوى منه ثقافة أو عدداً¹، مع العلم أنّ المجتمعات القومية ما تنفكّ تواجه تيارات عديدة تستهدف إذابتها بوسائل شتى في وقتنا المعاصر.

اللغة والهوية:

وتمثّل اللغة هوية الأمّة، وأعظم مقوّمات وجودها، ووطنها الرّوحي، فمكانة الأمّة من مكانة لغتها فهي «تابعة لأحوال الاجتماع في البسط والقبض وما يتقلّب عليه ويحدث فيه، بحيث لا تخرج عن أن تكون مرآة تظهره كما هو في نفسه مهما تنوعت أشكاله، واختلفت أزياءه، كان لا بدّ أن تتغيّر بحسبه مادامت مستعملة فيه»² وهي ترتبط بالتفكير ارتباطاً وثيقاً، لأنّ أفكار الإنسان تصاغ دوماً في قالب لغويّ، فهما وجهان لعملة واحدة.

اللغة وسيلة فكر وتواصل وترجمان لكلّ ما يجول في خواطر الإنسان وخلده، من أحاسيس وأفكار وهواجس، تعبّر عن مكنوناته، وتلازمه مدى حياته، إنّها كما يقول الفيلسوف نيتشه (Nietzsche) «تلازم الفرد في حياته، وتمتدّ إلى أعماق كيانه، وتبلغ إلى أخفى رغباته وخطراته، إنّها تجعل من الأمّة الناطقة بها كلّاً مُتراصّاً خاضعاً لقوانين، إنّها الرابطة الحقيقية الوحيدة

1- أحمد بن نعمان، مصير وحدة الجزائر بين أمانة الشّهداء وخيانة الخفراء!، شركة دار الأمّة، ط.1، 2005، ص.163.

2- الرّافعيّ، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، ج.1، ط.1، ص.52.

بين عالم الأجسام، وعالم الأذهان»¹، فهوية أُمَّة هي صفاتها التي تميّزها عن باقي الأمم لتعبّر عن شخصيتها الحضارية وتقوم على ثلاثة عناصر مهمّة: «العقيدة، اللسان، والتراث الثقافي»².

وتتماهى اللغة والهوية حتى يكادان يصبحان شيئاً واحداً وفقاً لقول **فون در جابلنتس**

(Von der Gabelents) ف: «الإنسان لا يستخدم اللغة، للتعبير عن الشيء فحسب، بل للتعبير عن نفسه أيضاً»³، فالإنسان في جوهره لغة وهوية، لغته يمثّلها لسانه الناطق بها، وهويته التي تمثّل انتماءه ومعتقداته، وكأنّ لسان الحال يقول: قل لي ما لغتك، أقول لك من أنت.

أمّا البشير الإبراهيمي، فيربط وجود الأمة وقوّتها ببقاء لسانها وقوّته، فيقول: «وإنّ اللغة هي المقوّم الأكبر من مقوّمات الاجتماع البشريّ، وما من أمة أضاعت لغتها إلّا وأضاعت وجودها، واستتبع ضياع اللغة ضياع المقوّمات الأخرى»⁴ ثمّ يُضيف «وكل من بقاء الحضارة وانتشارها يتوقف على ما في اللغة من قوة وحياة واتّساع، فاللغة من الحضارة جزء لا كالأجزاء، كاللسان من البدن عضو لا كالأعضاء»⁵، فلولا اللغات لما تمايزت الحضارات فهي المعبرة عن كنهها، والكاشفة لأسرارها، المدوّنة لحقائقها، الرافعة لشأنها.

واستوفى الرّافعي ملاك كلّ ما سبق حين قال: «إنّما اللغة مظهر من مظاهر التاريخ، والتاريخ صفة الأُمَّة، والأُمَّة تكاد تكون صفة لغتها لأنّها حاجتها الطبيعية التي لا تنفك عنها ولا قوام لها

1- أمين عثمان، فلسفة اللغة العربية، محاضرات للتعرف على الفكر الإسلاميّ، قسنطينة، العدد 4، 1390 هـ/1970م، ص 88.

2- ينظر، ابن سعيد، موسى، اللغة العربية بين الحفاظ على الهوية ومواكبة عصر العولمة، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، ص 03.

3- عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الخانجي، ط.3، 1417 هـ / 1997 م. ص 137..

4- الإبراهيمي، أحمد طالب، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ج1، (1929-1940)، ط.1، 1997، ص 134.

5- المرجع نفسه، ص 375.

بغيرها، فكيفما قلبت أمر اللغة من حيث اتّصالها بتاريخ الأمة، واتّصال الأمة بها وجدتها الصّفق الثابتة التي لا تزول إلّا بزوال الجنسيّة وانسلاخ الأمة من تاريخها واشتمالها جلدة أمة أخرى»¹.
ومهما يكن فلا يمكن لنا في حال من الأحوال أن نفصل بين اللغة والهوية والمجتمع، فالكلّ يصبّ في بوتقة واحدة.

اللغة ومحافظةها على التراث الاجتماعي والثقافي المشترك:

يشكّل توطّد العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجموعة الواحدة رصيداً ثقافياً، وتراثاً مشتركاً لا بدّ من حفظه ونقله من جيل إلى جيل حتى يضمن المجتمع استمراره وديمومته التاريخية، ولن يتأتّى له ذلك إلّا باللغة لأنّها «تقوم بدورها في المحافظة على التراث الاجتماعي والثقافي المشترك»².
كيف لا ونحن لا نستطيع أن نتعرف على شخصية ما، أو تاريخ منطقة، أو ... إلّا إذا توجّهنا مباشرة إلى ما هو محفوظ في الكتب أو مخزون في ذاكرة البعض.

ولأنّ اللغة ليست فقط «مقومًا من مقومات أيّ مجتمع بشري فحسب، بل هي أيضاً مظهر من مظاهر حضارته أي أنّها العصب النابض لكل نشاط اجتماعي أو مفهوم حضاري ولا يمكن الحصول على معلومات موثوق بها عن السمات المميّزة التي تتسمّ بها العلاقات الاجتماعية والمفاهيم الحضارية التي يتّصف بها المجتمع المعاصر إلّا عن طريق اللغة»³، فهي إذن - اللغة -

1- الرفاعي، مصطفى صادق، تحت راية القرآن- المعركة بين القديم والجديد- المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1423هـ/2002م، ص 39/38.

2- الصيّادي، محمد منحي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 391.

3- روى، سي. هجمان، اللغة والحياة والطبيعة البشرية، ترجمة وتقدم: داوود أحمد السيد، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000، ص 26.

حاملة لثقافة المجتمع وحضارته مكتوبة كانت أو شفوية، ومن خلالها تحفظ الأمم ميراثها من

الثقافات والمعارف، وأي معنى للمجتمع دون هذا الموروث الحضاري المشترك؟

ومن ثمّ فإنّ قيمة اللغة تكمن في تمسّك أهلها بها، وفخرهم واعتزازهم بها، ورواجها بينهم،

وتداولها على ألسنتهم، و ثقتهم بها في حمل أفكارهم ومعتقداتهم وأنها عنوان أصالتهم، وجوهر

وجودهم، وتفعيل ملكتها، واستعمالهم لها في كلّ شؤون حياتهم.

المبحث الثاني: اللغة العربيّة في البيئة الجاهلية

اللغة العربيّة هي إحدى اللغات السّامية¹ المشهورة والباقية إلى يومنا هذا، وهي لغة الجنس العربيّ، وكغيرها من اللغات مرّت العربية بعدّة أدوار كونها كائن حيّ ينجو ويتطوّر.

وإذا كانت لكل أمة ميزة حباها الله بها فمنحة العرب اللسان، أداة الكلمة التي كان لها الأثر العميق في حياتهم فقد عاشوا بها ولها، ولا يزالون يسجّلون بها كلّ مواقفهم وتاريخهم، لـ: «أنّ كلّ أمة تعتمد في استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضّروب وشكل من الأشكال، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشّعْر الموزون والكلام المقفّى وهو ديوانها... ثمّ إنّ العرب أحبّت أن تشارك العجم في البناء وتنفرد بالشّعْر فبنوا غمدان وكعبة نجران إلخ»²، ومن ثمّ كان للأدب العربيّ شعرا أو نثرا - من خطب ووصايا - لغة تفهمها جميع القبائل العربية، وهذه اللغة أقرب ما تكون إلى لغة قريش.

أخذ العرب لغتهم بالسّليقة، فملكة اللغة سجيّة عندهم دون تكلف أو تصنّع لما امتازوا به من فصاحة وبيان لقول الجاحظ: «وكل شيء للعرب فإثما هو بديهة وارتهال، وكأنّه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجمالة فكرة ولا استعانة، وإثما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام... عند المقارعة أو المناقلة أو عند صراع أو في حرب، فما هو إلّا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب و إلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالا (أفواجا) وتنثال عليه الألفاظ انشبالا...»

1- اللغات السّامية في نظر الباحثين هي: العربية، الآشورية، البابلية، الفينيقية، العبريّة، الحبشية.

2- الرّافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج3، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط.1، 1421هـ/2000م، ص12.

وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم أقدر، وله أقهر، وكل واحد في نفسه أنطق ومكانه من البيان أرفع، وخطبائهم للكلام أوجد، والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر.. من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب»¹.

ولع العرب بلغتهم فبرعوا فيها و تفتنوا في نقل أفكارهم وأحاسيسهم فأقاموا لها الأسواق والمحافل يتنافسون فيما بينهم ميرزين مواهبهم وقدراتهم في نظم الشعر وإلقاء الخطب، حيث: «أنشأ العرب أسواقا عامة يتعارفون فيها و يتحابون، فلم تكن هذه الأسواق في عكاظ ومجنة وذو المجاز سوى مؤتمرات للشعر في الحقيقة خالية من التحكم على النفوس، ولا شيء أروع من تلك الأسواق على ما يسودها من البساطة فقد كانت تشابه الألعاب الأولمبية... وقصائد الشعراء إذا ما قبلتها مؤتمرات عكاظ بقبول حسن، كتبت بحروف من ذهب على نُسجٍ ثينة وعلقت في الكعبة لتحفظ للحفدة...»² وأشهر هذه الأسواق "سوق عكاظ" التي كانت قبلة لقبائل العرب كلها، يتناشدون ويتحاجون فيها، فهو مشهد كل القبائل، ذلك أن كل شريف يحضر سوق ناحيته، إلا عكاظ فإنهم يتوافدون إليها من كل جهة، فيلقي الشاعر الفحل بقصيدته والخطيب المصقع بكلمته والكل يفصح عما جارت به قريحته، في تمجيد قومه والتذكير بمآثرهم، والإشادة بوقائعهم وأيامهم والفخر بسجايهم، ف"عكاظ" مفخرة من مفاخر العرب في الجاهلية.

1- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان و التبيين، تح. عبد السلام هارون، ج3، ط. 07، 1418هـ/1998م، ص28.

2- خفاجي، محمد عبد المنعم، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ط. 1، 1412هـ/1992م، ص108.

وقد ذكره شاعر الرسول ﷺ "حسن بن ثابت الأنصاري" في معرض التفاخر حيث قال:

سَأَنْشُرُ إِنْ بَقِيتُ لَكُمْ كَلَامًا .: يُنْشَرُ فِي الْمَجَامِعِ مِنْ عُكَاظٍ¹

ومن ثمّ كان هذا السوق بمثابة المجمع اللغوي في ذلك الزمن.

ويتوخى كلّ الشعراء والخطباء اختيار الألفاظ والأساليب المعروفة ليفهمه الحاضرون، فيذاع صيته حتى أنّه قد ضُرِبَتْ فيه قَبَّةٌ "للنابغة الذبياني"، فيتحاكم إليه الشعراء، ومُنْ أنشده فيها الأعشى والخنساء، وقد أبدع الشعراء في نظم أشعارهم، فكانت المعلقة تلك القصائد الطويلة التي أهرت الناس، فقليل عنها أنّها سميت كذلك لأنّها كتبت بماء الذهب وعلقت بأستار الكعبة، ومن شعراء المعلقة: عنتر بن أبي شدّاد، امرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى.

وأهمّ ما يلاحظ على الشعر الجاهليّ أنّه كامل الصياغة تستوفي عباراته أداء مدلولها ما يصوّر رُقياً لغوياً، يقول كارل بروكلمان* (Carl Brockelmann): «استوعبت لغة الشعر هذه كلّ خصائص الأصل اللّغوي السّامي أكمل استيعاب، وإن لم تحتفظ في جميع نواحيها بأقدم الصّيغ والقوالب، ولم تضارعها لغة من نسبها السّامي في مرونتها ودقّتها في التعبير عن العلاقات التركيبيّة، وهي مع واقعيتها التّامة في وصف الأشياء تتأجّج بروحانية تمكّنها من التعبير عن أرقّ أحاسيس الحبّ، وكذلك عن أقوى خوالج الشّعور بكرامة الرّجولة»²، فالشعر العربيّ في العصر

1- حسن بن ثابت، ديوان، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.2، 1414هـ/1994م، ص 147.

*- كارل بروكلمان Carl Brockelmann: (1868 - 1956) تخرج في اللغات السّامية على أعلام مستشرقين بلده مثل: نولدكه، وأ. فيشر، عين أستاذ للعربية، والسّاميات والتاريخ الإسلامي، انتخب عضواً في مجامع لغوية عالمية وعربية، أشهر ملفاته المترجمة للعربية: تاريخ الأدب العربي، تاريخ الشعوب الإسلامية، فقه اللغات السّامية. تنظر: موسوعة المستشرقين ص 98-105

2- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله: التجار عبد الحليم، ج.1، دار المعارف، القاهرة، ط.5، ص.43.

الجاهلي مظهر من مظاهر حياة العرب، ومرآة صادقة لأخلاقهم، يصوّر الشّمائل العربية الأصلية، كالشرف والكرم والشّهامة والفروسية والشجاعة.

كما ازدهرت الخطابة متناولة أغراضا مختلفة، ومن أشهر الخطباء: عمرو بن معدي كرب الزبيدي، وعمرو بن كلثوم التغلبي وغيرهم وقد روي أن قس بن ساعدة يجمع بين الجزالة و الرقة وقوة التأثير ومن أهم خطبه: «أيّها الناس اسمعوا وعوا، إنّ من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهّر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراه. إنّ في السّماء خيرا، وإنّ في الأرض لعبرا، ما بال النّاس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا؟ يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه. إنّ لله ديناً هو أرضى لكم وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه. إنكم لتأتون من الأمر منكرا»¹، أمّا في الأمثال والحكم فنذكر: المرء بأصغريه قلبه ولسانه، أنجز حرّ ما وعد، يداك أوكتا وفوك نفخ. التي جسدت الحياة العقلية للعصر الجاهلي فالعرب في لغتها دائما كالأمّ مع وليدها لا تستطيع عنها فكاكا.

وهكذا فإنّ اللغة العربية من أدلّ الدلائل على رقي العرب في الجاهلية فهي: «مرآة أخلاق الأمة ومقياس آدابها وما من ينكر على اللغة العربية رقيّها في الجاهلية فإنّ أشعار العرب وأقوالهم وأمثالهم على ما فيها من الحكمة وتهذيب اللفظ ودقّة التركيب، وسبك العبارة وجمال المعنى تدلّ على أنّهم بلغوا منتهى الرّقي إذ لا يعقل أن يكون لهم مثل هذه اللغة ويكونوا بعيدين عن الحضارة أو حديثي عهد بها، فإنّه لا يمكن للغة أن تبلغ من النضج ما بلغت اللغة العربية قبل الإسلام إلّا

1- موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د، ط، ص11.

بتوالي الأحقاب و الدهور كما أنّ سُمُو الخيال لا يبلغ بشعب ما بلغت به قرائح شعراء العرب إلّا إذا كانوا على أسمى مراقي الخلقية والنفسية»¹، فالغوص في بحارها يفضي إلى مشاهدة دُرّها وجواهرها وما تحمل في طيّاتها من روائع تحوي كنوزا ثمينة وجواهر نفيسة.

والتأمل لتاريخ العربية قبل الإسلام بعين ثاقبة داخل البيئة التي احتوتها منذ عصرها الأوّل يُدرك أنّها كانت تُعدّ من الأزل لأسمى وأعظم مهمّة في الكون، وهي تبليغ الرسالة الإلهية للعالم أجمع «فهي أعرق الأمم في المدنية لأنّ ألفاظها وأساليبها ومعانيها، و تراكيبها بلغت منتهى الجودة والرقّة والمتانة، وكفى بما نقرأه من الأشعار والأمثال والحكم والخطب شاهدا على بلوغ العرب منتهى الكمال والإبداع»². ذلك أنّ العرب أدركوا قيمة لغتهم ومدى بيانها ورقّيتها فحرصوا على جودتها.

وفي هذا الصّدّد نجد المستشرق "أرنست رينان" Ernest Renan يشيد باللغة العربية قائلا: «من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية: (العربية) وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري وعند أمة من الرّحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقّة معانيها وحسن نظام مبانيها، ... من يوم علّمت ظهرت لنا في حُلّ الكمال وإلى درجة أنّها لم تتغير أيّ تغيير يذكر، حتى أنّها لم تعرف لها في كلّ أطوار حياتها، لا طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلّا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تباري ولا نعلم شبيها لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة

1- داغر، أسعد، حضارة العرب، تاريخهم، علومهم، آدابهم، أخلاقهم، عاداتهم، مطبعة هندية بالموسكي، مصر، د، ط، 1336هـ/1917م، ص41.

2- المرجع نفسه، ص128.

من غير تدرّج وبقيت حافظة لكيانها خالصة من كلّ شائبة»¹، وهذا ما يؤكّده أيضا المستشرق غوستاف لوبون (Gustave Le Bon) حين قال: «ونجهل تاريخ نشوء اللغة العربية كما نعرفها الآن، ولكننا نعلم من الشعر العربي الذي قيل قبل ظهور محمّد بقرن واحد أنّ اللغة العربية كانت قد وصلت إلى درجة كما لها»²، فقد شغلت اللغة العربية ألباب العرب حتى ملكوا ناصيتها شعرا ونثرا وكتابة وخطّا. وكان لصنّاع الكلمة شأن عظيم لدى القبائل التي ينتمون إليها. وأخيرا، إذا كانت اللغة كما قال الرافعي «صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها، وحقائق نفوسها، وجودا متميّزا قائما بخصائصه»³ فقد ترسّخت جذور العربية ترسّخا عميقا قبل الإسلام، برز ذلك في الحكم والأمثال، والخطب والأشعار، فتجلّت لغة مشرقة زاهية بين اللغات، صوّرت حياة العرب، فكانت مرآة عاكسة لتفكيرهم ووجودهم، وروحا معبّرة عن مشاعرهم وعواطفهم، ومسرحا رحبا لأخيلتهم وطموحاتهم، وبالرغم من هذا كلّ تلازم مكانها وتخص قومها دون غيرها.

1- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، 1402هـ/1982م، ص27.

2- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، تر: عادل زعتر، هنداوي، د.ط، د.ت، ص455.

3- الرافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، المكتبة العصرية، د.ط، ج.3، 2002، ص28.

المبحث الثالث: القرآن عنوان الثبات والبقاء.

لم يحدث حدث في تاريخ اللغة العربية أشدّ أثراً في تقرير مصيرها من نزول القرآن الكريم فقد «صَفَّى اللغة من أكدارها وأجراها في ظاهرها على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملاً من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب»¹. فكان دفعا قويا لرقيتها وسموها، وسببا في بسط سلطاتها، ف«القول في هذه اللغة كيف ظهرت في آياته للزمان حتى لا يظن أنها لغة عصرها، وكيف بمرت بغاياته في البيان حتى يقال إنها لغة دهرها، وكيف جاوز بها قدرها الطبيعي بعد أن صار هو من قدرها»².

نزل القرآن الكريم على خاتم النبيين، بلسان عربيّ مبين، ولا ريب في أن اللغة التي اختارها عزّ وجلّ لغة عبادته وذكره ودعائه والاتّصال به من بين جميع اللغات، فهي الأجدر بأن تكون أجمل اللغات وأكملها على الإطلاق، وقد بيّن لنا أهمّ خواصها:

1 جيان اللسان العربيّ: قال تبارك وتعالى: ³

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ إبراهيم: 4

﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النحل: 103

1- الرّافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلميّة، ج2، ط1، 1421هـ، ص12.

2- المرجع نفسه، ص60.

3- اللسان: جارحة الكلام، وقد يُكنى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ، واللسان: اللغة، مؤنثة لا غير، واللّسن بكسر اللّام: اللغة، وحكى أبو عمرو: لكل قوم لسن، أي لغة يتكلمون بها، ويُقال: رجل لسن بين اللّسن، إذا كان ذا بيان وفصاحة، واللّسن: الكلام واللغة، ولّسنه: ناطقه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، طبعة جديدة محققة، دار المعارف، القاهرة، ص30 - 40.

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: 193-

.195

2 - وصفه بالاستقامة ونفى عنه الاعوجاج والبطلان:

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزمر: 28

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: 42

3 - أمرنا بتدبره وتفكره: فهو يؤدي بالإنسان إلى أن يعقل ويفهم.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ يوسف: 2

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الزخرف: 3

4 - حمّزه بالتفصيل:

﴿ كَتَبُ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ ﴾ فصلت: 3

5 - جل ونفى هذه الخاصية عن غيره من الألسنة:

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ ﴿٤٤﴾ ﴾ فصلت: 44

6 جاء ليبشّر وينذر:

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ طه: 113

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ الشورى: 7

﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيٍّ لِّنُذِرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ الأحقاف: 12

7 - وأقرّ له بالحكم:

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ الرعد: 37

8 - وتحدّى بأن يأتوا بمثله:

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

ظَهِيرًا﴾ الإسراء: 88

وهكذا ضمن القرآن الكريم اللغة العربية خلودها ما تلاه التالون، فارتقت بميلادها الجديد

تتصدّر اللغات في شريعة سمحة كانت العربية عالمها الأثير، وقمرها المنير، وشمسه النّضير، وما ذلك

إلا من دلائل كرامتها، وشريف مقاصدها، ولا غرو، فقد كانت نسيجا عبقا لوحدة الأمة

الإسلاميّة، ولو كانت هناك لغة أبلغ وأفصح من اللغة العربية، لاختارها المولى لتبليغ رسالته.

يقول ابن جني في الخصائص: «نزل القرآن بلغة العرب التي كانوا ينظمون فيها شعرهم، ويلقون فيها خطبهم، ويتخاطبون بها فيما بينهم، ومصادق ذلك قوله تعالى (سورة إبراهيم) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^٤، وجاءت صفة مبين نعت للسان العربي، والقرآن والكتاب، والرسول اثني عشرة مرة في القرآن الكريم ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النحل: 103»¹.

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
المائدة	﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ^{١٥}	15	110
الأنعام	﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ^{٥٩}	59	134
يونس	﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ^{١١}	61	215
هود	﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ^٦	06	222
يوسف	﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ^١	01	235
الشعراء	﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ^٢	02	367
النمل	﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ^١	01	377
النمل	﴿وَمَا مِنْ غَابِئَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ^{٧٥}	75	383
القصص	﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ^٢	02	385
سبا	﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ^٢	03	428
الزخرف	﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ^٢	02	489
الدخان	﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ^٢	02	496

1- الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، ص30، وهذا الجدول يضم هذه الآيات (12).

فتزول القرآن باللغة العربية مع وجود لغات أخرى ارتقى بها وشرفها على سائر اللغات فانفردت بكونها لغة الكتاب والسنة وتعد: «اللغة الوحيدة التي تعبّر عن الذات الإلهية باللفظ والأسلوب الذي اختاره الله لذاته فيما أنزله من وحي لسان عربيّ مبين»¹.

فالقرآن إذن منّة الله على هذه اللغة الخالدة، كشف قدراتها وسما بها نحو العالمية لا تنازعها لغة أخرى، فأصبح سورا لها يدفع عنها الأذى ويردّ عنها الأعاديّ و: «أصبح المسلمون بقوة القرآن أمة متوحّدة في لغاتها ودينها وشريعتها وسياستها، فقد جمع شتات العرب، ومن المقرّر أنّه لولا القرآن لما أقبل الألوّف من البشر على قراءة تلك اللغة وعلى كتاباتها ودرسها والتعامل بها، ولولا القرآن لظلّ أهل كلّ بلد من البلدان التي انضمت للإسلام ينطقون بلهجة يستعجمها أهل البلد الآخر، وقد حفظ القرآن التفاهم بالعربية بين الشعوب الإسلامية وبين العرب»²، فالعربية تستمدّ قوّتها من القرآن الكريم، بأن جعلها الله لسان وحيه ثابتة الأركان وطيدة الدّعائم.

يقول الرافعي: «تلك سياسة هذا القرآن: جمع العرب لمذهب الأقدار وتصاريّف التاريخ رأى ألسنتهم تقود أرواحهم، فقادهم من ألسنتهم وبذلك نزل منهم منزلة الفطرة الغالبة التي تستبدّ بالتكوين العقليّ في كلّ أمة فتجعل الأمة كأنّها تحمل من هذا العقل مفتاح الباب الذي تلج منه إلى مستقبلها، وأقامت فضائلها فكانت آثارها، فجعلوا يبنون عند كلّ مرحلة على أنقاض دولة دولة، ويرفعون على أطلال كلّ مذلة صولة، ويخيّطون جوانب العالم الممزّق بإبر من الأسنة،

1- خليف، عبد الرحمن، اللسان العربيّ بين الانتشار والانحسار، رابطة العالم العربي، عدد. 101، 1410هـ/1990م، ص11.

2- الجنديّ، أنور، الفحصى لغة القرآن، ص32.

وراءها خيوط من الأعنة حتى أصبح تاريخ الأرض عربيًا، وصار بعد الذلة والمسكنة أبيًا، واستوسق لهم من الأمر ما لم ترو الأيام مثل خبره لغير هؤلاء العرب»¹.

أوجد القرآن الكريم وحدة لغوية للمسلمين تعزز وحدتهم الدينية، وتقوي صفوفهم، وتعظم شوكتهم، وتعلي كلمتهم، إيدانا بشروق عصر جديد للغة العربية، عصر الانتشار والذيع، بل هو عصر العالمية، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾²⁸، وقال صلوات الله وسلامه عليه: «..وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة و بُعثت إلى الناس عامّة»² وذلك يرجع إلى «أنّ ما بلغ إليه الغرب من معارف وفخار وسلطان، لم تبلغه أمّة سواهم في زمن من الأزمان، فقد جابوا الأقطار، ودوّخوا الأمصار، وامتلكوا القلوب، وسيطروا على الأفكار، فلم يدخلوا بلادًا إلّا عربوها، ولا امتزجوا بأمة إلّا استمالوها، ولم تبلغ حضارتهم إلى قوم إلّا اتبعوها، والفضل في ذلك كلّهُ للمبادئ الصّحيحة التي تحلوا بها، والسّياسة القديمة التي ساروا عليها»³. هذه المبادئ والسّياسات المستمدّة من القرآن الكريم الجامع بين الهدف الدّيني والمطلب الفنّي من حيث الجمال في العرض، والتنسيق في الأداة، والتأثير في النفس ممّا يستثير كوامن الوجدان.

ومما يثير العجب أن تُحفظ هذه اللغة الكريمة من التّحلّل و التّفرع إلى لغات شتى تزيحها وتأخذ مكانها، كما حدث ويحدث لغيرها من اللغات الأخرى كاللاتينية مثلاً، كيف لا؟ وقد

1- الرّافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج2، ص66/67.

2- رواه البخاري في صحيحه كتاب: التّيمم، رقم 335، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم 521، والنسائي في سنن، متاب الغسل والتّيمم باب التّيمم بالصعيد، رقم 432.

3- داغر، أسعد، حضارة العرب، تاريخهم، علومهم، آدابهم، أخلاقهم، عاداتهم، مطبعة هندية بالموسيقى، عصر 1336هـ/1918م، د، ط، ص41.

حوت كلام الخالق الجليل وسنة رسوله الخليل الذي حفظها وضمن لها البقاء، بقوله عز وجل:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ١ الحجر 09.

وهذا الحديث لا يتردد على أفواهنا نحن العرب فحسب، بل قاله قبلنا نصارى العرب الغيورين على هذه اللغة فنجد "سليمان البستاني" يقول: «إنَّ سنة النّمو والتحول وتفرّع الأصل الواحد إلى أصول شتى تشمل سائر المخلوقات، فقد قلنا إنَّ لسان العرب في الجاهليّة تفرّع إلى فروع كاد كلّ منها يقوم لغة بنفسه، ويمتنع التفاهم بين أصحابه، فجاء القرآن، وأزال الخلاف، وأوثق عرى الارتباط، فسادت اللغة العربية»¹.

بعد ذلك تحدّث عن اليونان وكيف ابتعدت لغتهم الحديثة عن لغتهم الأم فقال: «وأما العربية فليس هذا شأنها، فإنَّ أصول اللغة مازالت على ما نطق به شعراء الجاهليّة، وغاية ما يشكل فهمه على قرائها مفردات لم تألفها العامّة، ومترادفات متشابهات وتعابير غير مألوفة في عصرنا... وخلاصة ما تقدّم أنّ اللغة العربية أطول اللغات الحيّة عمرا، وأقدمهنّ عهدا، والفضل في كلّ ذلك للقرآن، فالإلياذة وبلاغتها، وسائر منظومات هوميروس وهسيودس على علو منزلتها، لم تقم للغة اليونانية دعامة ثابتة، حتى في بلادها، ولم تقوَ على مقاومة التيار الطّبيعيّ، ولكنّ القرآن وطّد أركان لغة قريش في بلادهم، وأذاعها في جميع البلاد العربيّة، وسائر البلاد التي طال فيها عهد الاحتلال* (!) الإسلاميّ، أو كثرت مخالطة العرب الضاريين في أقطار الأرض للجهاد والتّجارة»².

1- عوض، إبراهيم، دفاع عن التحو والفصحى، الدعوة إلى العاميّة تطل برأسها من جديد، شبكة الألوكة، مكتبة زهراء الشرق، د، ط، ص 13.

* وأما نحن فنقول: الفتوحات الإسلامية ولا نرضى بعبارة الاحتلال الإسلامي .

2- عوض، إبراهيم، دفاع عن التحو والفصحى، ص 13.

ومن ثمّ فإنّ الإسلام بشكل عام، والقرآن الكريم بشكل خاص هو سبب تميّز العرب وارتقاء لغتهم لأنّ «هذا التميّز ما كان للعرب إلّا بالإضافة إلى الإسلام، الذي أشرق أوّل ما أشرق في صميم بلادهم، وتزلّ وحيه على رسول منهم»¹. فالقرآن نفحة ربانية ألبس العربية قداسة، لا تنافسها فيها لغة أخرى وبات فصل العرب عن لغتهم بمثابة فصل الرّوح عن الجسد، لأنّها تمثل هوية الأمة الإسلامية وعمقها الرّوحي والحضاري والدّيني.

1- حمدي محمود عبد المطلب، سائح في رياض الفصحى، ص11.

المبحث الرابع: أثر القرآن وفضله على اللغة العربيّة

1 من منظور الثقافة العربيّة الإسلاميّة:

لا جرم أنّ اللغة العربيّة واجهت عقبات وضربات عديدة شأنها في ذلك شأن جميع اللّغات، لو أصابت لغة غيرها لبادت واضمحلت، فقد احتكت بالعديد من اللغات، وتصارعت معها صراع البقاء للأقوى فكان لها الفوز، وأصاب أهلها الضّعف والتفكك، وذهاب الملك بوقوعهم تحت سيطرة الاستعمار الذي عمل على محاربتها ومحاوله وأدها بشتّى الطرق، لكن ورغم ما تركت فيها هذه الضّربات من خدوش وندبات، وأحدثت فيها من تطوّر و آثار إلّا أنّها لم تخرج عن أصالتها بل بقيت ثابتة الدّعائم قويّة الأركان على مدى أكثر من أربعة عشر قرنا يتلى بها كتاب الله.

وأما سرّ ثبات اللغة العربيّة هو "القرآن الكريم" الذي غير مسار الأُمّة العربيّة، هذب النفوس، وصقل العقول، وطهر القلوب وجمعهم على كلمة التّوحيد، فأخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور اليقين، ونزل بلغتها معجزة إلهية خالدة خلود الوجود فراحت تتجدّد رونقا وجمالا وتزداد قوّة وكمالا، وذلك «لأنّ لغة العرب أفصح اللّغات، وأبينها، وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني، التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب، بأشرف اللغات، على أشرف الرّسل، بسفارة الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمّل

من كلّ الوجوه»¹، فمن المسلّم به أنّ للقرآن الكريم الأثر العظيم في توطيد دعائم اللغة العربية وبسط سلطاتها وتهذيبها وانتشارها، ومن أهم الآثار التي أحدثها القرآن الكريم في اللغة العربية:

1 حفظ القرآن الكريم اللغة العربية من الضياع والاندثار كما حدث لكثير من اللغات، بل

وضمن لها البقاء والخلود على مدى الأزمان فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

لْحَافِظُونَ ﴿١﴾﴾ الحجر 09. ولا نعلم لغة أخرى خلّدها كتابها غير العربية، روحها القرآن تستمدّ

منه أنفاسها ونبضات حياتها وكلّ فضل جاءها إلّا ومردّه للقرآن الكريم.

2 لحبت العربية ثوب الفخار» فقد نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره

معاً فكان أشبه شيء بالتّور في جملة نسق إذ التّور جملة واحدة»²، بلغ العرب به أرفع مستويات

الفصاحة والبلاغة حيث جاء عربي المبنى فصيح المعنى، سما بالعرب وارتقى بهم على سائر الأمم.

3 - كان القرآن الكريم العامل الأكبر والسبب الرئيسي في توحيد لهجات اللغة العربية في لغة

أدبية أصبحت هي اللغة الرّسمية لجميع النّاطقين بها على تباين لهجاتهم وتباعد منازلهم وتنائي

ديارهم³. وبقي على اختلاف الحقب وتطاول الزّمن، كلّما أوشك الناس أن يتفرقوا في الألسنة

ويتباينوا في اللهجات، جمعهم القرآن تحت لواء واحد، ووحد لغتهم.

1- زيدان أشرف محمد، مكانة اللغة العربية في ضوء تلازمها بالقرآن الكريم، جامعة ملایا، ماليزيا، مجلة مداد الآداب، العدد 01، ص 28.

2- عبد الرّحيم، عبد الجليل، لغة القرآن الكريم، مكتبة الرّسالة الحديثة، ط 1، 1401هـ/ 1981م، ص 585.

3- المرجع نفسه، ص 587.

4 عمل القرآن على هجر وحشيّها، وتمجّين مستغربها، والدّراية بنافرها، والزيادة عليها زيادة

أتمّت ثروتها وأنارت صفحتها، وأضفت عليها حُللاً رائعة من الزّينة والحسن¹.

5 بفضل القرآن الكريم ذاعت العربية وانتشر صيتها في جميع البلاد التي وصل إليها الإسلام

فأصبحت بذلك لغة الدّين والأدب ولغة العلم والفنون في شتّى أرجاء العالم فتحوّلت إلى لغة

عالمية.

6 أحدث القرآن الكريم في اللغة العربيّة علوماً جليّة لم تكن لتوجد بدونه، كالحديث،

والفقه، والنّحو، والصّرف والبلاغة، وفقه اللغة، وعلم الكلام وغيرها من العلوم.

ومن المعلوم أنّه لولا القرآن لأصاب العربية ما أصاب بقية اللغات من الاضمحلال والذوبان

حيث يقول الرّافعي: «إنّما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النّسبة إلى العربية، فلا يزال أهله

مستعربين به متميّزين بهذه الجنسيّة حقيقة أو حكماً حتّى يأذن الله بانقراض الخلق وطيّ هذا

البسيط، ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن على النّاس، وردّهم إليها وأوجبها عليهم لما اطرّد

التاريخ الإسلاميّ ولا تراخت به الأيام إلى ما شاء الله، ولما تماسكت أجزاء هذه الأمّة ولا استقلت

بها الوحدة الإسلاميّة، ثمّ لتلاحمت أسباب كثيرة بالمسلمين ونضب ما بينهم فلم يبق إلّا أن

تستلحقهم الشعوب»² ذلك لأنّ حرص المسلمين على القرآن الكريم معجزة الله في الأرض هو

الدّاعي الأساسيّ والأوّل لحرصهم على اللغة العربية، ومقاومة كل ما من شأنه إضعافها بما يطرأ

عليها من لحن أو وهن أو استهجان.

1- المؤلفون، خفاجي محمّد، الأدب الإسلامي- المفهوم والقضية، دار الجيل، ط1، 1412هـ/1992م، ص107.

2- الرافعي مصطفى صادق، تحت راية القرآن، ص40.

2 من المنظور الاستشراقي:

لم يكن أثر القرآن الكريم على اللغة العربية ظاهراً لأهلها فحسب بل تعدّاه إلى غيرهم، فهامهم المستشرقون الغربيون كذلك يرون بأنّ العربية إنّما تستمدّ قوّتها وصلابتها من هذا المنهل الرّبانيّ، ويقرّون له بالمجد والخلود، فهي أصواتهم تتعالى وأقلامهم تتبارى للإشادة بفضله.

فهذا تيودور نولدكه* (Theodor Nöldeke) يقرّ بعالميتها قائلاً: «لم تصر العربية

حقاً لغة عالمية إلّا بسبب القرآن والإسلام، إذ تحت قيادة القرشيين فتح البدو، وسكان الواحات، نصف العالم لهم و للإيمان، وهكذا صارت لغة مقدّسة أيضاً»¹ هي العالمية التي لم تكن لتوجد إلّا لارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم، الذي خلّدها لغة راسخة عبر العصور كما يؤكّد المستشرق عبد الكريم جرمانوس (Gyula Germanus) «إنّ في الإسلام سنداً هاماً للغة العربية أبقى على روعتها وخلودها فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة على نقيض ما حدث للغات القديمة المماثلة، كاللاتينية حيث انزوت تماماً بين جدران المعابد»².

وأما جورج سارتون (George Sarton) فيعتبره سبباً في بلوغها درجات الكمال حيث

يصرّح: «ولغة القرآن على اعتبارها لغة العرب كانت بهذا التجديد كاملة، وقد وهب الرّسول

* - نولدكه Nodleke, TR (1836-1930): ولد في هامبورج، تعلم اللغات السامية، ونال الدكتوراه (1856)، ونال جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس على رسالته: أصل وتركيب سور القرآن، من تلاميذه: ياكوب وبروكلمان، عرف عنه تضلعه في العربية واللغات السامية، من آثاره: قواعد اللغة العربية الفصحى (فيينا 1896)، ودراسات في قواعد اللغة الفصحى (مذكرات مجمع برلين 1896-1897)، والمعلقات الخمس ترجمة وشرحاً، ومعجم اللسان العربي الفصيح. ينظر، يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص 1054.

1- زيدان أشرف محمد، مكانة اللغة العربية في ضوء تلازمها بالقرآن الكريم، جامعة ملابيا، ماليزيا، مجلة مدار الآداب، العدد، 01، ص 28.

2- الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، ص 301.

اللغة العربية م رونة جعلتها قادرة على أن تدوّن الوحي الإلهي، أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولغاته وأن يعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى في التعبير عن المقاصد»¹.

ويتساءل ستنجاس Stan-jass قائلاً: «ماذا كان مصير هذه اللغة العربية لو لم يكن محمد ولو لم يكن القرآن؟، ليجيب عن سؤاله: "إنه لولا القرآن لذهب معهم لسانهم وشعرهم...»²، فالقرآن هو السور المنيع للغة العربية يرفع عنها الأذى ويردّ عنها الأعادي.

أمّا كارل بروكلمان (Carl Brockelmann) فيؤكد على فضل القرآن على اللغة العربية فيصرّح «بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدّنيا، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأنّ اللغة العربية هي وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم وبهذا اكتسبت اللغة العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدّنيا الأخرى التي تنطق بها شعوب إسلامية»³، ويعترف جوستاف جرونيباوم Gustave Grunebaum «...وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها، فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النّهائية»⁴.

1- عبد الرحيم عبد الجليل، لغة القرآن الكريم، ص 586.

2- ينظر، الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، ص 39.

3- عبد الرحيم عبد الجليل، لغة القرآن الكريم، ص 587.

4- الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، ص 306.

أدرك المستشرقون أنّ العربية إنّما تستمدّ قوّتها، من القرآن الكريم الوحي الإلهي فهو لها بمثابة

الروح للجسد، متن ركائزها وأعلى مراتبها وهاهو فيليب دي طرازي (Philippe de

Tarrazi) يصرّح «أصبح المسلمون بقوة القرآن أمّة متوحّدة في لغتها ودينها وشريعتها

وسياستها فقد جمع شتات العرب، ومن المقرّر أنّه لولا القرآن لما أقبل الألوّف من البشر على قراءة

تلك اللغة وعلى كتابتها ودرسها و التعامل بها، ولولا القرآن لظلّ أهل كل بلد من البلدان التي

انضمّت للإسلام ينطقون بلهجة يستعجمها أهل البلد الآخر، وقد حفظ القرآن التفاهم بالعربية

بين الشعوب الإسلاميّة وبين العرب»¹. وهكذا نخرج بأراء عديدة لمستشرقين أقرّوا واعترفوا

بفضل القرآن الكريم على اللغة العربية وترسيخ دعائمها فهم يرون أنّه صيّرها عالمية خالدة، تسمو

على سائر اللغات كاملة الجمال، دقيقة المعاني، شريفة المقاصد، وتبيّن لهم أنّه لولا القرآن الكريم

لبادت وذهبت ريحها.

ولعلّ أخطر تحدّد واجه الاستشراق والتّغريب والغزو الفكريّ والثقافيّ والاستعمار في العصر

الحديث هو ذلك الارتباط الوثيق بين القرآن الكريم واللغة العربية فذلك همّهم الشاغل يؤرّقهم،

ويقض مضاجعهم، فلا ينفكون يحاولون الفصل بينهما حتى يتمّ لهم القضاء على قاعدة ثبات

المسلمين، لأنّ فصلهما يؤدّي بالضرورة إلى ضعف العربية وبالتالي تمزّق وشتات أهلها وهذا

مبتغاهم الذي يرمون إليه الذي لم ولن يصلوا إليه والله موهن كيد الكافرين، فعلينا نحن العرب أن

نتفطّن لما يدور حولنا فنعمل على المحافظة على لغتنا و التمسك بها.

1- الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، ص 32.

تعلّم اللغة العربية:

عن أبي منصور الثعالبي أنّه قال: «من أحبّ الله، أحبّ رسوله المصطفى ﷺ، ومن أحبّ النبي العربيّ، أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب، أحبّ اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب، على أفضل العجم والعرب، ومن أحبّ العربية عنيّ بها، وثابر عليها، وصرف همّته إليها»¹، وأدرك علماؤنا أهمية اللغة العربية التي أصبحت جزءا لا يتجزأ من الدّين، فحثّوا على تعلّمها وإتقانها، وعدّوا ذلك واجبا على الكفاية فهذا شيخ الإسلام "ابن تيمية" رحمه الله عليه يقول: «واعلم أنّ اعتياد اللغة يؤثّر في العقل والخلق والدّين تأثيرا قويا بيّنا، ويؤثّر أيضا في مشاهة صدر هذه الأمة من الصّحابة والتّابعين، ومشاهتهم تزيد العقل والدّين والخلق وأيضا فإنّ نفس اللغة العربية من الدّين، ومعرفتها فرض واجب، فإنّ فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يُفهم إلّا بفهم اللغة العربية وما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجب»².

كما كتب "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه إلى أبي موسى «أمّا بعد: فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعرّبوا القرآن فإنّه عربيّ»، وفي حديث آخر عن عمر أنّه قال: «تعلّموا العربية فإنّها من دينكم، وتعلّموا الفرائض فإنّها من دينكم»³. ففقه العربية هو الطريق إلى فقه الأقوال، وفقه السنة هو فقه الأعمال.

1- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، فقه اللغة وأسرار العربية، المكتبة العصرية، ط. 1420، 2/2000م، ص 29.

2- البنعليّ، تركي بن مبارك بن عبد الله، العتاب لمن تكلم بغير لغة الكتاب، د. ط. 1430هـ، ص 15.

3- المرجع نفسه، ص 16.

ويؤكد "ابن تيمية" على ضرورة تعلّم العربية لمعرفة الدّين فيقول: «فإنّ الله تعالى لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغاً عنه للكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل التابعين إلى هذا الدّين متكلمين به، لم يكن سبيل ضبط الدّين ومعرفته إلّا بضبط اللّسان، وصارت معرفته من الدّين»¹، وبذلك صار واجبا علينا تعلّمها، فما لا يتم الواجب إلّا به، فهو واجب، وهذا ما ذهب إليه شرف الدّين يحيى العمريّ حين قال:

وَكَانَ مَطْلُوبًا أَشَدَّ الطَّلَبِ .: مِنْ الْوَرَى حِفْظُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ

كَي يَفْهَمُوا مَعَانِيَ الْقُرْآنِ .: وَالسُّنَنِ الدَّقِيقِيَّةَ الْمَعَانِيَّ²

وأما الإمام الشافعيّ في حثّ على تعلّم باللغة العربيّة قائلا: «فعلى كل مسلم أن يتعلّم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلّا الله، وأن محمّدا عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذّكر فيما افترض عليه من التّكبير وأمر به من التّسبيح و التّشهد وغير ذلك»³، فالعربية التي وعت كتاب الله، وعت أسرارهِ وقواعده وترجمان دينهِ، ودستور أحكامهِ، فلا سبيل لشيء من هذا إلّا باللغة العربية.

1- البنعليّ، تركي بن مبارك بن عبد الله، العتاب لمن تكلم بغير لغة الكتاب، ص 14.

2- العمريّ، شرف الدين يحيى، متن الدّرة البهية، نظم الأجرومية، دار عمر بن الخطاب، مصر، ط. 01، 1422هـ/2007م، ص 31.

3- الشافعي، المطليّ محمّد بن ادريس، الرسالة، تح. أحمد محمد شاكر، مصطفى الحلبيّ وأولاده بمصر، ط. 1، 1357هـ/1938م، ص 48.

ومن أراد الرّفعة وبلوغ غاياته، وعلوّ شأنه فعليه بالعربية، ف «إذا سرّك أن تعظم في عين من كنت بعينه صغيراً ويصغر في عينك من كان في عينك عظيماً، فتعلّم العربية، فهي تحريك على المنطق، وتدنيك من السّلطان»¹ لمكانة هذه اللغة وكرامتها وهيبتها، وقوّة سلطانها.

ويتحدّث "أبو منصور الثعالبي" في فضل العربية ومدى علاقتها بالدّين «إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدّين، وسبب صلاح المعاش والمعاد، ولم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومعارفها، والتّبحر في جلائلها ودقائقها، إلّا قوّة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان، لكفى بها فضلاً من فيها أثره، وبطيب في الدارين ثمره»²، ففهم الكتاب والسّنة ومعرفة أحكام الدّين من الأمور المتعينة على المسلم، ولا يتأتّى هذا إلّا بفهم اللغة العربية لغة القرآن والدّين والتّراث الإسلاميّ مثلها مثل الشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء.

ولعل أهمّ ما ميّز اللغة العربية وارتقى بها إلى أعلى درجات الجمال والكمال:

1- «لنّ الله سبحانه وتعالى جعل العربية مستودعاً لمراده من عباده، مصداقاً لقوله: ﴿وَكَذَلِكَ

أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾^{١١٣} طه: 113، فللقرآن

الكريم أعظم الأثر في توطيد هذه اللغة، وتثبيت دعائمها، وتقوية سلطانها، فهذه اللغة صالحة لكل زمان ومكان.

1- زيدان أشرف محمّد، مكانة اللغة العربية في ضوء تلازمها بالقرآن الكريم، ص 41.

2- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 29.

2 إنَّ الرسول ﷺ هو المبيِّن لشعائر الله وما بيَّنها إلَّا بلسان عربيّ، قال تعالى: ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۚ﴾ إبراهيم: 4 ، وما فجر من ينابيع

الفصاحة، وبلوغه الرِّقَّة والمتانة، و الإبانة عن الغرض بدون تكلف.

3 إنَّ كلَّ من يرغب في استمداد أحكام الشريعة أو التَّعرف على قضايا الدِّين لا بدَّ له من

تعلُّم اللغة العربية لتحقيق رغبته بالدِّقَّة الكافية¹.

4 -لم يقتصر القرآن على الارتباط بعقائد المسلم وعباداته فحسب، بل تجاوزه إلى الاعتناء

بتشريعه، واقتصاده وعلمه، وفلسفته، وحروبه وجهاده، بل وحتى بتفاصيل حياته اليومية،

وخطرات نفسه، ولحاحات تفكيره ...² فاللغة العربية هي الأداة المثلى لمعرفة مبادئ الدين

الحنيف، وفهم أحكامه، ودراسة تراثه وكفى بها أهميةً وفخرًا أن تكون: ترجمانَ وحيِّ الله، ولغةَ كتابه

العزیز ومعجزةَ رسوله الأمين، ولسانَ الصحابة و التابعين.

1- ينظر، خليف عبد الرحمان، اللسان العربي بين الانتشار والأنصار، ص 11.

2- شاكر محمود، أباطيل و أسمار، مكتبة الخانجي، القاهرة، الجزء 1 و 2، ط. 3، 2005، ص 190.

المبحث الخامس: خصائص العربية ومكانتها بين اللغات

تعرّضت اللغة العربيّة وحدها دون سائر اللغات لمعاول الهدم ودسائس الأعداء، لذلك كانت حاجتنا لإبراز مزاياها ضرورة ملحة، فهي وإن كانت ثابتة في وجهها العام فإنّها دائمة التطوّر من حيث التفاصيل، كونها «لغة متكاملة من حيث الصّرف والاشتقاق، والإعراب، ومن حيث التنويع في الجموع والمصادر، وحروف العطف، وأدوات الاستثناء والتّفي والتّعريف والتّكثير، مضافا إلى ذلك احتفاظها بحروف ومخارج لم تحتفظ بها لغة سامية احتفاظا كاملا»¹، وصلت إلى تفكير دقيق عميق يعكس أثرها ويبرز تفوّقها، فهي ولا ريب أمتن اللّغات تركيبا، وأوضحها بيانا، وأشرفها مقاصدا، ف«العرب-أهل هذه اللّغة-قوم ملكوا الأرض ولم تملكهم، فلم يؤثر عنهم شيء في جاهليتهم الأولى من أنواع الدّلالة الثابتة، كالكتابة والآثار ونحوها، ولا دخلوا في بتويخ أمّة من أمم الحضارة فيكون لهم نوع من تلك الدّلالة، وعلى ذلك يتعيّن أن تكون لغتهم أيضا قد ملكت التاريخ ولم يملكها، وهي لا بدّ أن تكون قد تقلّبت مع كلّ وجوه من الإصلاح وجرت على مناخ من التّهذيب»²، وانطلاقا من حيوية هذه اللغة المجيدة حاولت البحث في بعض الخصائص.

1 قدم اللغة العربيّة:

لعلّ من أبرز خصائص اللغة العربيّة التي تجعلها تتصدّر اللّغات الأخرى، بل وتتفوّق عليها، توغلّها في القدم الذي ينم عن عراققتها وأصالتها ف«إذا كانت اللّغة هي خزانة الفكر الإنساني فإنّ

1- حسين حسن، الاشتقاق في اللغة العربية، مجلة المنطق (فكرية إسلامية)، محور اللغة العربية وتحديات العصر، العدد (78 و79)، 1411هـ/1991م، لبنان، ص74.

2- الرّافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، ج1، ط1، ص74.

خزانة العربية قد ادّخرت من نفيس البيان الصّحيح من الفكر الإنساني ومن النفوس الإنسانية ما يُعجز سائر اللّغات، لأنّها صِفّت منذ الجاهلية الأولى المغرقة في القدم من نفوس مختارة، بريئة من الخسائس المزرية ومن العلل الغائبة، حتى إذا جاء إسماعيل نبي الله ابن إبراهيم خليل الله، أخذها وزادها نصاعة وبراعة وكرما، وأسلمها إلى أبنائه من العرب وهم على الحنيفيّة السّميحة، دين أبيهم إبراهيم، فضلّت تتحوّر على ألسنتهم مختارة مصفّاة مبرّاة، حتّى أطلّ زمان نبيّ لا ينطق عن الهوى، هو سيّدنا محمد ﷺ فأُنزل الله بها كتابه بلسان عربيّ مبين، بلا رمز مبني على الخرافة والأوهام، ولا ادّعاء لما لم يكن، ولا نسبة كذب إلى الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً¹، فالعربية إذن فكر يتمثّل روح الإسلام وجوهره، وروح حضارة الإسلام وتراثها وتاريخها وثقافتها، هي جوهر أصيل في تراث الإسلام وفكره ونهضته، حملت في طيّاتها كلّ فكر رفيع، ومضمون جليل، وقيم عالية، ومثل سامية.

وقد تحدّث العقّاد عن قدم هذه اللغة حيث قال: «ونحن نعتقد أنّ اللغة العربيّة أقدم من معظم اللّغات الحديثة، وأنّ شواهد سبقها في القدم تزيد على الشّواهد التي يستدلُّ بها على سبق أقدم اللّغات الأخرى»². وأمّا أحمد مطلوب فيشيد بقدمها قائلاً: «إنّ قدم العربية وتواصلها خلال قرون طويلة واحتفاظها بالقواعد والأصول العامّة من أوّل خصائصها، وإنّ ذلك التّواصل جعل أبنائها يقرءون تراثها الضّخم وينتفعون به... وتلك مزية لا تعرفها اللّغات القديمة أو الحديثة»³.

1- حمدي محمود عبد المطلب، سائح في رياض الفصحى، بحث لغويّ يقوم اللسان العربيّ فيصوّب الأخطاء اللّغوية التي شاعت بين النّاس، دار الطّلائع، القاهرة، 2005، ص. 10/09.

2- العقّاد، عباس محمود، أشّتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف، ط. 6، القاهرة، د.ت، ص. 17/16.

3- مصطفى أحمد عبد العليم، خصائص العربية بين القدم والحديث، قسم اللغة العربية، جامعة الإمارات العربية المتحدّة، ص. 15.

فإذا نظرنا إلى اللغة الأكثر شيوعاً في الوقت الحاضر، وهي اللغة الانجليزية وتمعنا في كتابات أديهم الكبير ولييم شكسبير (1564-1616م) (William Shakespeare) (1564-1616م) نجدها تستعصي الفهم على أهل هذه اللغة، أمّا إذا عدنا إلى الراء إلى أشهر شاعر إنجليزي قبل شكسبير وهو جيفري تشوسر (Geoffrey Chaucer) (1340-1400)، فلن نجد من الانجليز من يدرك لغته ويتذوق شعره ¹. وأمّا السّر في بقاء العربيّة على خصائصها فيكمن في تعلّقها العميق بالدين كونها لغة القرآن الكريم، ولسان النبيّ الأمين «فهو يدفع عن هذه اللغة العربيّة التّسيان الذي لا يدفع عن شيء»، وهو وحده إعجاز ². لقد منحناها هذه الخاصيّة-القدم- قوّة وانتشاراً وثباتاً نادر الوجود في أيّ لغة أخرى، ذلك أن العربيّ المعاصر يستطيع فهم لغته التي كتبت في الجاهليّة، في حين يستعصي ذلك على الانجليزي، والفرنسي أو غيرهما.

2 النّحو:

من أجل العلوم التي تميّزت بها العربيّة علم النّحو الذي هو ركيزة من ركائز الأسلوب العربيّ يعتمد الإبانة والإفصاح فهو: «انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتشية، والجمع، والتّحقيق، والتّكسير والإضافة، والنّسب والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربيّة بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم

1- ينظر، الطّناحي، محمود محمّد، في اللغة والأدب دراسات وبحوث، المجلّد الثّاني، دار الغرب، الإسلاميّ، ط1، 2002، ص743.

2- المرجع نفسه، ص44.

عنها ردّ به إليها»¹ وهو من الأهميّة في الكلام كالمّح في الطّعام، لا يستغني عنه كما جاء في نظم الأجروميّة:²

والتَّحْوُ أَوْلَى أَوْلًا أَنْ يُعْلَمَا .: إِذَا الْكَلَامُ دُونَهُ لَنْ يَفْهَمَا

وقال الشاعر سعد بن نهبان الحضرميّ في يتيمة الدّهر:³

يَا طَالِبَا فَتَحْ رِقَاجِ الْعِلْمِ .: وَقَاصِدَا سَهْلِ طَرِيقِ الْفَهْمِ

اجتَحِ إِلَى النَّحْوِ تَجِدْهُ عِلْمًا .: تَجَلُّوْا الْمَعْنَى الْعَوِصَ الْمُبْهِمًا

ويوضّح الزّجاجيّ الفائدة من هذا العلم: «أمّا الفائدة من علم النّحو فتكمن في الوصول إلى التّكلّم بكلام العرب على الحقيقة صوابا غير مبدّل ولا مغيّر، وتقويم كتاب الله عزّ وجلّ الذي هو أصل الدّين والدّنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النّبي ﷺ وإقامة معانيها على الحقيقة»⁴، فالنّحو أساس العربيّة وقوامها، كان سبب وضعه هو سريان اللّحن إلى القرآن الكريم مع دخول الشّعوب المختلفة إلى الإسلام.

1- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمّد علي النّجار، ج.1، دار الكتب المصريّة، د.ط، ص34.

2- العمريّطي، شرف الدّين يحيى، ص33.

3- الباتلي، أحمد بن عبد الله، أهميّة اللغة العربيّة ومناقشة دعوة صعوبة النّحو، تق: القرني عائص بن عبد الله، دار الوطن للنّشر، ط.1، 1412هـ، ص14.

4- الزّجاجيّ، أبو القاسم، الإيضاح في علل النّحو، تح: مازن المبارك، دار الثّقائس، بيروت، ط.3، 1399هـ / 1979 م، ص 95.

حيث يُروى أنّ عليّاً بن أبي طالب رضي الله عنه سمع أعرابياً يقرأ قوله تعالى: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا

الْخَطِئُونَ﴾ (٢٧) (الحاقة 37) قرأها "الخاطئين"، ففزع رضي الله عنه، فوضع مقدّمة في النّحو

وأعطاهما لأبي الأسود الدّؤلي، وقال له: انحُ هذا النّحو¹.

فالنّحو إذن هو أوّل علم عربيّ صنّف فيه، يمثّل روح العربية وقوامها وفي فضل هذا العلم

يقول أبو العباس أحمد بن يحيى الثّعلبيّ: «لا يصحّ الشعر ولا الغريب ولا القرآن إلّا بالنّحو، النّحو

ميزان هذا كلّ» وأضاف «تعلّموا النّحو فإنّه أعلى المراتب»²، فهو إمام كلّ علم وأساس كلّ بناء

تكاد المعرفة به أن تكون فرض عين على كلّ مسلم.

وقد تأثّر بعض الغربيّين بهذا العلم، بل وشهدوا له بالفضل فهذا المستشرق الهولنديّ "دي بور"

(De Bourmont) في كتابه تاريخ الفلسفة يصرّح «علم النّحو أثر رائع من آثار العقل

العربيّ بما له من دقّة في الملاحظة، ومن نشاط في جميع ما تفرّق، وهو أثر يُرغم الناظر فيه على

التّقدير له، ويحقّ للعرب أن يفخروا به»³ ويؤكّد هذا المعنى المستشرق يوهان فوك* (Johann

Fück) حين يقول «وقد تكفّلت القواعد التي وضعها نخاة العرب بعرض اللغة الفصحى

وتصويرها في جميع مظاهرها على صورة محيطيّة شاملة حتى بلغت كتب القواعد الأساسيّة عندهم

1- ينظر، الطّناحي، محمود محمّد، في اللغة والأدب دراسات وبحوث، ص292.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص.292-293.

3- الباتلي، أحمد بن عبد الله، أهمية اللغة العربية ومناقشة دعوى صعوبة النّحو، ص16.

*- فوك يوهان J Fuck : ولد عام 1894، وهو أستاذ العربية في جامعتي ليزنيج وهاله، من آثاره: العربية لغة وأسلوبها (برلين 1950) نقله إلى العربية عبد الحليم النّجار، وله أيضاً: العربية فقّها وأدبا، العربية، بحوث عن تاريخ لغتها وأسلوبها (ليدن 1954) وبذلك بمعاونة بروكلمان، وشبولير، وهوفتر، وله أيضاً: الدّراسات العربية في أوروبا. ينظر، يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص807.

مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة المستزيد»¹، فقواعد النحو دقيقة، مرتبة، ومنطقية، فلكلّ فعل فاعل، ولكلّ مبتدأ خبر، ولكلّ أداة شرط جواب، كما أنّ لكلّ أداة معنى. على أنّ فضل هذا العلم وأهميته مكنته من التّقدّم على علم الحديث، وبسنده إلى شعبة قال: «من طلب الحديث فلم يبصر العربيّة فمثله مثل رجل عليه برنس وليس له رأس»²، فالتّحو إذن هو العلم الذي يقوم اللّسان العربيّ فلا يتداخله الخلل، محكما لا يشوبه الزّلل حتّى أنّه سميّ بالعلم المستطيل * لعلّ شأنه ورفعة قدره.

ذلك أنّه لولا قواعد التّحو التي ترشد القارئ إلى التّلاوة الصّحيحة والقويمه لشقّ علينا قراءة آيات عديدة جاءت في القرآن الكريم على نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر 28) وقوله سبحانه تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (التّوبة 3)، وقوله: ﴿وَإِذْ أَتَيْنَا إِبراهيمَ ربهٗ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة 124).

1- الباتلي، أحمد بن عبد الله، أهمية اللغة العربية ومناقشة دعوى صعوبة التّحو، ص 16.
2- الطّناحي، محمود محمّد، في اللغة والأدب دراسات وبحوث، ص 494.
* قال أبو بكر الشّتريني: «ولو لم يكن من فضائل هذا العلم إلّا أنّ صاحبه مترشّح لقبول سائر العلوم، مستطيل عليها، متصرّف فيها، مالك لأزمّتها، لا يتعذّر عليه شيء منها، هذا مع استغنائه عنها، وافتقارها إليه، وقد سميّ العلم المستطيل، في خبر يُروى عن أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، رحمه الله قال: كنت عند أبي العباس أحمد بن يحيى التّعلبيّ، فتذاكرنا العلوم، فقال لي: يا أبا بكر، شغلتم أتم بتعليم القرآن ففرّتم، وشغل أهل الفقه بالفقه فنجوا، وشغلّلت أنا بزيد وعمر، وما أدري ما يكون أمري غدا مع الله عزّ وجلّ. وبكى بكاءً شنيعاً، فانصرفت من عنده. فرأيت في تلك اللّيلة محمّد بن أحمد بن غالب الرّاهد في التّوم، فقال لي: يا أبا بكر، أتعرف أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبياً؟ فقلت: صاحبنا، قال لي: إذا كان غداً فاقراً عليه من الله السّلام وقل له: أنت غداً في القيامة صاحب العلم المستطيل. قال أبو بكر بن مجاهد: يعني بقوله -والله أعلم- العلم المستطيل، أنّه يستطيل به على سائر العلوم، وأنّ سائر العلوم فقير إلى التّحو» الطّناحي محمود محمّد، في اللغة والأدب دراسات وبحوث، ص 493.

سعة المفردات:

تتمتع العربية بثراءٍ عزّ نظيره في معظم لغات العالم، فهي حافلة بثروة لغوية عظيمة، فهي بحر زاهر بالكنوز لا يمكن لأحد الإحاطة به كما ذهب إلى ذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه

«ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي»¹، ويوافقه ابن فارس فيقول: «إنّ لغة العرب لم تنته إلينا بكلّيتها، وإنّ الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير، وإنّ كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاء شعر كثير، وكلام كثير»²، فالذي وصلنا لا يكاد يكون قطرة من بحر.

وقد أعجب بعض المستشرقين بثروة هذه اللغة وكلماتها التي لا تعد ولا تحصى، فاعترفوا بثراء ألفاظها ومترادفاتها، فهذا "رينان" يقول في ذهنه: «أنّ لغويا من العرب كتب في متن اللغة رسالة ذكر فيها خمسمائة اسم للأسد»، أمّا "دي هامر بيرجستول" De Hammer burgstoll " المستشرق الألمانيّ فقد أحصى الكلمات التي تتعلّق بـ "الحمل" في أدب اللغة العربية، فوجدها تبلغ 5744 كلمة³.

ولا أدلّ على ثراء هذه اللغة من أنّ المهجور من ألفاظها يصل إلى سبعين ألف مادة غير مستعملة إلى يومنا هذا، فليس من المبالغة القول بأنّ العربية تفوق جميع اللغات الحيّة من حيث سعة

1- الشافعي، محمد بن باديس، الرسالة، ص42.

2- ابن فارس، أحمد بن زكريا أبو الحسين، الصحاح في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط.01، 1418هـ/1997م، ص.36.

3- ينظر، الأبراشي، محمد عطية، لغة العرب وكيف نهض بها، ص166.

مفرداتها، ما أثار تعجب شيخ المستشرقين الألمان " نولدكه" (Nöldeke) حيث قال :«إنّه لا بدّ أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات اللّغة العربية، عندما يعرف أنّ علاقات المعيشة لدى العرب بسيطة جدّاً، ولكنّهم في داخل هذه الدّائرة يرمزون للفرق الدّقيق في المعنى بكلمة خاصّة»¹ فأين لسائر اللّغات من السّعة ما للغة العرب؟ وذلك عن طريق الاشتقاق فهو «إحدى الوسائل الرائعة، التي تنمو عن طريقها اللّغات وتتوسّع، ويزداد ثراؤها في المفردات، فتتمكّن به من التعبير عن الجديد من الأفكار، والمستحدث من وسائل الحياة»²، فقد مهّد للعربية سُبُل التّوسّع، ومكّنها من مواكبة التّطوّر الحضاريّ والتّفاعل معه فهو يفيد التّوالد اللفظيّ في المعنى، أو التّداعي الحرّ للكلمات المشتقة، فمن خلاله تتجدّد العربيّة مع كلّ طور من أطوار الحياة مع توطيد الأصالة فيها، وقد احتلّت هذه الخاصيّة مكانة متميّزة من خلال ما تثيره من تميّز عن الألسن الأعجميّة.

والاشتقاق وسيلة من وسائل تنمية اللّغة يجعلها مرنة، سلسلة، طيّعة، ذلك لأنّها لغة الحرية كما يشير إلى ذلك قول الرّافعي «وكثره مشتقاتها — أي اللّغة العربيّة — برهان على نزعة الحرية وطموحها، فإنّ روح الاستعباد ضيق لا يتّسع، ودأبه لزوم الكلمة، والكلمات القليلة»³، فالعربيّة تقوم على إنتاج عدد كبير من الكلمات من جذر واحد، فالجذر (س ل م) مثلاً يدلّ على معنى متعارف عليه وهو (السّلم) وتتفرّع منه مفردات كثيرة من خلال التّغيّر الداخلي لحركات حروفه،

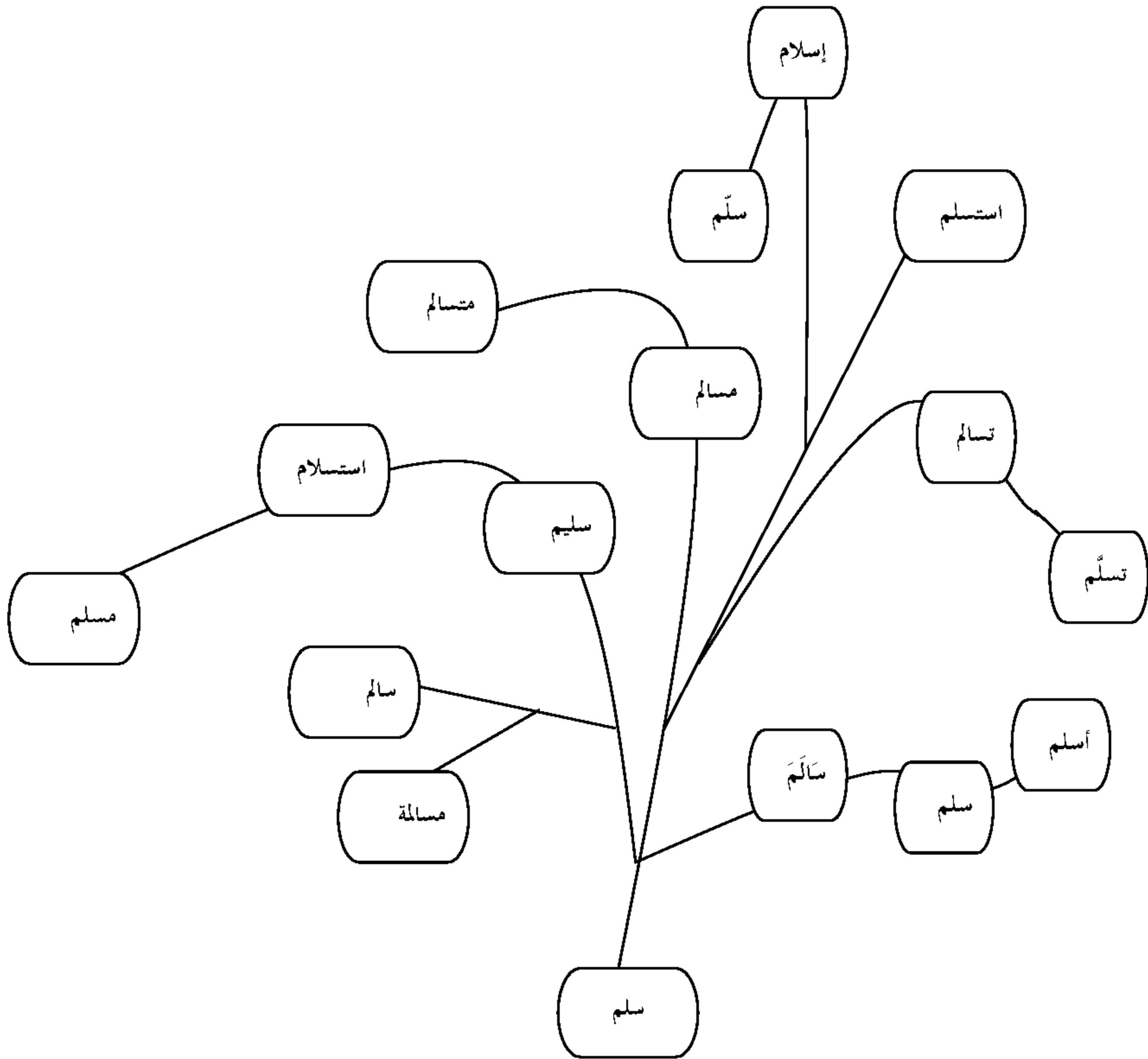
1- عبد العليم مصطفى أحمد، خصائص اللغة العربية بين القديم والحديث، ص 06.

2- رمضان عبد الثّواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 06، 1420هـ/1999م، ص 290.

3- الرّافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، ج. 3، ص. 28.

أو حتى بإضافة بعض الحروف إليه على النحو الآتي: (مسلم، سالم، سلّام، إسلام، مسالم، سلّم، سليم... إلخ).

هذه الظاهرة تشبه بالشجرة ذات الجذور القليلة والأوراق الكثيرة، وتسمى بـ"الفائض اللغوي"¹. فتكاثر المترادفات والأضداد و دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة لا يحدث إلّا من تفرّع ألفاظ اللغة ومعانيها بالتّمو والتّجدّد، وهذه الميزة تختصّ بها العربيّة وحدها.



1- ينظر، عبد العليم مصطفى أحمد، خصائص العربيّة بين القدم والحديث، ص (6،7).

الخطّ العربي:

يعد نظام الخطّ العربيّ أفضل النّظم الكتابية في جميع اللّغات فهو يتميّز ب:

أ - الخاصيّة الاختزاليّة: والمقصود بها الإيجاز الذي من مظاهره:

1 التّعبير عن الحركة الطّويلة برمز واحد لكلّ صوت مثل الياء في نبيل، والواو في رؤوف،

وفي المقابل نجد الانجليزيّة يعبر عنها برمزتين، مثل: moon، و sleep، door، meet.

2 التّضعيف أو التّشديد (ّ) الذي يمكّننا من الاستغناء عن تكرار الحرف مثال ذلك: سدّد،

جدّ، كفّ.

3 لا وجود لحروف صامتة تنطق ولا تكتب، ماعدا بعض الحالات النّادرة كالواو الملحقة ب

"عمرو"، وألف واو الجماعة ك"فتحوا"، واللّام الشّمسية "التّهار" بينما تنتشر هذه الحروف

ال(silent)، في اللّغة الانجليزيّة، كحرف (H) في كلمة school و(W) في Write و(T) في

listen و(K) في Know و(B) في Dowbet و(L) في follow و(S) في island

و(GH) في right، و through و slight و fight... وهكذا¹، دون قاعدة تضبط ذلك

وإنّما يتعارف عليها سماعيا وبالتّداول.

ويشيد بهذه الخاصيّة الاختزال والسهولة - المستشرق "ريتير" (Carl Ritter) أستاذ

اللّغات الشرقية بجامعة اسطنبول فيقول: «إنّ الطّلبة قبل الانقلاب كانوا يكتبون ما أملي من

1- ينظر، بيومي، سعيد أحمد، أمّ اللّغات، دراسة في خصائص اللّغة العربيّة والتهوض بها www.Kotobarabia.com ، ط.01،

1423هـ/2002 م، ص 43/42.

محاضرات بسرعة فائقة، لأنّ الخطّ العربيّ اختزالي بطبعه، أمّا اليوم فهم يفتأون يطلبون إعادة العبارات مرارا، وهم معذورون فيما يطلبون لأنّ الكتابة اللاتينية لا اختزال فيها» ثمّ أضاف «إنّ الكتابة، العربيّة أسهل كتابات العالم، و أوضحها، فمن العبث إجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السّهل، وتوضيح الواضح»¹، فالعربية تكتب كما تقرأ، في حين أنّ لغات أوروبا تختلف كتاباتها عن قراءتها.

وهذا الجدول يوضّح الفرق الكامن بين الكلمات القصيرة في العربية التي من فوائدها توفير الوقت والجهد والمال، فالنطق بالكلمات الصّغيرة أخفّ على اللسان وأسرع في الوقت وأكثر اختصارا في الكتابة من الكلمات الطويلة التي تقابلها في اللغات الأجنبية.

الكلمة في العربية وعدد حروفها	الانجليزية وعدد حروفها	الفرنسية وعدد حروفها	الألمانية وعدد حروفها	الإسبانية وعدد حروفها
أب 02	Father 06	Père 04	Vater 05	Padre 05
جد 02	Grand-Father 11	Grand-père 09	Großvater 10	Abuelo 06
أخ 02	Brother	Frère 05	Bruder 06	Hermano 07
مكتبة 05	Library 07	Bibliothèque 12	Bücherei 08	Biblioteca 10
جامعة 05	University 10	Université 10	Universität 11	Universidad 11
تسعون 05	Nine teen 08	Quatre vingt dix 14	Neunzig 06	Noventa 07

1- الطّويل، السيّد رزق، اللّسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة، دعوة الحقّ، العدد. 1407، 60، د/ 1986 م، ص 24.

وفي القرآن الكريم نجد كلمة "أنلزمكموها" سورة هود، الآية: 28. يقابلها سبع كلمات بالإنجليزية: Shall we compel you to accept it.. وكلمة "فأسقيناكموه" سورة الحجر، الآية: 22. تحوي (حرف عطف، وفعل، وفاعل، ومفعول أول، ومفعول ثان).

ب-دقته:

إنّ كل حرف في العربية يعبر عن صوت واحد فقط، ذلك أنّ «الكتابة صورة الصوت، فكّما كانت أكثر شبهاً به كانت خيراً»¹ كما جاء في قول فولتير Voltaire ، فنحن لا نجد رمزين يشيران إلى حرف واحد في اللغة العربية، كما هو موجود في الكتابة الإنجليزية، حيث تنطق (TH) ثاء في مثل Through، وذالاً في نحو Though، كما تنطق (PH) فاء في نحو Photo، و(ion) شينا في Education... إلخ.

كذلك فإننا لا نجد في اللغة العربية رمزا مكتوباً لا ينطق بغير قيمته الصوتية، فرمز (س) يدل على صوت واحد هو السين، أمّا في الإنجليزية نجد حرف الـ (C) ينطق سينا في City كما ينطق كافا في Cat، بينما (S) ينطق زايا في is وصادا في Salt، وشينا في Sure... إلخ.²

العلاقة الكامنة بين بعض الحروف ودلالة الكلمات التي ترمز إليها فالسين مثلاً في آخر الكلمة تدل على المعاني اللطيفة كالهمس والنّبس والتّنفس والحس...، وتدل الميم على التشديد والقطع، نحو: الحتم، الحسم، الجزم، العزم، الكظم...، وتدل الحاء على السّعة، نحو: الارتياح،

1- بيومي، سعيد أحمد، أم اللغات دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها، ص 43.

2- ينظر المرجع نفسه، ص 43.

والسّماح والفلاح والتّجّاح والفتح والصّفح والفرح...، أمّا الضّاد فخصّ بالشّؤم يسمّ جبين كل
لفظة بمكرهة لا يكاد يسلم منها اسم أو فعل، نحو: ضجر، ضر، ضجيج، ضوضاء، ضياع،
ضلال، ضنك، ضيق... إلخ.¹

4 صلاحيته لتدوين اللغات الأخرى:

يتميّز الخط العربيّ بالعالمية، وقد وصل إلى هذه المكانة بفضل القرآن الكريم الذي نزل عربيّاً،
والإسلام الذي هيّأ له أسباب الانتشار في جميع الأمصار والبلدان التي دخلها، وقد استعملته
شعوب غير عربية ف «انتشرت الحروف العربية بانتشار الحضارة الإسلاميّة وكتبت بها اللغات
التركية والفارسية والأوردية والأفغانية والكردية والتترية، والمغولية والبربرية والسّودانية والزنجية،
والسّاحلية كما كتبت بها لغة أهل الملايو، حدث هذا منذ ألف سنة ودوّنت به آدابها وعلومها
وفنونها»²، وقد عني المسلمون العرب بهذا الخط، فاتّخذوه فنّاً زخرفياً قائماً بذاته تُحلى به
المساجد، وتُنمق به الآثار، وحثوا على تدوينه وتحسينه فهذا أبو حيان يقول: «إنّ للخط الجميل
وشياً وتلويناً كالّتصوير وله التّماع كحركة الراقصين وحلاوة كحلاوة الكتلة المعمارية» ثم يضيف
«قد تكون صورة المداد في الأبصار سوداء، ولكنها في البصائر بيضاء»³، وتعدّدت أنواع الخط
العربي من الكوفي، النّسخ، الرقعة، إلخ.

1- ينظر العقاد، عباس محمود، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ص 43.

2- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، ص 67.

3- بيومي، سعيد أحمد، أم اللغات، ص 45.

وقد نظموا فيه الأشعار فبيّنوا فضله وحثّوا على تحصيله:¹

الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ لِلْبَارِي الْأَمَرِ .: وَخَالِقِ الْخَلْقِ وَمُجْرِي الْقَلَمِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالشُّفَا .: عَلَى الَّذِي حَازَ الْفَخَامَةَ وَالسَّنَا

مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ .: مَا دَامَتِ الْحُسْنَى لَهُ مِنْ رَبِّهِ

وَبَعْدُ فَالْخَطُّ عَظِيمُ فَضْلُهُ .: عِنْدَ الْإِلَهِ وَالْكَرَامُ أَهْلُهُ

وَقَدْ أَتَى الْحَثُّ عَلَى تَحْصِيلِهِ .: وَكَمْ دَلِيلٌ جَاءَ فِي تَفْصِيلِهِ

فَعِلْمُهُ فَخِيرُ الْفَنَى فِي الْخَلْقِ .: وَحُسْنُهُ مِفْتَاحُ بَابِ الرِّزْقِ

حَامِلُهُ لِأَخْلِيٍّ لَنْ نَافِعٍ .: وَجَابِرُهُ وَنَاصِرُهُ رَافِعٌ

وَيَنْبَهُ وَيُنْ كَسَلَانَ الْوَرَى .: فِي الْفَضْلِ مَا بَيْنَ الشَّرِّ وَالشَّرَى

وَأَحْسَنُ الْخَطِّ هُوَ الْمُنْسُوبُ .: إِلَى أَصُولٍ وَضَعَهَا مَطْلُوبُ

إلى درجة أن «بعض نصارى الغرب ينيّون كنائسهم بأحجار قد نقشت عليها آيات قرآنية

مما بقي من آثار العرب في الأندلس بعد خروجهم، وهم يجهلون أن هذه النقوش ليست سوى

1- موسوعة تراث الخط العربي، تح: هلال ناجي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط.1، 2002، ص 306.

آيات قرآنية»¹، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على روعة الخط العربي وسحر جماله الذي يأسر النفوس ويأخذ بالألباب.

ذلك لأنّ الحروف العربية كما يصرّح العقاد «أصلح من الحروف اللاتينية أضعافاً مضاعفة لكتابة الألفاظ والأصوات، لأنها تؤدي من أنواع الكتابة ما لم يعهد من قبل في لغة من لغات الحضارة»²، وهكذا تهيأت للغة العربية كل أسباب الفضل على كل مستويات الأداء في رسم الحروف، وكتابة الكلمات. فهذا البروفسور الفرنسي هنري لوسيل (Henri-Lucille)

يصرّح قائلاً وهو يدعو إلى تعليم العربية في المدارس الفرنسية «إن التلميذ أو الطالب يجد في اللغة العربية معاني لغوية تختلف اختلافاً كبيراً عن معاني الفرنسية أو اللاتينية أو أيّ لغة أوروبية وعن طريقها يتعرّف المتعلّم إلى عقلية العرب، يجد نفسه أولاً أمام الأبجدية العربية، وربّما كان فيها الأمر موضعاً للنقد، ولكنه سرعان ما يجد لها جاذبية خاصّة، ويستوقف نظري في الوقت نفسه سير الكتابة العربية من اليمين إلى الشمال، ولكن هذا السّير يبدو مطابقاً لحركة فسيولوجية أكثر اتّفاقاً مع الطبيعة،... إلخ»³ ومن ثمّ فإنّ للخط العربيّ في ثبات واستمرار لا نظير له في سائر لغات العالم التي تتعرّض للتّبديل والتّغيير ومردّد ذلك كلّّه إلى القرآن الكريم فقد حافظ المسلمون على خطهم حتى لا تشوبه أيّ شائبة تحول دون قراءة القرآن أو تذوّق بلاغته وإعجازه .

1- حسين محمد محمد، الإسلام والحضارة الغربية، دار الفرقان، د.ط، ص 201.

2- العقاد، عباس محمود، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ص 37.

3- خلاطي، محمد مزعل، اللغة العربية المعاصرة بين الطموح والتّحدي، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، قسم اللغة العربية، العدد الثاني عشر، ص 97.

وبعد، فهذا غيض من فيض، وقطرة من بحر هذه اللغة المجيدة الفذة التي ستبقى بإذن الله دوماً

نبراساً لأمتنا العربية الإسلامية في الوقت الذي ستبقى خصائصها الخالدة مفخرة من مفاخرها

وتراثها الحي المتجدد.

مكانتها:

1 من منظور الثقافة العربية الإسلامية:

تباهى الأمم جميعها بلغاتها، فتعددت كل منها مزايا لغتها ومناقبها وتفتخر بجانب متعلق بها، فمنها من تعتزّ باتساع ثروتها، وأخرى بوفرة مفرداتها... ولكن بدون أن تقيم حجتها على ذلك، أمّا الفصاحة العربية في دعوى أهلها كما يقرّر العقاد «مفخرة لا تشبه هذه المفاخر في جملتها، لأنّ دليلها العلميّ حاضر لا يتعسّر العلم به والتثبت منه على ناطق بلسان من الألسنة، ولا حاجة له في هذا الدليل إلى غير النطق وحسن الاستماع»¹، فهذه الدعوى لا تقوم على تعصّب قوميّ ولا على استمالة هوى، بل هي حقيقة جسدها الواقع وأقرّ بها العالم.

تمثّلت هذه اللغة بحر علم بلا سواحل، وسخاء وبذلا بلا حدود، سراجاً مشعاً بالعلوم والحكمة والأدب، على لسانها جرت ينابيع البلاغة وآيات الفصاحة وسحر البيان، ذلك أنّ هذه اللغة «بنيت على أصل يجعل شبابها خالداً عليها فلا تهرم ولا تموت، لأنّها أعدت من الأزل فلها دائراً للتّيرين العظيمين: كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ومن ثمّ كانت فيها قوّة عجيبة من

1- العقاد، عباس محمود، اللغة الشاعرة، نهضة مصر، د. ط، 1995، ص 45.

الاستهواء كأنّها أخذة السّحر، لا يملك معها البليغ أن يأخذ أو يدع»¹، فقد أضفى القرآن الكريم على اللّغة العربيّة مجدا تقاصرت دونه سائر اللّغات، وكان فتحا جديدا عليها.

ويؤكّد على ذلك الثّعالبيّ قائلا: «شرّفها الله عزّ اسمه وعظّمها، (يعني اللّغة العربيّة)، ورفع خطرها وكرّمها، وأوحى بها إلى خير خلقه، وجعلها لسان أمينه على وحيه، وأسلوب خلفائه في أرضه، وأراد بقاءها ودوامها حتى تكون في هذه العاجلة لخير عباده، وفي تلك الآجلة لساكني دار ثوابه»². فلولا القرآن لم تحظ اللّغة العربيّة بما حظيت به من تمجيد وتعظيم سواء كان ذلك من أبناءها العرب أو الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام، على نحو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)، وأحمد بن فارس (ت 395هـ)، وأبي حيّان التّوحيديّ (ت 414هـ) وغيرهم، الذين أشادوا باللّغة العربيّة تفضيلا وتقديما.

ومّا تحدّث به ابن فارس عن فضل العربيّة قوله: «لغة العرب أفضل اللّغات وأوسعها. قال

جلّ ثناؤه: ﴿وَلَنُزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾³. فوصفه جلّ ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان، وقال جلّ

ثناؤه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٢﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾⁴، فقد ذكر البيان على جميع ما تفرّد بخلقه وإنشائه،

1- بن رسلان، أبو عبد الله محمّد سعيد، فضل العربيّة، ص 107.

2- الثّعالبيّ، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل، ص 29.

3- سورة الشعراء (192-195).

4- سورة الرّحمان (3-4).

من شمس وقمر، ونجم وشجر، فلما حصّ جلّ ثناؤه اللسان العربيّ بالبيان* علّم أنّ سائر اللغات قاصرة عن اللغة العربيّة، وواقعة دونها»¹، وهو بيان متميّز تعجز عنه اللغات كلّها.

جاءت هذه اللغة العظيمة أوسع اللغات مدى، وأبسطها لساناً، وأصفها بياناً، ماتت لغات بموت أممها كاللاتينية والسريانية والآشورية، وبقيت العربية هي الوحيدة عبر العصور التي أمكنها الصمود، فالقرآن الكريم كان لها منعة وحصناً «فهو الكتاب الوحيد الذي احتفظ بلغته الأصليّة، وحفظها على قيد الحياة، وسيحفظها على مرّ الدهور، وستموت اللغات الحيّة المنتشرة اليوم في العالم كما ماتت لغات حيّة كثيرة في سالف العصور، إلّا العربية فستبقى بمنجاة من الموت وستبقى حيّة في كلّ زمان مخالفة التواميس الطبيعيّة التي تسري على سائر لغات البشر»²، ولم تعرف البشريّة على طول تاريخها لغة خلّدها كتابها سوى اللغة العربيّة.

فتح الإسلام للغة العربيّة سبيل الانتشار والتّوسّع، تتقدّم اللغات وتتبوّأ الصّدارة، فسارع المسلمون إلى تعلّمها، فتعلّمها كلّ إنسان دخل الإسلام لتأدية الشرائع والعبادات، ونقلوا إليها العلوم جميعها» وبينما كانت لغات الشّعوب المفتوحة في فقر مدقع، كان اللسان العربيّ في ذروته، فقد كانت الفارسيّة مهملة والقبطيّة مضطهدة، والسريانيّة والعبرانيّة في مركز الضّعف»³،

* البيان: «روى ابن عباس عن النّبي ﷺ أنّه قال: «إنّ من البيان لسحراً وإنّ من الشعر لحكماً»، قال: البيان: إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو الفهم، وذكاء القلب مع اللّسن، وأصله الكشف والظهور، قيل معناه: إنّ الرجل يكون عليه الحقّ، وهو أقوم بحجّته منة خصمه فيقلب الحقّ بيانه إلى نفسه»-ابن منظور، لسان العرب، ج.1، ص545.

1- ابن فارس، أحمد بن زكريا أبو الحسين، الصّاحيّ في فقه اللغة العربيّة ومساائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط01، 1418هـ/1997م، ص19.

2- الجنديّ، أنور، الفصحى لغة القرآن، ص33.

3- المرجع نفسه، ص45.

وكانت الأديان كلّها تقرّأ كتبها في لغات مختلفة، لا يختصّ بمعرفة الأصل إلّا طائفة قليلة من رجال الدين «أمّا المسلمون فقد اعتقدوا بحقّ أنّ لغة القرآن جزء من حقيقة الإسلام لأنّها كانت ترجمانا لوحي الله ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله ولسانا لدعوته»¹، فاللغة العربية ليست كباقي اللغات بحسبها لغة الفكر والثقافة، ولغة الصلّاة والعبادة.

ومّا استدلّوا به على أفضلية اللغة العربية أيضا أنّها: «السّابقة بالوصلة، والآخرة بالنبوّة»²، والمقصود ب "الوصلة"، هو محافظتها على خصائص اللغة السّامية الأصلية التي تفرّعت عنها اللّغات السّامية المختلفة.

وأما خصائصها الفريدة فجعلت منها لغة حيّة صالحة لكلّ زمان ومكان، ما تتالت العصور، وكرّ الدهور، كما قال العقّاد: «إنّ هذه اللغة العربية لغة الزّمن بأكثر من معنى واحد: لغة الزّمن لأنّها تحسن التعبير عنه، ولغة الزّمن لأنّها قادرة على مسايرة الزّمن في عصرنا هذا وفيما يلي من عصور»³. وغدت العربية لغة إنسانية بمفاهيمها وأفكارها، وتمكّنت من أن تكون -سيّدة اللغات اصطفاء وكمالا وعذوبة وبيانا- لغة حضارة واسعة اشتركت فيها أمم شتى، وكلّ فضل فازت به هذه اللغة فإنّما مرّده إلى القرآن الكريم، الذي فجّر علومها، ورسّخ دعائمها، وأبرز بياها تنشر من شمائلها ثمار المجد والسّودد.

1- الجنديّ، أنور، الفصحى لغة القرآن، ص45.

2- وافي علي عبد الواحد، فقه اللغة، ص187.

3- العقّاد، عبّاس محمود، اللغة الشاعرة، ص71.

2 من منظور استشراقي:

تبوّأت العربيّة مكانة رفيعة في قصور ملوك النورمان وقياصرة ألمان يا، فكانت اللغة السائدة فترة من الزمن، فهذا "فيلهم الثاني" ملك صقلية ينتقي مساعديه وأطباءه ووزرائه من بين العرب، وكان هو أيضا يقرأ ويكتب ويتكلّم العربية التي كانت لغة قصره، وكانت العربيّة لغة العلم والفلسفة لدى علماء أوروبا الذين كانوا يحرصون على تعلّمها في القرون الوسطى وبدء النهضة الأوربية فتعلّمها القدّيس الفيلسوف الإيطالي "توماس الاكويني" Tommaso d'Aquino¹.

أمّا في اسبانيا التي غزتها العربيّة حتّى قال عنها الكاتب الإسباني "الفارو": «كثيرون من أبناء ديني يقرأون أشعار العرب وأساطيرهم، ويدرسون ما كتبه علماء الدّين وفلاسفة المسلمين، لا ليخرجوا عن دينهم وإتّما ليتعلّموا كيف يكتبون اللّغة العربية... أين نجد اليوم مسيحيا عاديا يقرأ النّصوص المقدّسة باللّغة اللّاتينية؟ من منكم يدرس اليوم الكتاب المقدّس أو ما قاله الرّسل؟ إنّ كلّ الشّباب التّابه منصرف الآن إلى تعلّم اللّغة والأدب العربيين، فهم يقرأون ويدرسون بحماسة باللغة الكتب العربية، ويدفعون أموالهم في اقتناء المكتبات، ويتحدّثون في كلّ مكان بأنّ الأدب العربيّ جدير بالدراسة والاهتمام. وإذا حدّثهم أحد عن الكتب المسيحية أجابوه بلا اكتراث: «بأنّ هذه الكتب تافهة لا تستحق اهتمامهم» يا للهول، لقد نسي المسيحيون حتّى لغتهم ولن تجد بين الألف منهم واحدا يستطيع كتابة خطاب باللّغة اللّاتينية، بينما نجد بينهم عددا كبيرا لا يحصى يتكلّم

1- قاسم مولود، اللغة والشخصية في حياة الأمم، مجلة الأصالة، ص66.

العربية بطلاقة»¹، فلم يجدوا بُدًّا من الاندماج في الحضارة العربية التي سحرهم تقدّمها و ارتقاؤها، وكان عليهم إتقان اللّغة العربية لمسايرة هذا التّحضر.

وقد شهد على أفضليّة اللّغة العربيّة وتميّزها عن غيرها من اللّغات علماء ومفكّرون غربيّون فضلا عن أهلها: «ولو أنّ هذا الكلام عن أفضلية العربيّة وتميّزها صدر عن العلماء العرب وحدهم لقليل إنّه تعصب ومفاخرة، فكيف إذا قاله كبار علماء الغرب ومستشرقوه؟ والحقّ ما شهدت به الأعداء»². فمن هؤلاء المستشرقين الذين أشادوا بالعربية نذكر:

1 فيلا سبازا (Villa Spaza): «...واللغة العربيّة من أغنى لغات العالم بل هي أرقى من لغات أوربا لتضمنها كل أدوات التعبير في أصولها في حين أنّ الفرنسيّة والإنجليزيّة والإيطاليّة وسواها قد تحدّرت من لغات ميّنة ولا تزال حتّى الآن تعالج رمم تلك اللّغات لتأخذ من دمائها ما تحتاج إليه»³.

2 روفائيل (RAPHAEL): يتحدّث عن العربية وهو الذي يجيد تسع لغات وهي: العربية، الإنجليزيّة، الفرنسيّة، الألمانيّة، الهنديّة، الآراميّة، العبريّة، الفارسيّة، والرّوسيّة في كتابه "The Arabes Men"، الذي صدر في نيويورك سنة 1976 م: «إنّني أشهد من خبرتي الذاتية أنّه ليس ثمة من بين اللّغات التي أعرفها لغة تكاد تقترب من العربيّة سواء في طاقتها البيانيّة أم في قدرتها على أن تخترق مستويات الفهم والإدراك، وأن تنفذ وبشكل مباشر إلى المشاعر،

1- هونكه، زيفريد، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط.1401، 5/د 1981 م، ص 529.

2- عبد العليم مصطفى أحمد، خصائص العربيّة بين القديم والحديث، د.ط، د.س، ص 63.19

3- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، ص 308.

والأحاسيس، تاركة أعمق الأثر فيها، وفي هذا الصدد فليس للعربية أن تقارن إلّا

بالموسيقى»¹، ولعلّ هذه المقارنة تشير إلى عالمية العربية ذلك أن الموسيقى لغة عالمية، كما توحى إلى جاذبية هذه اللغة التي تأسر النفوس بجمالها ورقّتها وعذوبتها، وكذلك تفعل الموسيقى.

3 لويس ماسنيون (Louis Massignon): «... واللغة العربية هي التي أدخلت في

الغرب طريقة التعبير العلميّ والعربيّة من أنقى اللغات، فقد تفرّدت بتفرّدها في طرق التعبير العلميّ والفنيّ والصّوفي... ولم تبق لغة أوربية واحدة لم يصلها شيء من اللسان العربيّ المبين حتى اللغة اللاتينية الأم الكبرى، فقد صارت وعاء لنقل المفردات العربيّة إلى بناتها»².

أمّا المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه* (Sigrid Hunke) التي تتسم كتاباتها بنوع من الإنصاف فقد أشادت باللغة العربية أيما إشادة فذكرت أنّ كلّ من يعتنق الإسلام عليه تعلّم هذه اللغة وتستطرد قائلة: «وكان من الطّبيعي أن تصبح اللغة العربية لغة للإدارة والسّياسة والقانون بل لغة للتّجارة والمعاملات وجمهور النّاس، ومن ذا الذي يريد أن يخرج عن لغة الجماعة؟ وكيف يستطيع أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السّليم وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة، حسبما كان يشكو أساقفة إسبانية بمرارة. فلقد اندفع النّاس الذين بقوا على دينهم في هذا التّيّار يتعلّمون اللغة العربية بشغف، حتى أنّ اللغة القبطيّة،

1- الطويل، السيّد رزق، اللّسان العربيّ، والإسلام معا في معركة المواجهة، ص24.

2- أمين عثمان، فلسفة اللغة العربية، محاضرات الملتقى الرّابع للتعرف على الفكر الإسلاميّ، ص190.

*- زيغريد هونكه Sigrid Hunke: مستشرقة ألمانية معاصرة، زوجة المستشرق الألماني الذي تعمق في دراسته آداب العرب والإطلاع على آثارهم ومآثرهم وقد قاما بزيارة عدد من البلدان العربية ودرستها دراسة فاحصة من آثارها: (أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية) وهو أطروحة تقدمت بها لنيل الدكتوراه من جامعة برلين، و(شمس الله تسطع على الغرب) الذي ترجم بعنوان: (شمس العرب تسطع على الغرب)، وهو ثمرة سنين طويلة من البحث والدراسة. ينظر، يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين www.akottob.com

مثلا ماتت تماما. بل إنّ اللغة الآرامية، لغة المسيح قد تخلّت إلى الأبد عن مركزها لتحتلّ مكانها لغة محمد¹.

ونختم بقول "جان جوك روسو" (Jean-Jacques Rousseau) في (الإسلام والحضارة العربية (71/1)) لمحمد كرد علي: «من الناس من يتعلّم قليلا من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه، ولو أنّه سمع محمّدا يُملّيه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرّقيقة، وذلك الصّوت المقنع المطرب المؤثّر في شغف القلوب، ورآه يؤيّد أحكامه بقوة البيان، لخرّ ساجدا على الأرض وناداه: أيّها النّبيّ رسول الله، خذ بأيدينا إلى مواقف الشّرف والفخار، أو مواقع التّهلكة والأخطار، فنحن من أجلك نودّ الموت أو الانتصار»². إنّ سلطان الحقّ يصدع بكلّ قوّة، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ (١٨) (الأنبياء).

18).

تبوّأت لغة الضّاد مكانة متميّزة بين لغات العالم، مترلة رفيعة تبرّر مشروعية اصطفاؤها من بين اللّغات الأعجميّة لأن تكون المنطوق الرّسمي للقرآن الكريم والسّنة الشريفة كثوابت أصولية شرعية للأمة العربية الإسلامية، وبالتالي فإنّ: «اللسان العربيّ هو المترّه من بين الألسنة من كلّ نقيصة والمعلّى من كلّ خسيصة والمهذب ممّا يستهجن أو يستنشع»³ تغلب على جميع الألسنة وأثر

1- هونكه زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 367.

2- التّميمي، ثابت الخطيب، في موكب اللغة الخالدة، عمّان، دار الفاروق، ط.1، 1429هـ/2008م، ص.11.

3- بن رسلان أبو عبد الله محمد سعيد، فضل العربية، ص240.

في معاجمها، فلم تبقى لغة واحدة لم يطلها شيء منه حتى اللغة اللاتينية التي تمثل الأم الكبرى صارت وعاءاً لنقل الكلمات العربية.

بهذه المكانة أضحت اللغة العربية من المخاطر المهددة للمد الاستعماري، وللهيمنة الغربية، فكان لزاماً حصارها ووضعها في قفص الاتهام بتقييض منزلتها والطعن في ماهيتها وقيمتها، وهي في أغلبها مساعي استشراقية، تفتن لها أعلام الفكر العربي وحاولوا مواجهتها ومجابهتها.

لأن زوال أي لغة من اللغات يبقيا جميع مقوماتها، بيد أن زوال اللغة العربية «لا يبقى للعربي أو المسلم قواماً يميزه عن سائر الأقوام، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم، فلا تبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان»¹. فالثابت الذي لا شك فيه هو أن اللغة العربية جزء من كيان لا ينفصل عن الشخصية المهيمة.

وبعد فإن الاعتزاز بهذه اللغة التي تمثل هويتنا، ودستور كتابنا، وقوام شخصيتنا، اعتزاز بالإسلام، والمحافظة عليها محافظة على الذات الإسلامية، تولد لغات وتموت، وتبلى أخرى وتنقرض، وتبقى العربية تزهو في العصور دونها كل اللغات. فقد ضمن الله لها الخلود بقوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر 9).

1- أمين عثمان، فلسفة اللغة العربية، محاضرات للتعرف على الفكر الإسلامي، ص 190.

❖

❖

❖

❖

-

مفهوم الاستشراق

يُعد الاستشراق ظاهرة فكرية حديثة، انبثقت عن نهضة علمية حضارية شهدتها الغرب منذ قرون خلت، كانت بمثابة شعلة من النور تهدي أهل تلك البلاد إلى سبيل العلم والتّحضر، من خلال الارتكاز على الإرث الحضاريّ لبلاد الشرق، مع العلم أنّهما (بلاد الشرق، بلاد الغرب) مختلفان تماماً من حيث الأصول البشرية، والفكرية والدينية، وحتى العادات والتقاليد. فما هو مفهوم الاستشراق؟

أ - المفهوم اللّغوي: اشتقت كلمة "استشراق" من مادة "شرق"

نقول: شرقت الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت.

وأشرقت الشمس إشراقاً، أي: أضاءت وانبسطت على الأرض و"التّشريق": الأخذ في ناحية المشرق، ونقول: "شرقوا"، إذا ذهبوا إلى الشرق¹.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ (الزّمر 69)

وجاء في معجم متن اللّغة: "استشرق" طلب علوم الشرق ولغاتهم (مولدة عصرية) ويقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة².

1- ينظر، ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص 2244.

2- رضا أحمد، معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، مجلد 03، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1378هـ/1959م، ص 310.

ب -اصطلاحاً: هو «علم يدرس لغات شعوب الشرق وتراثهم وحضارتهم ومجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم»¹، وهو يعني بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق وخاصة الإسلامي منه في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وحضارته بصفة عامة ذلك لأن: «الوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب إنما هو "علم الشرق" بل نستطيع أن نقول إن غرض هذا العلم الأساسي ليس مقصوراً على مجرد درس اللغات أو اللهجات أو تقلبات تاريخ بعض الشعوب، كلاً بل من الممكن أيضاً أن نقول أنه بناء على الارتباط المتين بين التمدن الغربي والتمدن الشرقي»². وذلك خدمة لأغراضه الخفية وهي محاربة الإسلام والمسلمين بتنصير شعوبهم واستعمار بلدانهم.

ج -وهناك تعريفات أخرى تعبّر بطريقة فريدة عن أيديولوجية معينة كما هو الحال عند "ادوارد سعيد" الذي يقول: «إن الاستشراق يمكن أن يناقش ويحلل بوصفه المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق، التعامل معه بإصدار تقديرات حوله، وإجازة الآراء فيه، وحكمه، وبإيجاز الاستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستتائه وامتلاك السيادة عليه»³.

1- فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، القرون الإسلامية الأولى، دراسة مقارنة بين وجهة النظر الإسلامية ووجهة النظر الأوروبية، الأهلية للنشر والتوزيع، ط.1، 1998م، لبنان، ص30.

* كان الهدف من هذا الإطلاع العام الذي يشمل كل الشرق والشرقيين، مسلمين وغيرهم للتمويه عن الهدف الرئيسي المتمثل في دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين لخدمة أغراضهم التنصيرية والاستعمارية تحضيراً لمحاربة الأمة الإسلامية وتخطيطها وتفتيت وحدتها/ينظر، الميداني، عبد الرحمن حسن حنكه، أجنحة المكر الثلاث، ص120.

ونجد المستشرق الألماني "يوحنا رايسكة" في مقدمة كتابه "المدخل العام إلى التاريخ الإسلامي" 1747م يرفض المصطلح السائد - شرقي - لعدم دقته، ويقترح استبدالها بعبارة (محمدي أو مسلم)، فالأمر يتعلق حسب رأيه بتاريخ المسلمين عموماً، وليس في الشرق فقط، بل وفي إفريقيا وأوروبا أيضاً -ينظر، عمر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن، دراسة نقدية لمناهج المستشرقين، مركز دراسات العالم الإسلامي ط. 1، 1991م، ص196.

2- سما يلوفتش أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، 2001، ص24.

3- سعيد ادوارد، الاستشراق، المعرفة، السلطة، الانشاء، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2003، 6، ص17.

أما "المستشرق" فهو كلّ عالم غربيّ يعمل على دراسة الشّرق كلّ في لغاته وآدابه وأديانه وحضاراته¹، ويعرّف أيضا بأنّه: «كل من تجرّد من أهل الغرب لدراسة بعض اللّغات الشّرقية، وتقصى آدابها طلبا لتعرف شأن أمة أو أمم شرقية، من أجل أخلاقها وعاداتها وتاريخها ودياناتها أو علومها وآدابها أو غير ذلك من مقوّمات الأمم»².

عمد المستشرقون إلى دراسة العلوم الإسلاميّة فوقّفوا أعمارهم خدمة لأهدافهم، وهم يحتلّون مكانة رفيعة من الإعجاب والإجلال في أوساط الغرب، يُقام لآرائهم ونظرياتهم في البحوث الإسلاميّة في الشّرق وزن كبير، وقد «ظلت الدّراسات الإسلاميّة لمُدّة طويلة مشروعا أوربيا لا يرتبط فقط بكتابات أدبية نقدية، ودراسات تاريخية، وبخاصّة في الدّراسات الكلاسيكية والانجليزية، ولكن ترتبط بالحقيقة التي مفادها أنّ ثمة مواجهة في تاريخ معظم الدّول الأوروبية مع الشعب الإسلاميّ على الأرض الأوروبية، أو في البحر المتوسّط أو في مستعمراتها»³، وهكذا استمرت جهود المستشرقين مركزة على دراسة الإسلام، ولغته، وترجمة القرآن الكريم، وكل ما يتعلق به.

1- ينظر، عميرة عبد الرّحمان، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التّبشير وضلال الاستشراق، دار الجيل، بيروت، د.ط، ص 90.

2- قميحة جابر، أعداء الإسلام ووسائل التّضليل والتّدمير، دار التوزيع والنشر الإسلامي، مصر، ط 1، 1423هـ/2002م، ص 89.

3- حسين آصف، صراع الغرب مع الإسلام، استعراض للعداء التقليديّ للإسلام في الغرب، تر. مازن مطبقاني، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط 1، 1434هـ، ص 79.

لمحة حول نشأة الاستشراق:

يصعب علينا تحديد تاريخ معيّن لبداية الدّراسات الاستشراقية لكن المؤكّد عندنا أنّها بدأت برحلات الرّهبان الغربيّين إلى الأندلس إبان عظمتها ومجدها ، والتي أهرقتم حضارتها وأذهلتهم علومها، فراحوا يتثقفون في مدارسها، وينهلون من مواردها، وكان من أبرزهم الرّاهب الفرنسيّ "Gerbert" الذي انتخب بابا لكنيسة روما سنة "999م"، بعد عودته من بعثته التّعليمية في الأندلس، وأيضا "بطرس المحترم" أوّل من عنيَ بترجمة القرآن الكريم¹.

نشأت الدّراسات الاستشراقية نشأة كنسيّة روّادها رهبان وقساوسة عملوا على نشر الثقافة العربية وعلومها في أوساطهم الغربية التي تبحث عن عوامل تحضّر المسلمين ونبوغهم، وأسباب نهضتهم ومجدهم من أجل فكّ طلاسّم هذا السّرّ الكامن وراء القوّة الحضارية والفكرية النّادرة الوجود التي ميّزت الحضارة العربية الإسلاميّة في أوجّ قوّتها وعنفوانها والتي تستمدّها من الإيمان والعلم، فبعد فشل الغرب في الحروب الصّليبية علّمَ يقينًا أنّ الصّراع العسكري لم ولن يُفضي إلى النتيجة المرجوّة منه لذلك عمد إلى دراسة علمية تضمن الغوص والوصول إلى أعماق العالم الإسلاميّ فِكرا وعقيدة، هو غزوٌ آخر في ثوب جديد يُظهر عكس ما يُضمّر.

1- ينظر، الميداني، عبد الرّحمان حسن حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التّبشير، الاستشراق، الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق، ط.8، 1420هـ/2000م، ص . 122.

أمّا الغرب المسيحيّ فيؤرّخ لبدء الاستشراق بصدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام "1312م"

بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في اللغة العربية والعبرية والسّرّانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولنيا وسلامنكا¹.

استمرت جهود المستشرقين في دراسة الإسلام ، ولم يعد الاستشراق محصوراً على دواعي الانتفاع بعلم العرب ومدنية الشرق، بل خرج عنها إلى دواعي أخرى تنصيرية واستعمارية، وحتى سياسية وتجارية، وفي القرن الثامن عشر تمّ استعمار العالم الإسلامي والاستحواذ على الكثير من مخطوطاته وخبراته، وفي الرّبع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أوّل مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873م².

1- ينظر، فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، القرون الإسلامية الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1998م، ص 31.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص31.

المبحث الأول: نظرة المستشرقين للغة العربيّة:

لكلّ أمة حضارة تمجّدها وتفتخر بها وتروي إليها عبر الأجيال ، فالحضارات « كيانات ثقافية وليست كيانات سياسية أو هي الكيان الثقافي الأوسع الذي يضمّ الجماعات العرقية والدينية والأمم وفيها يعرف الناس أنفسهم بالنسب والدين واللغة والتاريخ والقيم والعادات... إلخ»¹ ولأنّ اللغة سبيل الحضارة حيث كانت تنقش على الجدران والآثار وتنقل العلوم والأسرار تحتمّ دراستها. وأمّا اللغة العربية فوعاء شامل لكامل مقوّمات الشخصية العربية الإسلامية، ولا سبيل للتسلّل إلى المسلمين إلّا بمعرفة لغتهم وتعلّمها ودراساتها وفهمها والتعمق فيها لأنّها أهمّ عناصر قوّتهم، تمثّل بوابة علومهم، ولا عجب في ذلك إذا علمنا أنّ اللغة العربية هي مفتاح الشرق، فمن خلالها يمكن الولوج إلى هذا العالم الذي بقي ثابت الأركان عصيّاً على الغرب طيلة قرون عديدة، فقد كانوا ولا ريب متعطّشين لهذه العلوم، منبهرين بهذه الثقافة، ومذعنين لهذا الحكم ذلك لأنّه «لا سبيل لإرساء نهضتها-أي أوربا- إلّا على أساس من التراث الإنساني الذي تمثله الثقافة العربية فتعلّموا العربية، ثمّ اليونانية، ثمّ اللغات الشرقية للنّفوذ منها إليه»²، ولقد كانوا في دأهم المتواصل يحاولون ما استطاعوا من قوّة إضعاف هذه اللغة، وتوسيع الهوة بينها وبين أهلها.

فقد واجه الغرب المسلمين مواجهة فكرية خفية دون سلاح ، لأنّهم اقتنعوا بأنّ المواجهة المسلّحة لم تعد تجدي نفعا، ومن ثمّ فلا بدّ من طريقة أخرى أكثر نجاعة وأمضى في بلوغ الهدف،

1- عفيفي أحمد، اللغة وصراع الحضارات، ص 29.

2- العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج1، ص 104.

فكر لويس التاسع بجدية وعمق وتمحّص حتى انتهى به فكره إلى وضع خطة مبدئية للسياسة التي

تمكّن أوروبا المسيحية من مواجهة الإسلام والمسلمين، هذه الأخيرة قامت على أمور أربع وهي:

أولاً: تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات سلمية تستهدف الغرض نفسه لا فرق في

الهدف إنّما يكمن الفرق في نوع السلاح المستخدم، ويتمثل سلاح الحملات الجديد في الدس

والمكر بين العرب، وإثارة الخلافات والشبهات والفتن بينهم ، والحرص على بقاءها ملتهبة بين

صفوف المسلمين.

ثانياً: العمل على تجنيد المنصرين الغربيين في معركة سلمية هادئة تستهدف تعاليم الإسلام وأهمّ

مقوماته ومنها لغته، للحدّ من انتشاره، ثمّ القضاء عليه معنوياً.

ثالثاً: تفعيل سياسة الإغراء وذلك باستخدام مسيحي الشرق وذو النفوس الضعيفة لتنفيذ

أهداف الغرب.

رابعاً: إنشاء قاعدة مركزية للغرب في قلب الشرق العربيّ دعامة لسياسته، ومنطلقاً لتحقيق

مراده لكيما يحاصر الإسلام في بلاده.¹

فإذا ما تمّ لهم ما خططوا له من غزو فكري وثقافيّ كانت ضحيتهم مركبا ذلولا يصرفها

طوع بنانه، ومرتعا سهلا يفعل به ما يريد.

1- ينظر، بصري أحمد، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم-دراسة نقدية- دار القلم للطباعة والنشر، ط.1، 2009، الرباط، ص21.

علم الغرب كما قالت "زيغريد هونكه": «بأنّ كل الشعوب التي حكمها العرب اتّحدت بفضل اللغة العربية والدين الإسلاميّ وذابت بتأثير قوّة الشخصية العربيّة من ناحية وتأثير الرّوح العربيّ الفدّ من ناحية أخرى، في وحدة ثقافية ذات تماسك عظيم»¹، وأدركوا أيضاً أنّه ما دامت الأُمّة الإسلاميّة على صلة وثيقة باللّغة العربيّة فإنّها ستبقى مرتبطة بالقرآن الكريم والإسلام معتزة به، خادمة له، متوحّدة بدينها ولغتها، هذه الوحدة التي تقض مضاجعهم وتخافي جنوبهم ف»
الحركات الإسلاميّة تتطوّر عادة بسرعة مذهلة تدعو إلى الدهشة فهي تنفجر انفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبيّن المراقبون من إماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة في أمر فالحركات الإسلاميّة لا ينقصها إلّا وجود الزّعامة لا ينقصها إلّا ظهور صلاح الدّين الجديد»²، فهم يدركون أنّ وحدة الأُمّة الإسلاميّة تمثّل قوتهم وعلوّ شأنهم ومن أهمّ دعائم هذه الوحدة اللغة العربيّة.

فالصّراع إلى هذا النّحو صراع حضاري من أهمّ وسائله لغة الآخر-أي العدو- التي تعتبر مفتاح الدخول إلى هذه الحضارة بغية نسخها وطمسها أو إيقاف مدّها على أقلّ تقدير، ونتيجة لهذا وجب على أوربا تعلّم اللغة العربيّة حتى تحقّق أهدافها ومراميها كونها لغة الدين الإسلاميّ، ولغة مجده وتراثه، ودراستها دراسة مستفيضة «فقد وجد الطلبة الانكليز في الهند لدى دراستهم لغات مسلمي الهند ومدنيتهم، أنّ أبحاثهم وتنقياتهم تحتمّ عليهم دراسة العربيّة التي هي أساس

1- زيغريد، هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص. 13.

2- نجما فاطمة هدى، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان، لبنان، ط. 1، 1413هـ/1993م، ص 209.

الثقافة الإسلامية في أيّ لغة من اللغات»¹، ومن ثمّ تنبّهوا إلى أهمية اللغة بوصفها سلاحاً فتاكاً يضاهي الأسلحة الحربيّة.

ومن أعمالهم «إنشاء مدارس لغات يتم فيها تأهيل الموظفين والضباط والمفاوضين والأطباء والمراسلين، وكذلك الفتيات الأوروبيات التي يمكن تزويجهن لاحقاً بزعماء شرقيّين»² فمع تغيّر سلاح الحرب تغيّر الجنود كذلك، من منصّرين في زيّ أطباء وموظّفين، ومفاوضين في صورة فتيات أوروبيات، هذه الجهود كلّها مبعثها الخوف من توسّع رقعة الإسلام الذي أشعّ نوره في جميع بقاع العالم.

تيقّن الغرب بأنّ الانتصار على اللغة العربية هو انتصار على الإسلام، ورأى بأنّها هي التي أخذت بالعرب قدماً نحو المجد والكمال لما وصلت إليه المدنية الإسلامية، حيث جعلت من بغداد ودمشق وقرطبة حواضر للعلم والثقافة، بلغت هذه المدن أوج رقيّها فذاع صيتها وتمّافت المستشرقون والغربيون إليها من كل مكان وفرادى وجماعات ولا مجال للشكّ «في أنّ دراسة اللغة العربيّة هي الأساس الرّصين لدراسة الحضارة العربيّة والتعمّق في فهم العالم العربي»³ وبدأت لهم "اللغة العربيّة" مفتاحاً للغز الشرق يلجّون بها إلى حضارته ودينه وثقافته، ووسيلة لفهم أفكاره وأسلوب عيشه وأسراره والدّخول إلى أعماق أعماقه لأنّها ملاك كل ذلك، فالصّراع صراع لغوي بالدرجة الأولى يفضي إلى صراعات كبرى تنحدر عن هذا الصّراع.

1- عمارة إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدّراسات العربيّة، عمان، دار حنين، 1992م/1412هـ، ط.2، ص 20.

2- المرجع نفسه، ص 19.

3- م.ن، ص 16.

مفهوم الصّراع اللّغويّ:

يعرّف الصّراع اللّغويّ بأنّه «خلق شعور قوميّ وإيجاد روح الانتماء والولاء للغة ما ضدّ لغة أخرى، بالتّحريض ضدها والمساعدة على ازدهارها، والحثّ على هدم لغة الآخر والتّيل منها بإضعافها، وخلق الكراهية للتّحدّث بها»¹، وسببه التّعصب، والإيمان بضرورة هدم الآخر بأيّ وسيلة، وذلك استهانة بقيمه ومبادئه وثقافته، وهو نوع من أنواع صراعات الحضارات إن لم يكن أهمّها «فكل حضارة ترى نفسها مركزاً للعالم وتكتب تاريخها وكأنّه الدّراما الرّئيسية في التاريخ الإنسانيّ»²، فطبيعة هذا الصّراع هو إلغاء ثقافة الآخر وهويته وفكره ولا يكون ذلك إلّا عن طريق اللغة، والتّتيحة تحسم بالبقاء للأقوى لغة وفكراً وثقافة.

ذكر ابن حزم في كتاب "الإحكام" سنة من سنن الكون في سقوط اللغة، فقال: «إنّ اللغة يسقط أكثرها ويبطل، بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو تنقلهم عن ديارهم، واختلاطهم بغيرهم، فإنّما يقيّد لغة الأمّة وعلومها وأخبارها قوّة دولتها، ونشاط أهلها وفراغهم، وأمّا من تُلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوّهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذلّ وخدمة أعدائهم فمضمون منهم موت الخاطر، وربّما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبيود علومهم، هذا موجود بالمشاهدة، ومعلوم بالعقل والضرّورة»³.

1- عفيفي، أحمد، اللغة وصراع الحضارات، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د.ط، د.س، ص03.

2- المرجع نفسه، ص39.

3- محمد الخضر حسين، في العربية وتاريخها، المكتب الإسلامي، مكتبة دار الفتح، دمشق، ط02، 1380هـ/1960م، ص21.

فاللغة ناقلة للثقافة، حاملة لروح الحضارة التي تعبّر عنها هذه اللغة، فهي المحركة لفعل المعرفة، ومن خلالها نتعرف على الآخر وبما يتم الهجوم عليه، يقول مارك دانروز (Mark Andrews) «إن وراء اللغة ثقافة، والمطلوب منّا هو العثور على استراتيجية لا دفاعية فقط، بل البحث عن استراتيجية هجومية»¹، أصبح الصّراع اللغوي من أخطر الصّراعات الفكرية بين الأمم التي يكيدها العدو فيخطط إلى إلغاء الآخر واقتلاع جذور تاريخه من خلال إدراك الغير ثمّ الهجوم عليه في مواطن ضعفه.

ويرى اللغويون بأنّه لا يمكن للغة أن تتغلّب على لغة إلاّ إذا توفرت الشروط الآتية:²

- 1- أن تكون اللغة الغالبة، لغة شعب متحضّر، أرقى من الشعب المغلوب، في حضارته وثقافته، وأقوى منه سلطاناً وأوسع نفوذاً.
- 2- أن تبقى غلبة الغالب زمناً كافياً، مع استمرار قوّته، لتتمكّن اللغة الغالبة من بسط نفوذها، ويتم لها نصر حقيقيّ.
- 3- أن تكون هناك جالية كبيرة العدد والنّفوذ، تقيم بصفة دائمة في بلاد الشعوب التي غلبت لغتها، وتمتزج بأفراد هذا الشعب، ولا تعيش إطلاقاً في عزلة عنه.

1- عفيفي أحمد، اللغة وصراع الحضارات، ص12.

2- عبد التّواب رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 177.

المبحث الثاني: دواعي اهتمام المستشرقين باللغة العربية:

تعدّ اللغة مدخلا من أهمّ مداخل الاستشراق حتّى قال أحدهم «الاستشراق علم يختصّ بفقهِ اللغة خاصّة»¹، وتتجلّى العلاقة القوية بين الاستشراق واللغة العربية في الاهتمام الكبير، والواضح الذي أولاه المستشرقون لهذه اللغة من خلال تعلّمها ودراساتها كونها سلاحا من أقوى الأسلحة التي تغزو الأفكار والمبادئ والأصول ذلك أنّ: «اللغة فكر وثقافة ودين وعبادة»² ويجدر بنا القول بأنّ تقسيمنا لدواعي الاستشراق لتعلّم اللغة العربية وتعليمها لا يعني فصل هذه الدواعي عن بعضها البعض، فهي غالبا ما تتداخل وتتعاون لتصير كتلة واحدة تعبّر عن الرّوح الاستشراقية التي وإن اختلفت اتّجاهاتها فهي تستهدف دائما العالم الشرقيّ الإسلاميّ بشكل أو بآخر.

وفي ما يلي محاولة للوقوف على أهمّ الدواعي التي دفعت بالمستشرقين إلى الاهتمام باللغة العربية وتعلّمها:

1 - الدّواعي الحضاريّة.

2 - الدّواعي العلميّة.

3 - الدّواعي التنصيريّة.

4 - الدّواعي الاستعماريّة. - الجزائر.أ نموذج.

1- عميرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون والمناهج اللغوية، دار حنين، عمان، ط.2، 1992م، ص15.

2- الجندي، أنور، أخطاء المنهج الغربي الوافد، في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، الموسوعة الإسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني، ط.1، 1974م، ص256.

1-الدّواعي الحضاريّة:

كانت العلاقة بين الشّرق والغرب عبارة عن صراع مسلّح دائم متواصل عبر التّاريخ، يلهب ويخمد، يشتد ويضعف، غير أنّ هذا الصّراع لم ينفع أوروبا في بدايته فقد «كان من نتائج اضطراع الشّرق والغرب منذ قرون مضت، وإلقاء العرب الرّعب في قلوب الأوروبيّين، أن صار الأوروبيّون يشعرون بمذلة الخضوع للحضارة العربية التي لم يتحرّروا من سلطانها إلّا منذ زمن قريب»¹ ذلك أنّ الإسلام ارتقى بالمسلمين، فقوّى إيمانهم، فعظمت شكوتهم، فلا يثنيهم عن عزيمتهم شيء، فالشّهادة في سبيل الله سبيلهم إلى الجنّة تخص لها أنفسهم وأموالهم.

واحتل الشرق مكانة رفيعة في العلم فبينما كانت أوروبا غارقة في ظلمات الجهل وغياب الظّلام، كان العلم في بلاد المسلمين منارا يُهتدى به، وسبيلا يُقتدى به، لقد كان علم المسلمين بالنسبة إليهم كنسبة النور الساطع في الظّلام ﴿لِلنَّارِ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ

وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (هود 24) ذلك أنّ «الحضارة التي أقامها العرب في

أقلّ من مائة سنة، وهي من أنضر الحضارات التي عرفها التّاريخ، ليس ممّا يأتي عفوا، وأنّه كان للعرب قبل الإسلام حضارة لم تكن دون حضارة الآشوريين والبابليين تقدّما، وكان للعرب، عدا الآثار القليلة التي كشف عنها، لغة ناضجة وآداب راقية... فالعرب الذين هذا شأنهم كانوا لا ريب، من ذوي القرائح التي لا تتم إلّا بتوالي الوراثة وبثقافة سابقة مستمرة، والعرب الذين صقلت

1- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص12.

أدمغتهم على هذا الوجه استطاعوا أن يبدعوا حضارتهم الزاهرة بعد خروجهم من جزيرتهم في مدّة قصيرة»¹.

ولم تتفطن أوروبا في العصور الوسطى إلى ضرورة تعلّم "اللغة العربية"، وهذا ما نصّ عليه قول المستشرق رينو (Reinaud) حينما صرّح قائلاً: «والمسيحيّون من جهتهم لم يكونوا ليفكّروا في تلك العصور التي ساد فيها الجهل والبربرة في بلدتهم في تعلّم اللّغة العربيّة، والتاريخ لا يحدثنا في هذا السّياق إلّا عن كاهن واحد وهو رئيس "سانت جال" واسمه هارتموت Hartmote الذي كان درس في حوالي سنة 880م اللّغة العربية إلى جانب العبرية واليونانية»² فجهلهم باللّغة العربية أدّى بهم إلى جهل الإسلام وما جاء فيه من سماحة وعدل، وإلى عدم فهم كتابه العزيز، دستور المسلمين، يقول بلاشير (Blachère) «جهلهم بالعربيّة قد منع عنهم كلّ اتصال مباشر بالرسالة القرآنية»³، كما يؤكّد على ذلك أيضا المستشرق الإنجليزي اربري Arberry الذي عاب على الصّليبيين عدم انتفاعهم بالنّاحية الثّقافية في حرب الأعداء فيقول: «ولكن من الغريب أنّ المحاربين الصّليبيين يبدو كأنّهم أهملوا فرصتهم لتعلّم لغة أعدائهم»⁴.

واستمرّ الحال على ما هو عليه مدّة طويلة «ودامت همجية أوربة البالغة زمنا طويلا من غير أن تشعر بها، ولم يبد في أوربة بعض الميل إلى العلم إلّا في القرن الحادي عشر وفي القرن الثاني عشر

1- لوبون، غوستاف، حضارة العرب ص13.

2- عمايرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، دار البشير، الأردن، ط.1، 1417هـ/1996م، ص22.

3- المرجع نفسه، ص22.

4- عمايرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدّراسات اللّغوية، ص18.

من الميلاد، وذلك حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم فولّوا وجوههم
شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم»¹.

ويُقرُّ هذه الحقيقة يوهان فوك (Johan Vuk) بقوله: «ثم أخذ بعض أهل العلم يؤمّنون
الشرق، ليحصلوا على مخططات عربية من استانبول، ودمشق وغيرها من مدن الشرق، ولتعلم اللغة
العربية في هذه المنطقة»²، وأصبحت حضارة العرب قبلة لأوروبا التي أيقنت أخيراً أن المعرفة هي
السلاح الوحيد الذي يمكنها من مواكبة الشرق، وتحقيق مآربها، ومن ثم يقول
ديتريش (Dietrich) «أخذت (أي أوربا) تبحث في حضارات الشرق، وتخضعها لدراسة علمية
موضوعية، ولذلك كانت دراسة اللغات والتعمق فيها ضرورة لا مناص منها»³، فعمدت إلى
دراسة اللغة العربية مفتاح الولوج إلى حضارة الشرق وفهم تراثه وثقافته، لتحوّل المعركة مع
المسلمين بعد ذلك من حرب سافرة مسلّحة، توقظهم من سباتهم وتعيدهم إلى أسس دينهم وتبعث
فيهم الأنفة والنخوة إلى حرب خفية مقنّعة تخامر عقولهم وتأخذ بأفئدتهم، تمثّلت في غزو فكريّ
ونفسيّ وحضاريّ وعقائديّ، فقاعدة المخطّطين تقول: «إذا أربك سلاح عدوك فأفسد فكره
ينتحر به»⁴ هذه إذن معركة الحضارات تستلزم دراسة اللغة العربية وإتقانها والغوص في علومها
وجواهرها لكي يتسنى للآخر أن يفهم الحضارة الإسلامية التي طالما دوّخته وسلبت لبّه وذهبت

1- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص586.

2- عمايرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، ص18.

3- المرجع نفسه، ص18.

4- ينظر، الميداني، عبد الرحمن حسن جبنة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير، الاستشراق، الاستعمار، ص24.

بمجده فيعمل جاهدا على إيقاف مدّها، وإحداث جوّ الاضطراب فيها، إن لم يتمكّن من استئصالها كلياً.

واستأثرت العربية باهتمام الكنيسة لشرح الغامض من نصوص الكتاب المقدّس، فالإقبال على العربيّة لم يكن عبثاً أو صدفة، فقد شهد العصر الوسيط للعرب بالعلم بالعلوم القديمة من أدب، وفلسفة، وفلك، ورياضيات... فكان رقيهم عنوان حضارتهم، واتّجهت أنظار الزائرين والمتلمذين نحوهم، وشدّت إليهم الرّحال¹. فالعربية في ذلك الزمان لغة الرّقيّ والحضارة والمدنية، بوابة الخلاص من الجهل والتّخلف إلى نور العلم والمعرفة، وبدا الانتقال من الحضارات الأخرى إلى الحضارة العربيّة، انتقالاً من الخمول إلى النّشاط ومن الظلام الدّامس إلى النّور المبين.

تمّ إنشاء مكتب للمترجمين في طليطلة عام "1130م" ينقل أهمّ كتب العرب إلى اللّاتينية تحت رعاية رئيس الأساقفة "ريمون Raymond"، ولم يقتصر الغرب على ترجمة مؤلفات علماء العرب، كالرّازي وأبي القاسم وابن سينا وابن رشد... إلخ إلى اللّغة اللّاتينية، بل نقلت إليها أيضاً كتب علماء اليونان التي كان المسلمون قد ترجموها إلى لغتهم الخاصّة ككتب أفلاطون، أرسطو، أقليدس²، وهكذا استعان الأوربيّون بالعربية لمعرفة الفلسفة اليونانية، يقول آبري: «كان من فخارها-أي العربية-أنّها صارت الوسطة التي نقل بها أرسطو و جالينوس اللّذان كانا قد آلا إلى

1- ينظر، فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، الدّراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، نقله عن العربية، عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط.2، 2001م، ص. 10.

2- ينظر، لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص. 587.

النسيان»¹. وقد بين ألبرت ديترش الظروف التي أرغمت أوروبا على المواجهة الثقافية التي تفرض معرفة اللغة بوصفها سلاحاً مهماً في هذا المجال حيث قال: «عندما توغل الأتراك حاملوا لواء الإسلام وقتذاك في قلب أوروبا، شعرت أوروبا بضرورة دراسة لغات العالم الإسلامي»² حتى تعرف طرق تفكيرهم وتتمكن من مواجهتهم.

كانت قرطبة قبلة لطلاب العلم شرقاً وغرباً تدهشهم بمدارسها العليا ومكتباتها العظيمة التي جمع لها الخليفة الحكم الثاني، نصف مليون من الكتب القيمة، وكذلك مكتبة القاهرة التي حوت مليونين ومئتين من المجلدات، فما كان منهم إلا الدهشة والذهول يقول جربرت فون أورياك **Gerbert Von Aurillac** الذي ارتقى كرسي البابوية في روما عام "999م" باسم البابا سلفستر الثاني متحسراً «إنه لمن المعلوم تماماً أنه ليس ثمة أحد في رومة له من المعرفة ما يؤهله لأن يعمل بواباً لتلك المكتبة، وأتى لنا أن نعلم الناس ونحن في حاجة لمن يعلمنا، إن فاقده الشيء لا يعطيه»³ هكذا توالى اعترافات الغربيين عن فضل العرب ولغتهم عليهم، وعلى حضارتهم ومدنيتهم، يؤكد على هذا المعنى جواهرلال نهرو (Jawaharlal Nehru) فيقول في كتابه "لمحات عن تاريخ العالم" مشيداً بفضل علماء المسلمين الأوائل «كانوا بحق آباء العلم الحديث، وإن

1- عمارة، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير، الأردن، ط.1، 1417هـ/1996م، ص.379.

2- المرجع نفسه، ص.379.

3- هونكه، زيفريد، شمس الغرب تسطع على الغرب، ص.353.

بغداد تفوّقت على العواصم الأوروبية ماعدا قرطبة عاصمة اسبانيا العربية، وإنّه كان لابدّ من وجود ابن الهيثم وابن سينا والخوارزمي والبيروني لكي يظهر جاليلو وكبلر وكوبرنيك ونيوتن¹.

وأتصل الغرب بالحضارة العربية اتّصالاً فعليّاً ملموساً مع ظهور طلائع المستشرقين وجلّهم

من الرّهبان، ك ان من أوائلهم جربر دي اورلياك (938-1003) **Jerbert De**

Oralliac وهو من الرّهبانية البندكتية (المؤسسة عام 529م)، قصد الأندلس وتعلّم على يد

علمائها، حتّى أصبح أوسع عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، وبفضل تفوّقه هذا تدرّج في

السّلك الكهنوتيّ حتّى انتخب حبراً أعظم باسم سلفستر الثاني 999م، فكان أوّل بابا فرنسي، فأمر

بإنشاء مدرستين عربيتين، الأولى في "روما" مقر خلافته، والأخرى في "رايمس" وطنه، وهو من بثّ

الأعداد العربية في أوروبا، وقد ترجم بعض الكتب الرياضية والفلكية، وله دراسة عن أقليدس

بالعربية².

هكذا كانت ثقافة العرب وحضارتهم نبراساً يهدي التّائهين، وجوهراً يسرّ الناظرين، وأمّا

لغتهم فالسّيل القويم أثّرت في اللّغات اللّاتينية، فألف دوزي و أنجلمان (Dozy and

Angelman) معجماً في الكلمات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية، وأثّرت في

الفرنسية، حتّى قال سيديو (Sejdiu) «أنّ اللّهجات السّائدة لولاية أوڤرن وولاية ليموزان

1- المطغي، عبد العظيم إبراهيم محمد، افتراءات المستشرقين على الإسلام، عرض..ونقد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط.01، 1413هـ/1992م، ص142.

2- ينظر، العقيلي، نجيب، المستشرقون، ج1، ط.04، دار المعارف، ص110.

الفرنسيّتين محشوّّة بالكلمات العربية، وأنّ أسماء الأعلام فيهما ذات مسحة عربيّة»¹، أمّا زيغريد هونكه فتقول: «أجل، إنّ في لغتنا كلمات عربيّة عديدة، وإنّا لندين-والتاريخ شاهد على ذلك- في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب. وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زيّنت حياتنا بزخرفة مُحبّبة إلى النفوس، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب، الذي كان يوما من الأيام قائما كالبحا باهتًا»²، وقلّ من المستشرقين من يُقرّ بفضل العرب ولغتهم.

وبعد، فإنّ الحضارة الغربيّة مدينة في تقدّمها وتحضرها للمدنية العربية وإن كانوا يحددون ذلك ويرفضونه فهناك من بني جلدتهم من يعترف بفضل العرب على الغرب، فهذا غوستاف لوبون يعترف بأنّه «إذا كانت هناك أمة نقرّ بأنّا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمان القديم فالعرب هم تلك الأمة، لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتّى اسم اليونان، فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافا أبديًا.

ويقول مسيو ليبري (Monsieur Libériens) «لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ، لتأخّرت نهضة أوربا في الآداب عدّة قرون»³. ثمّ يضيف في موضع آخر «كان للحضارة الإسلامية تأثير عظيم في العالم، وإنّ هذا التأثير خاص بالعرب وحدهم فلا تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التي اعتنقت دينهم، وإنّ العرب هذبوا البرابرة الذين قضوا على دولة الرّومان بتأثيرهم

1- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص457.

2- هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ص20.

3- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص588.

الخلقيّ، وإنّ العرب هم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلميّة والأدبيّة والفلسفيّة بتأثيرهم الثقافيّ، فكانوا ممدّنين لنا وأئمة لنا ستة قرون»¹.

ونختم بقول كويلر يونج Guyler Young أستاذ العلاقات الأجنبيّة بجامعة "برنستون" في محاضرة ألقاها في مؤتمر الثقافة الإسلاميّة في واشنطن عام "1953م" وكان موضوع المحاضرة "أثر الثقافة الإسلاميّة في المسيحية": «وبعد... فهذا عرض تاريخي قصدت به التذكير بالدين الثقافيّ الذين ندين به للإسلام، منذ أن كنّا نحن المسيحيّين داخل هذه الألف سنة نسافر إلى العواصم الإسلاميّة، وإلى المعلمين الإسلاميّين، ندرس عليهم العلوم والفنون وفلسفة الحياة الإنسانيّة ولن نتجاوز حدود العدالة إذا نحن أدينا ما علينا وبربّه وسنكون مسيحيّين حقّاً إذا نحن تناسينا شروط التّبادل وأعطينا في حبّ واعتراف بالجميل»²، فحضارة المسلمين كانت سخية معطاءة على الشّعوب كلّها.

1 الدّواعي العلميّة:

لما كانت اللغة ركيزة أساسية من ركائز الأُمّة بأبعادها الحضاريّة والاجتماعيّة، فقد ساهمت العربية تقدّم العرب العلميّ وحياة العربيّ المتعلّقة ببيئته التي تفرض عليه التّأمل والتّفكير فقد «عاش العربيّ في أرض قاحلة، تلهب الشمس رمالها، فاتّخذ النّجوم دليلاً، والعلم مرشداً، واستطاع أن يجمع علم العالم في أقل من مائة عام، كما استطاع أن يفتح نصف العالم في أقل من مائة عام

1- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص 601.

2- المطغي، عبد العظيم ابراهيم محمّد، افتراءات المستشرقين على الإسلام، عرض..ونقد، ص 142.

أيضا، وترك لنا في حمراء غرناطة آثار علمه وفنّه، آثار مجده وفخاره»¹، وامتاز العربي بحبّ المعرفة والتّطلع إلى الآفاق البعيدة، فنهل من بحارها، وأضاف إليها ذلك لأنّ «الشغف بالعلم، والتّعطش الدائم لارتداد مناهله، صفات امتاز بها هؤلاء العرب، وهي التي تمّدّ عبقرياتهم بالقوّة ويعشقون الحرية ويتطلّعون دوماً إلى المثل العليا بدون تعصّب ولا تزمت»²، لذا أخذ العلم النّصيب الأوفر من المسلمين إبان عصورهم الزّاهية، فحفظوا للعالم العديد من المعارف والثقافات والعلوم التي كان مآلها الضياع والهلاك لولا التّراجم العربية التي مكّنت العالم الحديث من الاطّلاع عليها.

ولولا اللغة العربية التي انتشرت بإقبال الناس عليها فرادى وجماعات يتدارسونها، وينهلون من علومها، لما قامت لهذه العلوم والمعارف قائمة وفي هذا الشأن يؤكّد الإبراهيمي: «إنّ كثيرا من العلوم التي بُنيت عليها الحضارة الغربية لم تصلها إلا عن طريق اللغة العربية بإجماع الباحثين منّا ومنهم، وإنّ المنصفين ليعترفون للغة العربية بهذا الفضل على العلم والمدنية ويوفونها حقّها من التّمجيد والاحترام، ويعترفون لعلماء الإسلام بأنّهم أساتذتهم في هذه العلوم عنها أخذوها وعن لغتهم ترجموها وإنّهم يحمّدون للدّهر أن هيأ لهم مجاورة المسلمين...»³.

وفي الوقت الذي كانت تشهد فيه اللغة العربية مع أهلها أوجّ ازدهارها وعنفوانها، كانت أوروبا في المقابل غارقة في أوحال الجهل وغياب الظلام، والحقيقة «بأنّ عهد الجهالة قد طال في أوربا العصور الوسطى وأنّ بعض العقول المستنيرة فيها لما شعرت بالحاجة إلى نفّس الجهالة عنها،

1- الشرقاوي، محمود، الإسلام وأثره في الثقافة العالمية، رابطة العالم الإسلامي، ربيع الآخر 1416هـ، العدد. 160، ص 06.

2- المرجع نفسه، ص 06.

3- الإبراهيمي، أحمد طالب، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 377.

طُرقت أبواب العرب يستهدونهم ما يحتاجون إليه لأنّهم كانوا وحدهم سادة العلم في ذلك العهد»¹، ويؤكد على ذلك غوستاف لوبون حين يقول: «لم يكن عند أولئك البرابرة ما يفيد الشرق ولم ينتفع الشرق منهم بشيء في الحقيقة»²، فلم يكن في وسعهم مدّ يد المساعدة للعرب لأنّهم كانوا أدنى منهم ثقافة وحضارة.

واعترف بعض علماء الغرب بأنّ الحضارة العربية الإسلامية كانت نبراسا للعلم ينهل منه الغرب المظلم العلوم والمعارف حتى بلغوا ما هم عليه الآن من التقدم والازدهار «فإلى العرب، وإلى العرب وحدهم، لا إلى رهبان القرون الوسطى ممن كانوا يجهلون حتى وجود اللغة اليونانية، يرجع الفضل في معرفة علوم الأقدمين، والعالم مدين لهم على وجه الدّهر لإنقاذهم هذا الكثر الثمين، وأنّ جامعات الغرب لم تعرف لها، مدّة خمسة قرون، موردا علميا سوى مؤلفاتهم وأنّهم هم الذين مدّنوا أوربا مادّة وعقلا، وأخلاقا، وأنّ التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وأنّه لم يفقههم قوم في الإبداع الفني»³.

بينما كانت هذه «اللغة - العربية - في القرون الوسطى يوم كان العالم كلّ يتخبّط في ظلمات الجهل هي اللغة الوحيدة التي احتضنت العلم وآوته ونصرته»⁴، وما لبثت العربية أن أصبحت لغة العلوم على امتداد العالم، وكل من يريد ارتياد هذه العلوم يتحتّم عليه العبور إليها عبر جسر اللغة العربية لأنّها «لغة الدّراسة والبحث للكثير من العلماء والفلاسفة الأوروبيين الذين

1- الشرقاوي، محمود، الإسلام وأثره في الثقافة العالمية، ص 58.

2- لوبون غوستاف، حضارة العرب، ص 346.

3- الشرقاوي، محمود، الإسلام وأثره في الثقافة العالمية، ص 58/59.

4- الإبراهيمي، أحمد طالب، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، ص 378.

مهّدوا لعصر النهضة التي أدّت بدورها إلى انطلاق أوربا ذلك الانطلاق لم يكن ليتّم لولا منطلقه الحقيقيّ ألا وهي الحضارة الإسلاميّة التي كانت لغتها العربية»¹، حيث أنارت الحضارة العربية الإسلاميّة الدّرب لأوروبا فكانت بمثابة النّور في العتمة، وانقشعت بها غياهب الجهالة في كل مكان حلّت بها، فأخرجت العالم من الظلمات إلى النّور.

ومهما يكن فإنّ «العربية لم تخدم مدنية خاصّة بأمة، وإنّما خدمت المدنية الإنسانيّة العامّة، مدنية الخير العام والنّفع، ولم تخدم علما خاصّا بأمة خدمت العلم المشاع بين البشر بجميع فروع النّافعة»²، فتجسّدت العربية في ذلك المورد العظيم الذي لا بدّ من الغوص في مكنوناته للنّهل من كنوزه ومعارفه.

أعجب الأسبان بثقافة العرب وحضارتهم وأرسلت الدول الأوروبيّة الأخرى الرّهبان والقساوسة لطلب العلم والمعرفة من الجامعات العربيّة المنتشرة في ربوع اسبانيا وخاصّة جامعة قرطبة التي كانت قبلة طلاب العلم يفدون إليها من جميع الأصقاع³. وهكذا تمّ لهم تعلّم اللغة العربيّة، اللغة العالميّة في تلك الفترة الزّمنية، وتعلّم العلوم المدوّنة بها، ومّا ساعد على ذلك حرص المسلمين على نشر هذه العلوم بدافع من دينهم السّمج.

1- عمارة، إسماعيل أحمد، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، ص 41.

2- الإبراهيمي، أحمد طالب، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج.1، ص 378.

3- ينظر، الحاج، ساسي سالم، نقد الخطابات الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلاميّة، ج.1، دار المدار الإسلاميّ، ط.1، 2002 م، ص.41.

ولم يقتصر العرب على «ترقية العلوم بما اكتشفوه، فالعرب قد نشروها، كذلك بما أقاموا من الجامعات وما ألفوا من الكتب، فكان لهم الأثر البالغ في أوروبا من هذه الناحية، ولقد كان العرب أساتذة للأمم المسيحية عدّة قرون، وإنّا لم نطلّع على علوم القدماء والرومان إلا بفضل العرب، وأنّ التعليم في جامعاتنا لم يستغن عمّا نُقِلَ إلى لغاتنا من مؤلّفات العرب»¹ هكذا أشاد المستشرق غوستاف لوبون بفضل العرب في نشر العلوم وفتح الجامعات في البلاد المفتوحة.

ولا جرم أنّ اللغة العربية هي «التي سهّلت لهذه الأمم المختلفة أسباب العلم والمدنية ومهّدت لها الطرائق المؤدّية إليها حتى أخذت كل أمة حظها منها»²، فأصبح الأوروبيّ وهمّه الوحيد محاكاة العربي المسلم في تفكيره، وأسلوب عيشه، والتّحدث بلسانه، حتى ينتمي إلى المثقفين المتحضّرين بإتقانه اللغة العربية.

هذه الصّورة المشرقة للعالم الإسلاميّ ساءت بعض الغربيين وضاعت صدورهم بها حتى صاح أحدهم قائلاً «وا أسفاه، إنّ الجيل الناشئ من المسيحيّين الأذكياء لا يحسنون أدبا غير الأدب العربيّ واللغة العربية، وإنّهم ليلتهمون كتب العرب، ويجمعون منها المكتبات الكثيرة بأعلى الأثمان، ويترنّمون في كل مكان بالثناء على الذخائر العربية في ما يسمعون بالكتب المسيحية فيأنفون من الإصغاء إليها محتجين بأنّها شيء لا يستحقّ منهم مؤنة الالتفاف»³، وبلغ إعجاب الغرب بالحضارة الإسلاميّة ولغتها مبلغا عظيما، لما تحمله في طيّاتها من كنوز العلم والمعرفة.

1- الشرقاوي، محمود، الإسلام وأثره في الثقافة العالمية، ص 59.

2- الإبراهيمي، أحمد طالب، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج.1، ص 378.

3- العقاد، عباس محمود، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار النهضة، مصر، طبعة خاصّة، 1998م، ص 59.

وأصبحت اللغة العربية «في النّصف الثاني من القرن الثامن للميلاد لغة العلم عند الخواص في العالم المتمدّن، وحملت لواء التقدم الصّحيح وحافظت على تفوّقها واحتلالها مركز الصّدارة بين جميع الألسن الأخرى»¹، وبات واجبا على كل طالب شغوف بالعلم تعلّم العربية أوّلا لتحصيل ذلك العلم، ومن هؤلاء العالم الإنجليزي روجر بيكون Roger Bacon (1215 – 1292م) الذي درس اللغة العربية وعلومها، وكان دائم التّصريح بأنّ تعلّم اللغة العربية وعلم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقّة².

فرضت العربية نفسها على جميع البلاد التي فتحها المسلمون وقامت مقام اليونانية واللاتينية والسّريانية... وغيرها، وحتى البلاد التي احتفظت بلغتها على نحو الفرس والتّرك لم تجد بدا من اتّخاذ العربية لغة للعلم والأدب، وقبل مُضي القرن الثاني الهجريّ دوّنت علوم الفرس والهنود واليونان جميعها باللغة العربية³. وأدركت أوروبا أنّها لا تستطيع أن تنهض وتتخلّص من الحكم العربيّ المسيطر عليها والجاثم على أنفاسها إلا بالعلم مصدر قوّة المسلمين الذي به جثت أوروبا تحت أقدامهم ولا سبي إلى مجاهتهم إلا بالحدو حذوهم.

أصبح الشرق قبلة علميّة للشباب الغربيّ المتعطّش للنّهل من روافده التي لا تنضب «فهرع العلماء إلى طليطلة، وقرطبة واشبيلية وغرفوا من معين الثقافة العربية، وساعدت حركة الترجمة التي

1- الشرقاوي، محمود، الإسلام وأثره في الثقافة العالمية، ص 40.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص 41.

3- ينظر، المرجع نفسه، ص 42.

قام بها اليهود إلى نقل العديد من الكتب العربية القيّمة إلى اللغة اللاتينية»¹ وتوالت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية، وتعرّف الغرب على هذه الثروة العلميّة الزّاهرة، واعتمدوا عليها في بناء حضارتهم، وكونوا طليعة من المستشرقين متخصصّة في الدّراسات الإسلاميّة.

بيد أنّ الدافع إلى هذه الدراسات، لم يكن دافعا علميّا محضاً، وإنّما كان وسيلة للدافع الحقيقيّ، فمعرفة علوم المسلمين وثقافتهم تؤدّي بهم تدريجياً إلى فهمها، وبالتالي مقارعتها والرّد عليها.

ومن هؤلاء الذين اتّجهوا إلى بلاد المسلمين لأخذ العلم "إدالار" (Adalan) الذي درس في الأندلس وسوريا، وكان ذلك في القرن الثاني عشر، فترجم إلى اللاتينية كثيراً من الكتب الفلكية، والرياضية عن العربية، ونجد كذلك: "دانييل أوف مورلي" (De Daniel Morley) الذي استهان بالجامعات الغربية فغادرها متّجهاً إلى الأندلس، وكان ذلك في القرن الثاني عشر أيضاً² وكان يبحث عن فلاسفة العالم الأكثر حكمة.

وانحصر عمل المستشرقين في هذه الآونة على ترجمة الكتب العربية، حيث يقول غوستاف لوبون: «ولم يظهر في أوربة، قبل القرن الخامس عشر من الميلاد، عالم لم يقتصر على استنساخ كتب العرب، وعلى كتب العرب وحدها عوّل روجر بيكن وليونارد اليزي وارنون القيلنوقي وريمون لول وسان توما وألبرت الكبير... إلخ، قال مسيو رينان: «إنّ ألبرت الكبير مدين لابن سينا

1- الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلاميّة، ص42.

2- عمارة، إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية، ص32.

في كل شيء، وإنَّ "سان توما" مدين في جميع فلسفته لابن رشد»¹، وبقيت كتب العرب خاصّة العلميّة منها، المصدر الوحيد للتّدرّيس في جامعات أوروبا، ودام تأثير العرب في العلوم إلى أيامنا هذه على نحو كتب "ابن سينا" في الطب، والتي شرحت في أواخر القرن الماضي في مونبلييه².

أمّا الفيلسوف الفرنسي "ارينيه جينو" (René Guénon) الذي أسلم وتسمى "عبد الواحد يحيى" فيقول: «والأثر الواضح الذي يثبت لنا انتقال المؤثرات الثقافية من المسلمين إلى أوروبا هو تلك الكلمات العربية الأصل التي تستعمل لنقل الأفكار»³ فقد غزت المفردات العربية البلدان الأوروبية، فاقتبست فرنسا وإيطاليا من العرب الكثير من المصطلحات "البحرية"، مثل: Amiral, Chaloupe, Felouque, Boussole، وأخذوا عن حكومة بغداد وحكومة قرطبة التعابير الإدارية، مثل: Bazar, Aides, Taille, Tarif، والصيّد: Chasse, Maute, Laisse، وأهمّ من ذلك كلّ مصطلحات العلوم، فعلم الفلك مملوء بالتّعابير العربية، مثل: Azimuts, Z'enith, Nadir، وأسماء الكواكب: Aldébaran, Rigel، وكذلك الأمر بالنسبة للرياضيات والطب والكيمياء⁴...

واعترف عدد من المستشرقين بفضل العرب في تكوّن الحضارة الغربية، نذكر منهم "بريفولت" Brevolt الذي يقرّر في حسم وإصرار: «إنّ ما يدين به علمنا (أي علم أوروبا) لعلم العرب ليس هو ما قدّموه لنا من اكتشافاتهم لنظريات مبتكرة غير سالفة، إنّ العلم يدين للثقافة

1 - لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص 589.

2 - ينظر، لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص 589.

3 - الشرقاوي/ محمود، الإسلام وأثره في الثقافة العالمية، ص 59.

4- ينظر، لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص 457.

العربية بأكثر من هذا: إنه يدين لها بوجوده»¹، أمّا "سيديو" (Sejdiu)، فيصرّح: «إنّ العرب المسلمين كانوا أساتذة أوربا كلّها في جميع فروع المعرفة، وإنّ ما شيّد من المدارس والجامعات في أرجاء دولتهم كان يوقد مصباح الحضارة ما بين الشرق الأقصى وبين هر كول (مضيق جبل طارق) ناشرا آثار العلم العربي في كل مكان، عاملا على تحديد الدّم في عروق العالم، ونحن مدينون للعرب في الحقل العلمي»²، إذن فالمسلمون العرب هم مصدر الحضارة الأوروبيّة ومنبعها، ما يبرز عطاء الإسلام وسخاءه على الإنسانيّة جمعاء.

وفي المقابل بذل عدد من المستشرقين حياتهم وجهدهم في خدمة العلوم الإسلاميّة، بروح علميّة مجردة، دفعهم إلى ذلك ذوقهم وشغفهم بالعلم، تمكنوا من إبراز كثير من نواذر العلم والمعارف، من هؤلاء نذكر "آرنلد" (Arnold) صاحب الكتاب القيم "الدّعوة إلى الإسلام"، و"إدوارد لين" (Edward William Lane) صاحب المعجم الكبير المنسوب إليه المعروف بـ: "Arabic-English l'exicon" لشرح المواد العربية بالإنجليزية، شرحا موسّعا يعتمد عليه، ويستفيد منه كثير من علماء اللغة العربية والتّحقيق، إلى جانب المستشرق "أ.ي. ونسك" O.Ä. Wansink صاحب المعجم المفهرس العام التفصيليّ الذي وضع للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدوّنة في كتب الأئمة الأربعة عشر الشهيرة، وكتب السّيرة والمغازي المشهورة،

1- الجندي، أنور، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق، د.ط، 1397هـ/1978، ص 372.

2- المرجع نفسه، ص 373.

هذا الكتاب الذي نقله إلى العربية "فؤاد عبد الباقي" وسمّاه "مفتاح كنوز السنّة"¹، هذه المؤلفات جميعها تدل على عناء المؤلفين وجهودهم الجبّارة التي يعتقد على الأرجح أنّها متجرّدة، خالصة من الأهواء مصاحبة للحقّ.

وبقيت اللغة العربية لقرون عديدة لغة العلم الأولى في العالم بأسره إلى أن بدأت شمس الحضارة العربية بالغروب، وبدا نجمها بالأفول، وذلك بعد سقوط الأندلس، لتشرق بعد ذلك في أوروبا وتنقلب الآية.

2 الدّواعي التّصيريّة:

تبنت الكنيسة البدايات الأولى للدراسات الاستشراقية، وليس أدلّ على ذلك من تمّافت الرّهبان والقساوسة بشكل خاص على تعلّم اللغة العربية، ومختلف العلوم المتعلّقة بها فلم يكن الاستشراق «عملاً علمياً محضاً، بل إنّ المراد منه هو الرّد على الإسلام، والتبشير* بالنّصرانية بين المسلمين، ذلك بتراجم عربية للإنجيل»²، يقول يوهان فوك «وقد كانت فكرة التّبشير هي الدّافع

1- ينظر، التّدوي، السيّد أبي الحسن الحسيني، مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقون، إعداد سيد عبد الماجد الخوري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط. 01، 1423هـ/2002م، ص 29.

* مصطلح "التّصير" هو المصطلح الذي يُعبّر بحقّ عن جوهر هذا الهجوم الصّليبي، وليس "التبشير" الذي أطلق على حركة نشر المسيحية قبل الإسلام، وانتهى دور هذه الشارة الدّالة على الدّعوة للدّيانة المسيحية ببعثة النّبي محمّد ﷺ «ومن يتنغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» (آل عمران-85)، ينظر: ممدوح حسين، مدخل إلى حركة التّصير، دار عمّار، عمّان، ط. 1، 1416هـ/1995م، ص. 06.

2- الجبري، عبد المتعال محمد، الاستشراق وجه للاستعمار الفكريّ، مطبعة المدني، القاهرة، ط. 01، 1416هـ/1995م، ص. 17.

الحقيقيّ خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية»¹، وذلك بسبب تلاشي الأمل في تحقيق نصر نهائي بقوة السلاح.

إنّ عجز الحروب الصليبيّة عن تحقيق النصر على العالم الإسلاميّ وديانته أرغم الغربيّين على التفكير في خطة أخرى أنجع تمكّنهم من هدفهم، تمثّلت في حركة التنصير والتي تحتم بداهة تعلّم لغة الآخر ولا يتأتّى ذلك إلّا إذا حذق المنصّر اللغة العربية، واطلع على التعاليم والأحكام الإسلاميّة من خلال كتابه المقدّس². وهذه الجهود إنّما تبذل لإيجاد الثغرات التي تمكّنهم من التسلّل إلى أفكار المسلمين وبثّ الشكوك في نفوسهم لتذليل المهام للمنصّرين.

وأخشى ما يخشاه المنصّرون هو-وحدة المسلمين- تحت لواء القرآن الكريم وسنة نبيّه الأمين معتمدين بحبل الله، مستميتين طلباً للشهادة في سبيله فإذا «اتّحد المسلمون في إمبراطورية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً، أمّا إذا بقوا متفرّقين، فإنّهم يظلّون حينئذ قوة وبلا تأثير»³، فهم يرون أنّ «الخطر الحقيقيّ كامن في نظام الإسلام، وفي قوّته على التوسّع والإخضاع»⁴ كما يرون كذلك أنّ «هناك عداً من النصرانية للإسلام بسبب أنّ

1- فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، الدّراسات العربيّة والإسلاميّة حتى بداية القرن العشرين، نق: عمر لطفى العالم، دار المدار الإسلاميّ، ط.1، 2001م، ص 16.

2- ينظر، الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ج.1، ص 264.

3- قميحة، جابر، أعداء الإسلام ووسائل التّضليل والتدمير، دار التوزيع والنشر الإسلاميّة، مصر، ط.1، 1422هـ/2002م، ص 93.

4- المرجع نفسه، ص 94.

الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سدًا منيعًا في وجه انتشار النصرانية، ثمّ امتدّ إلى البلاد التي كانت خاضعة لوصولها¹، وتمثّلت أهداف المنصّرين في:

1 - تفكيك وتفتيت وحدة المسلمين.

2 - التنفيس عن عقدة الهزائم التاريخية التي مُنيَ بها الصّليبيون من قبل ، والتّرويح عن عقدة النّقص التي كانت تعترّيهم تجاه المسلمين.

3 - الثّأر من الإسلام باعتباره حاجزًا منيعًا يقف في وجه انتشار المسيحية.

وكل هذه الأهداف تصب في بوتقة واحدة وهي كسر شوكة المسلمين والتّمكن للزّحف الأوروبيّ نحوه.

وقد لاحظ الباحث الفرنسي هنري دي كاستري (Henry Castries) «أن استعصاء

المسلمين على التنصر بواسطة المرسلين، واستحالة إخضاعهم بالقوّة هما السّببان اللّذان يعترضان تنصّرهم»² الأمر الذي دفع المبشّرين إلى «الاعتراف بوجود العدول عن الوعظ المباشر»³ رغم كونهم «متمسّكون برسالتهم، ولم يملّوا من الجهاد في سبيلها أمام صلابة الإسلام»⁴، من أجل ذلك سلكوا طرقًا وأساليب ملتوية بزرع الشّك والرّيبة في قلوب المسلمين، وبثّ روح الهزيمة في نفوسهم.

1- قميحة، جابر، ص.94.

2- خليل عماد الدين، نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله، دار الثّقائس، لبنان، 1420هـ/1999م، ص 26.

3- المرجع نفسه، ص 26.

4- المرجع نفسه، ص 27.

ولأنّ الأُمَّة الإسلاميّة إنّما تستمدّ قوّتها وصلابتها من الإسلام الذي هو حصنها الحصين،
 ودرعها المتين، دستور القرآن، ومنهج السّنة النبوية الشريفة، قال ﷺ «تركت فيكم شيئين لن
 تضلّوا بعدهما: كتاب الله وسنّتي»¹، لذلك فقد صوّبت السّهام نحوهما للتّشكيك والتّضليل وبعث
 الوهن في صفوف المسلمين بإبعادهم عن دينهم، لأنّ الإسلام بذاته هو روح كلّ مقاومة مادام
 مرتبطاً بالأصليين الخالدين القرآن والحديث.

كان أوّل من حمل اللّواء -التّنصيري- هو رئيس "ديكلوني cluny"، والمعروف بـ "بطرس
 المجلّـل" Petrus Venerabilis الذي اقتنع بأنّ محاربة «هرطقة/بدعة محمّد؟!» بقوّة السّلاح
 لا تجدي نفعا بل يجب أن تحارب بقوّة الكلمة، وهذا الأمر يتطلّب معرفة حقيقة الخصم².

بدأ بطرس خطّته بترجمة القرآن الكريم* إلى اللّاتينية، موكّلا هذا العمل إلى راهبين كانا مُلمين
 باللّغة العربية، أحدهما إنجليزي يدعى "روبرتوس كيتينسيس" والآخر يدعى "هيرمان الدّاليماتي"
 اللّذان وافقا على ترجمة الكتاب مقابل مبلغٍ مفرّ من المال³، هذه الترجمة التي حملت في طيّاتها
 أخطاء جسيمة معني و﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ،

وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التّوبة 32)

1- الحسيني، عبد الله بن محمّد بن الصّديق، الكثر الثمين في أحاديث النّبيّ الأمين، عالم الكتب، بيروت، ط. 02، 1403هـ-1983م، ص 230، رقم
 الحديث 1427.

2- ينظر، فوك، يوهان، الدراسات العربية حتى مطلع القرن العشرين، نق: سعيد حسين بحيري، محسن الدّمرداش، زهراء الشرق القاهرة، ط. 1،
 2006، ص 75.

*سأناي مبحث حول ترجمة القرآن الكريم وبيان مناهج المستشرقين في ذلك.

3- ينظر، فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، ص 17.

توسّعت فكرة التبشير في القرن الثالث عشر الميلادي من خلال نشاط جماعة الرهبان الدومنيكان والفرنسيسكان بوصفهم وعّاظا رحالة ،ومحاربة الكفر بوسائل الوعظ والإفهام والأحاديث الدينية تطلّب الاهتمام بمعارف الخصم والوقوف على حججهم¹ ، وأما دليلهم إلى ذلك فهو اللغة العربية.

ويتحدّث المستشرق الألماني "رودي باريت" (Rudy Barrett) عن مدى توافق الاستشراق مع التنصير في القرن الثاني عشر وما بعده، حديثا صريحا عن الجهود المبذولة لدراسة العربية: «وكان الهدف من هذه الجهود في ذلك العصر وفي القرون التالية هو التبشير، وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي»² ، وإذ ذاك كان لزوما على المنصّرين معرفة اللغة العربية لتحقيق أهدافهم الكامنة في:

1 فهم أفكار خصومهم عن طريق الترجمة، فتنافسوا في ترجمة القرآن، والسيرة النبوية الشريفة غير أنّ هذه الترجمات كانت أسيرة الهوى لا ترقى إلى مستوى الموضوعية.

2 بحث ونشر أفكارهم، من خلال ترجمة الإنجيل إلى العربية³ ، حيث يقول أحدهم: «لابدّ من إحلال الإنجيل محلّ القرآن الكريم في أيدي المسلمين وترجمته إلى لغاتهم ولهجاتهم المحلية في عالمهم

1- فوك، يوهان، الدّراسات العربية حتى مطلع القرن العشرين، ص 87- بتصرّف.

2- نقلا عن، عمارة إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدّراسات اللغوية العربية، ص26.

3- ينظر، عمارة إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدّراسات اللغوية العربية، ص27.

الإسلاميّ كافّة، مع التّركيز على القارّة الإفريقية، ومنع إذاعة القرآن الكريم وتحفيظ الإنجيل عبر البثّ الإذاعيّ التّنصيريّ الموجه للعالم الإسلاميّ»¹.

وعن هذين هدفين يتحدّث يوهان فوك: «كان أوّل من اعتنى باللغة العربية علماء الكنيسة المسيحيّة الذين بذلوا جهدهم في درس لغة المسلمين غير أنّ هدفهم لم يكن علميّاً، بل إنّهم أرادوا الرّد على الإسلام على أساس تراجم لاتينية للقرآن و"هداية" المسلمين بواسطة تراجم عربية للإنجيل والكتب الأخرى، أي أنّ غرضهم كان بعيداً عن تحقيق عادل ودراسة علميّة»².

أمّا الوّاهب "بطرس المبحّل" فقد كشف عن مخطّطه التّنصيريّ بتوجيهه خطاباً للمسلمين «إنّني لا أهاجمكم كما يفعل كثيرون بيننا بالسّلاح إنّني أوجّه إليكم كلمات فقط، بغير عنف وبتعقل وهدوء ومن غير كراهية وحبّ كبير»³ وفي مقاله في تبرير إقدامه على ترجمة القرآن الكريم: «وهذا هو الشّأن في العمل الذي أقوم به هنا، فإذا لم يكن بهذا الطّريق إعادة المسلمين إلى المسيحيّة الصّحيحة، فلا أقلّ من أن يستفيد العلماء المسيحيّون من عملنا في مجال دعم إيمان المسيحيّين السّردج الذي يمكن أن تغيّر هذه الصّغائر عقيدتهم»⁴، وهكذا تمثّلت أهدافه في:

1- تنصير المسلمين وإبعادهم عن دينهم.

2- حماية بني جلدتهم من الدّخول في الإسلام.

1- خضر عبد العليم عبد الرّحمان، الإعلام الغربيّ والمؤامرة على الإسلام في إفريقيا ع182، 1418هـ، ص128.

2- نقلاً عن، خضر عبد العليم عبد الرّحمان، الإعلام الغربيّ والمؤامرة على الإسلام في إفريقيا، ص27.

3- عمايرة، إسماعيل، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، بحث في الجذور التاريخيّة للظّاهرة الإستشراقية، دار حنين، ط2، 1412هـ/1992م، ص28.

4- المرجع نفسه، ص29.

3 إيقاف مدّ الدين الإسلاميّ.

ومن أولئك الذين حذوا حذو "بطرس" واتّخذوا من اللغة العربية سلاحاً للتّنصير نذكر:

رايموند لولوس (Raymond Lulle): مبصّر كرّس نفسه للتّنصير، ورأى بأنّ الإسلام هو أخطر خصم على الكنيسة، وأدرك أنّ المسلمين لم يكونوا دونه في حرارة الإيمان، وأنّ الذي يريد إقناعهم بصحّة العقيدة المسيحية لابدّ له من الاستعداد لحوار مرهق ومشادّات كلامية حامية¹. من مؤلّفاته: «المنطق في الحوار مع الكفرة» *Petitio pro conversione infidelium* الذي قدّمه سنة 1294 للبابا كولستين الخامس Coelestin V، أوصى فيه بتعليم اللغة للمبشّرين².

روجر بيكون: (1214هـ/1294م)، يعدّ من أهمّ الدعاة المتحمّسين الذين نادوا بضرورة تعلّم لغات المسلمين بهدف التّنصير، لتوسيع رقعة العالم المسيحيّ، وقد ذهب مذهبه وآزره رايموند لول Raymond lull (1235-1316م)، وهذا العمل يتم وفق شروط ثلاثة³:

1 - معرفة اللّغات الضرورية.

2 - دراسة أنواع الكفر وتمييزها عن بعضها البعض.

3 - دراسة الحجج المضادة للردّ عليها.

1- ينظر، فوك، يوهاك، الدّراسات العربية في أوروبا، ص92، 91.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص 96.

3- ينظر، زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ص28.

فلم يكن للرهبان المنصرّين تحقيق أهدافهم وبلوغ غاياتهم إلّا عن طريق تعلّم اللغة العربية لغة القرآن والمسلمين «ومن هنا جاءت الدّعوة لتعلّم اللغة العربية للإطّلاع على الثقافة المدوّنة بما بُغية تمثّلها أوّلاً، واستيعابها ثانياً، ومحاربة الإسلام بها ثالثاً»¹، كونها المفتاح الرّاشد لولوج الحضارة الإسلاميّة، والتّعرّف على مبادئ ومعتقدات المسلمين حتى يمكنهم التّصدّي لهم والرّد على أتباعهم.

وعمقتضى ما سبق أقرّ مجمع فيينا المنعقد سنة "1311م" بضرورة تعيين رجال كاثوليك في كلّ جامعة من الجامعات الخمس وهي: «باريس، أكسفورد، بولونيا، سلمنكا، والجامعة البابوية»، معلمين لليونانية والعبريّة والعربية والكلدانية² ما يؤكّد على ضرورة الأخذ بناصية اللغة بالنّسبة للمنصرّين حتى يتمكّنوا من مناظرة علماء المسلمين، والرّد عليهم بالأدلّة والبراهين.

واستغلّ المنصّرون البعثات التجاريّة لغاياتهم «فبينما كان التّاجر يسعى في تحصيل النّفع المادّي في علاقاته بالشّعوب الشرقيّة، إذ بالمبشّر الإنجيلي يسبقه تارة أو يتبعه حثيثاً تارة أخرى، وقد امتلأ حماساً للذهاب إلى كلّ العالم والتّبشير بالإنجيل وأدرك أنّ مسعاه هذا يحتمّ عليه تعلّم لغة الآخر وطرق تفكيره، خاصّة بعدما وجد الدّاعي المسيحيّ نفسه وجهاً لوجه أمام دين تبشيري آخر هو الإسلام»³، ارتبط المنصّرون بالتّجارة على سبيل التّمويه والتّضليل لإخفاء مقاصدهم الحقيقيّة.

1- الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقيّ، الظّاهرة الاستشراقيّة وأثرها في الدّراسات الإسلاميّة، ج.1، ص45.

2- ينظر، فوك، يوهان، الدّراسات العربيّة في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين، ص97.

3- عمايرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدّراسات اللّغويّة، ص25 بتصرّف.

وقد تمخّض على كلّ ما سبق إنشاء أوّل كرسيّ للغة العربية في "الكوليج دي فرانس"

بباريس سنة "1539م" والذي تولّى إدارته جيوم بوستل **Guillaume Postel** [ت

1581]، الذي أسهم في إثراء دراسة اللغات والشّعوب الشرقية في أوربا، وكان يفتخر باستغنائه

عن المترجمين عند تنقله بين البلدان، وتظهر له قيمة معرفة اللغة العربية في «..أنّها تفيد بوصفها لغة

عالمية في التعامل مع المغاربة والمصريّين والسّوريين والفرس والأترّك والتّتار والهنود، وتحتوي على

أدب ثريّ، ومن يجيدها يستطيع أن يطعن كلّ أعداء العقيدة النّصرانية بسيف الكتاب المقدّس، وأن

ينقضهم بمعتقداتهم التي يعتقدونها وعن طريق معرفة لغة واحدة (العربية) يستطيع المرء أن يتعامل مع

العالم كلّهُ»¹. وبقي الهدف المنشود بالنّسبة لهم هو توسيع حدود الكنيسة، ونشر المسيحيّة في

أوساط المسلمين، وأصبح مصطلح "مستشرق" يدلّ على طابع كنسيّ «والمداول الأصلي

لاصطلاح "مستشرق" كان سنة "1638م" أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية»² و تجلّى لنا

الاستشراق في زيّ التّنصير وكأنّهما قرينان لا يستغني أحدهما عن الآخر.

كما عملوا على إنشاء مدارس غربية تستقطب طلابا عربا جاؤوا من مختلف بقاع الأرض

لنفث سمومهم التّنصيرية، ومن ثمّ التشويش على أفكارهم ومعتقداتهم، فهم يرون بأنّ «المدارس

أقوى قوّة لجعل النّاشئين تحت تأثير التّعليم المسيحيّ، وهذا التأثير يستمر حتّى يشمل أولئك الذين

سيصبحون يوما ما قادة أوطانهم»³، فهم لا يتوقّفون عند هذا الحدّ بل يجدّون لتولّي هؤلاء

1- زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، ص30.

2- ابن شنب، محمّد، سلسلة محاضرات الملتقى الدّوليّ محمّد بن شنب والاستشراق، ص374.

3- شاكر، محمود، أباطيل وأسمار، ص202.

الطلاب رئاسة بلداًهم فينتقل التأثير من الفرد إلى المجتمع بكامله، ويقودون العالم الإسلامي على مراد الغرب.

ويصرّح أحدهم «يجب أن نشجّع إنشاء المدارس، ونشجّع على الأخصّ التعليم الغربيّ، إنّ كثيرين من المسلمين قد زُعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الإنجليزية، إنّ الكتب المدرسية الغربية، تجعل الاعتقاد بكتاب شرقيّ مقدّس أمراً صعباً جداً»¹، فهم يركّزون جهودهم ومساعدتهم في حذاقة وذكاء حتّى تجد أفكارهم إلى قلوب الآخرين سبيل القبول والإعجاب وينبعث فيهم دافع النّحو نحوهم.

ويتأكّد لنا دائماً أنّ «الاستشراق لم يكن حركة نزيهة منذ البداية، إذ كان الهدف منه تنفيذ مشروع يرمي إلى إدخال المسلمين في النّصرانية»² فالعامل التّنصيري واضح وجليّ لا غموض فيه، يهدف إلى نشر المسيحية وتبليغ دعوتها، وفي المقابل تصوير الإسلام بما يثبت فضل المسيحية عليه ، وفي الجانب الآخر أصبح «المسيحيّون الذين يتكلّمون العربية من أهل اسبانيا يتمتّعون بنفوذ قويّ»³.

ونشأ عن اهتمام المستشرقين باللغة العربية وضع دراسات مقارنة بين الإسلام والنّصرانية، كما فعل "هنكلمن" (Henkelman) (1652-1695م) الذي حاول عرض

1- شاكر، محمود، أباطيل وأسمار، ص202.

2- الدّيب، عبد العظيم، المنهج عند المستشرقين، د.ط، ص 345.

3- عمارة، إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدّراسات اللغوية، ص21.

شيء من حياة المسيح عليه السلام، وحياة الرسول محمد ﷺ، مع ترجمة نصوص من القرآن الكريم، وأخرى من التوراة، ونشر ذلك كله بالعربية في كتاب واحد ليطلع عليه القارئ العربي¹، ذلك أن «العالم الغربي لن يدخر وسعا في تنصير المسلمين!!... ولن يطيب نفسا حتى يُرفع الصليب في سماء [مكة المكرمة]، ويُقام قداس "الأحد في المدينة المنورة"»² وكلّ هذه الجهود في سبيل خدمة أعمالهم التنصيرية التي حالت دون نجاحها وتحقيقها -اللغة العربية- التي شكّلت جدارا سميكًا، وسدًا منيعًا يصعب  وَنَفَكُرُون وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ  (الأنفال 30).

4 - الدواعي الاستعمارية:

إذا كان رقيّ أيّ لغة من اللغات عنوان رقيّ أمّتها الناطقة بها، فانحطاطها كذلك انحطاط لأمتها، أمّا ثروتها العلميّة والمعرفيّة فعنوان مجدها وسؤددها «وليس في العالم أمّة عزيزة الجانب تقدّم لغة غيرها على لغة نفسها»³، ولا يخفي على ذي بال أن العدوّ الأساسي للغرب هو الإسلام. ولأنّ أحكم عروة كانت تربط العالم الإسلاميّ، على اختلاف ألسنته، وأجناسه في قارتيّ آسيا وإفريقيا، هي لغة العرب التي بها نزل القرآن، فإنّ التعليم الذي فرضه الاستعمار الغازيّ على

1- ينظر، عمايرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، ص27.

2- خضر، عبد العليم عبد الرحمن، الإعلام الغربيّ والمؤامرة على الإسلام في إفريقيا، ص177.

3- الرافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، ج.03، ص30.

العالم الإسلامي اعتمد أول ما اعتمد على محاربة اللغة العربية أينما كانت وحيثما وجدت¹. يقصد بذلك تفتيت أركان الهوية لزراعة مقومات الانتماء .

ولأنّ شأن اللغة عظيم «وما ذلت لغة شعب إلّا ذلّ، ولا انحطت إلّا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هنا يفرض الأجنبيّ المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمتها فيها، ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد أمّا الأول فحبس لغتهم في لغته سجناً مؤبداً، وأمّا الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً، وأمّا الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع»²، يذكرنا حديثه هذا بقوله تعالى في سورة النمل (الأنعام): ﴿قَالَتِ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً

وكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ وكذلك فعل المستعمر بالبلدان العربية الإسلامية.

ما فتئت القوّات الاستعمارية تعمل على محاربة اللغة العربية الفصحى بمختلف الوسائل لتحقيق هدف سحيق محقق هو إبعاد المسلمين عن مصادر التشريع الإسلامي، وعلى رأسها القرآن الكريم بشتى الوسائل الممكنة، من ذلك فرض المستعمر لغته كلقمة إجبارية في المدارس، وذلك منذ المرحلة الابتدائية وحتى المرحلة الجامعية واعتلّبوها اللغة الأولى في البلاد، أمّا العربية فتهمل بحجّة أنّها

1- شاكر، محمود، أباطيل وأسمار، ص204.

2- الرافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، ص23.

لغة وطنية معروفة لا حاجة لتعلّمها¹ وفي هذا الصّدّد فإنّهم يمزجون بين العامية والفصحى بغرض إنشاء جيل جديد متقن للغة المستعمر، مضطرب في لغته الأصل يرطن فيها كما ترطن الأعجم.

أمّا الخطوة الثانية فتتمثّل في جعل لغة المستعمر لغة دوائر الحكومة، ودواوين الدولة وحرمان الموظّف من وظيفته ما لم يتقن لغة المستعمر، وهذا الإكراه يصبو إلى صهر الشعب المغلوب صهرا تامّا، وسلخه عن مبادئه ومقوماته، إن لم نقل استئصاله من جذوره.

وأمّا الاستشراق فلم يتأخّر عن تقديم خدماته للحركات الاستعمارية التي أحسّت ب«حاجة كبيرة ومُلحة للحصول على صورة كاملة ومسلية ومرضية لأيديولوجيا الخصوم»²، فقد كان عليه تمكين الدّول المستعمرة من دراسة نفسيات الشعوب، وفهم تيارات أفكارها وذوقها ودينها لتذليل عملية السّيطرة عليها، فمثّل الرّائد الأساسي للفكر الاستعماريّ.

خدم الاستشراق الحركات الاستعمارية خدمات جليلة فلم يكتف ب«مجرّد إضفاء طابع التّبرير العقليّ على المبدأ الاستعماريّ... فقد كان التّراث الاستشراقيّ بمثابة دليل للاستعمار في شعاب الشّرق وأوديته من أجل فرض السّيطرة على الشّرق، وإخضاع شعوبه وإذلالها»³.

ولم يدّخر المستشرقون جهداً في خدمة الاستعمار فقد شكّلوا المحور الذي يوجّه مسيرته نحو عالم الشرق الذي عملوا على صهر مبادئه وقوميّته وحاولوا جهدهم إذابته في روح المستعمر حتى

1- ينظر، الميداني، عبد الرّحمان حسن حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة، ص355.

2- جوزيف شاخت وكليفورد بوزورت، تراث الإسلام، ج.1، ص33.

3- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، ص50.

لا يجد أهله حرجا في أن يكون ذليلا مستحقرا، مسلوب الذات والوطن والثروات، متزوع الأنفة والكرامة، وعلى هذا يفرض المستعمر لغته لتكون لغة التعليم في المستويات كلّها.

وقد نجح في بعض البلدان العربيّة الإسلاميّة التي أصبحت أجيالها لا تتقن إلّا لغة مستعمرها بل وابتعدت عن لسانها العربيّ الأصيل ابتعادا كبيرا، حتّى أنّ الواحد منهم لا يُحسن تلاوة سورة من سور القرآن الكريم، أو قراءة حديث للنبيّ ﷺ، أو حتّى كتاب باللغة العربيّة مهما كانت عباراته سهلة طيّعة¹. وصدّق الرّافعي حينما قال: «فاللّغات تتنازع القوميّة، ولهي -والله- احتلال عقليّ في الشعوب التي ضعفت عصبيّتها»²، فهي تمثّل محور الصّراع على البقاء الذي لن يكون إلّا للأقوى والأجدر بذلك.

ويمكن تلخيص خطوات المستعمر ضدّ الشعوب المستعمرة في النّقاط الآتية:

- 1 - فرض التّعليم بلغة المستعمر في مختلف المراحل ولجميع المواد.
- 2 - فرض لغة المستعمر كلّ تمّ رسميّة للبلاد، أمّا العربيّة فهي اللّغة الثّانية، وهذا ليس إلّا تمهيدا لمحوها ودحضها.
- 3 - الاستهانة باللّغة العربيّة وازدراؤها بغيّة التّنفير منها وتجفيف معيّناتها، وبثّ روح الكراهية حيالها، وفي المقابل تزيين وتنميق لغة المستعمر والتّوجيه لعلومها وفنونها، وربط المنافع الاقتصاديّة والعلميّة بها.

1- ينظر، الميداني، عبد الرّحمان حسن حبنكه، أجنحة المكر الثّلاثة، ص 355.

2- الرّافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، ج. 03، ص 30.

4 - جعل لغة المستعمر لغة رسمية لدوائر الدول المغلوبة ودواوينها.

5 - حصر الوظائف والأعمال على الذين يتقنون لغة المستعمر¹، وأما الاستشراق فلا يعدو

كونه دليلاً مساعداً للمستعمر يطوِّع له السبيل كي يلتفّ على الشرق ويتسلّط عليه.

ويؤكّد "الرافعي" على استهداف المستعمر للغة فجاء على لسانه «لا جرم كانت لغة الأمة

هي الهدف الأوّل للمستعمرين، فلن يتحوّل الشعب أوّل ما يتحوّل إلّا من لغته، إذ يكون منشأ

التحوّل من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه»²

فاللغة هي الرابطة القويّة والمتينة الذي يربط الشعوب بماضيتها وأمجادها وتراثها.

ويبرّر "أنور الجندي" العداء السافر للغة العربيّة كونها روح الأمة ومزاجها، والقضاء عليها

قضاء على روح الأمة وإفسادها، فحيثما كان الإسلام كانت اللغة العربيّة، من أجل ذلك عمد إلى

تمجيد اللغة العربيّة، والمعاهد الإسلاميّة كالأزهر³. ذلك أنّ فكر الأمة مرتبط بلغتها وضرب

المسلمين في لغتهم - لغة القرآن الكريم - التي بنوا بها بلادهم وشيّدوا أمجادهم وحضارتهم، ضرب لأهمّ

مقومات الأمة، فقد تعرّضت للهدم من طرف الاستعمار الظاهر والخفيّ وحروبه المعلنة ومخططاته

المهادنة لتمزيق هذه اللغة المجاهدة وإزاحتها من واقع أمّتنا.

1- ينظر، الميداني، عبد الرحمن حسن جنبكه، أجنحة المكر الثلاثة، ص356، وللتوسّع، ينظر أيضاً، نجاة فاطمة هدى، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، ص212.

2- الرافعي، وحي القلم، ج.03، ص29.

3- ينظر، الجندي، أنور، التبشير والاستشراق والدّعوات الهدامة، موسوعة مقدّمات العلوم والمناهج محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل، دار الأنصار، القاهرة، د.ط، د.ت، ص110.

ولعلّ ما يخطّطه المستعمر من مجهودات جبّارة لهدم اللّغة العربيّة وتقويضها لدى الشّعوب المستعمرة يُبرّر ما تملكه اللّغة من خطورة باتت تهدّد مصالح الاستعمار بشتّى أنواعه، فهو يعمل على محاربتها ودحضاها بشتّى الطّرق والأساليب، وذلك لأنّ نكوس اللّغة يتبعه بالضرّورة نكوس أمّتها في مبادئها وقيمها وتراثها الذي لا يمكن حفظه إلّا باللّغة، فكانت الخطة الأبعد مدى والأعمق أذى .

محاربة الاستعمار الفرنسي للعربيّة في الجزائر: -أ نموذج-

اتّبعت فرنسا في معرّكتها مع اللّغة العربيّة في الجزائر سياسة الكيل بمكيالين.

أ - سياستها مع الجزائريّين:

بينما كانت فرنسا تحارب هذه اللّغة عند أهلها فتحرم أبناءها من تداولها وتدارسها بغرض هجرانها ومحوها، وذلك بتشويهها مُدّعية احتقارها بعدم كفاءتها في تحصيل العلوم ومجاعة العصر، بهدف تخطيط البنية التّحتيّة للشّخصية الجزائرية الكامنة في لغته، لغة دينه وأجداده لتنشئة جيل جديد بعيد عن أصوله، جاهل بتراثه وثقافته، ضعيف الشّخصية، فاقد الهوية، مستعينة في ذلك بالدراسات الاستشراقية التي كانت «عونا لإخضاع الأراضي المستعمرة، ووسيلة لتحقيق أهدافهم الاستعمارية¹» من خلال تصويغ هذا الاستعمار على أنّه لصالح الدّول المستعمرة، فمنذ احتل الاستعمار الفرنسي الجزائر وهو يعمل على «محو الإسلام لأنّه الدّين السّماوي الذي فيه من القوّة

1- حسين، آصف، صراع الغرب مع الإسلام، استعراض للعداء التقليدي للإسلام في الغرب، تر. مازن مطبقاني، دار الوعي للنشر والتّوزيع، ط1، 1434هـ، ص. 68 .

ما يستطيع به أن يسود العالم، وعلى نحو اللغة العربية لأنها لسان الإسلام، وعلى نحو العروبة لأنها دعامة الإسلام»¹ وقد سلك إلى ذلك الطرق كلها ظاهرها وباطنها وخبيثها.

فلم يكن غرض فرنسا من استعمار الجزائر نهب الثروات، واغتصاب الأراضي فقط، بل تعدّاه إلى فرنسة العقل العربيّ الجزائريّ، فسلكت فرنسا إلى ذلك كلّ سبيل وسعت كلّ مسعى، شمل كلّ الميادين بوضع برامج تعليمية تنسجم وأغراضها للسيطرة على هذا الشعب وتضليله وتجهيله من أجل مسح معالم هويته وتفتيت أركانها، فجاءت خطتها على النحو الآتي:

1 - منع استعمال اللغة الفرنسية منعاً باتاً في المجالات الرّسمية وفرض الفرنسية بديلاً عنها فلاستعمار يرى: «أنّ الجزائر لن تكون فرنسية فعلاً إلّا إذا أصبحت لغتنا (الفرنسية) هي السيّدة وانتشرت فيها الفنون والعلوم التي شرّفت بلادنا»².

2 - خلق الكتابات القرآنية، ومكاتب التعليم الدينيّ العربيّ والضّمن بالرّخص، واضطهاد المعلّمين والتّضييق على العلماء والمرشدين بموجب قرار (08 مارس 1938م)³، والذي ينصّ على اعتبار اللغة العربيّة لغة أجنبية في الجزائر، محظور تعليمها في المدارس سواء كانت حكومية أم شعبية.

3 - تأليف الكتب المدرسيّة باللهجة العاميّة عند اقتضاء الضّرورة وضع كتاب باللغة العربيّة⁴.

1- إبراهيمي، أحمد طالب، آثار البشير الإبراهيمي، ج.5 (1954 - 1964) دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1997، بيروت، ص151.

2- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج.4، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1996م، ص26.

3- ينظر، عبد الحميد بن باديس، آثار الإمام، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ج.6، ط.1، 1415هـ/1994م، ص298.

4- ينظر، عفيفي أحمد، اللغة وصراع الحضارات، ص22.

4 - استلاء الإدارة الفرنسية على مؤسسات التعليم العربيّ في الجزائر وتحويلها عن

أغراضها، حتّى يقول أحدهم: «لقد أطفأنا الشّموع (وهو يعني المدارس) التي جئنا لنضيئها»¹
وهاهو حاكمهم ينادي بأعلى صوته «يجب أن نزيل القرآن العربيّ من وجودهم، ونقتلع اللسان
العربيّ من ألسنتهم، حتّى نتصر عليهم»².

وأما الفرنسية فيحثّون على تعلّمها وتعليمها بل ويخصّصون الجوائز القيّمة لناشريها «علّموا
لغتنا وانشروها حتّى تحكم الجزائر فإذا حكمت لغتنا حكمناها فعلاً»³ وهذا ما يؤكّد طبيعة هذا
الصّراع اللّغويّ، وهذه الدّعوة المتسلّطة التي تصرّ على اجتثاث مقوّمات الهوية .

بلغ هذا الصّراع «درجات من القوّة والضعف حسبما شاء الاستعمار، وقد وصل ذلك
أقصى درجات العنف في الجزائر حيث أبيدت اللّغة العربيّة كلية، ولم تعد تمثّل إلّا حلقات صغيرة
من المناهج باعتبارها لغة أجنبية، أمّا اللّغة الرّسمية الأساسيّة فهي الفرنسية»⁴. لأنّ القضاء على اللّغة
العربية قضاء على الوحدة العربية وتمزيق للمبادئ الإنسانيّة في أبعادها الغائرة، وبالتالي تأمين مصالح
الاستعمار الذي «ألح عليها (العربية) عن قصد وتعمّد حتى كاد يزهق روحها، لإيقانه بمبلغ تأثيرها

1- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 04، ص 43.

2- محمّد إسماعيل علي، الاستشراق بين الحقيقة والتّضليل، الكلمة للنشر والتّوزيع، ط. 1، 1421هـ/2000م، ص 59.

3- عفيفي، أحمد، اللّغة وصراع الحضارات، ص 23.

4- الجندي، أنور، معالم الفكر العربي المعاصر، مطبعة الرّسالة، د. ط، ص 204.

في تثبيت الروابط بيننا»¹ وقد أوشك أن يبلغ مبتغاه لولا وعي الشعب الجزائري وإدراكه أبعاد هذا الصراع.

واكب الاستشراق الحركات الاستعمارية في كلّ أدوارها، وأصبحت آراء المستشرقين الأساس القويم الذي تحذو حذوه، وتسير وفقه فهي تعمل على «الفهم في بعض الحالات من أجل السيطرة والتلاعب، وأحيانا دمج ما يعد بوضوح عالما مختلفا»².

ما انفك المستعمر يحارب العربية على أنّها عقبة ومرجعية وتخلّف، وأنّه لا سبيل إلى الارتقاء والسّمو إلّا باحتقارها وازدراءها وبالتالي البحث عن بديل يتمثّل في تبني قشور الحضارة الغربيّة التي إن تمّ لها ذلك أعادت صنعهم في مصانعها الفكرية في جامعاتها لدى مستشرقين همّهم الوحيد غسل الأدمغة العربية المسلمة وتشكيلها في قوالب تتماشى وأهدافهم ومخطّطاتهم العدائية، تتعارض وأصولنا العربية، ومبادئنا الإسلامية، ثمّ لا يلبثون يرجعونهم إلينا أشباه عرب، لساكنهم عربيّ، وروحهم غربيّة، فهم مبرمجون للتّنديد والاستخفاف بمقوّمات الأُمّة الإسلاميّة بشتّى الوسائل.

واجه المستعمر مقاومات عنيفة ضدّه تجلّى لنا أنّ «أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسيّ في المغرب هي اللّغة العربيّة، بل العربية الفصحى بالذّات فهي التي حالت دون ذوبان

1- الإبراهيمي، أحمد طالب، آثار البشير الإبراهيمي، ج.5، ص 294

2- حسين، آصف، صراع الغرب مع الإسلام، ص68.

المغرب في فرنسا، وهي التي بلورت الأصالة الجزائرية، ومثلت عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية»¹.

وأما الجانب الجزائري فقد كان واعياً بالسلاح الجديد الذي صوّب نحوه يضربه في أعزّ عزيز عليه، وأقدس مقدّس لديه، وهو لغة دينه وقرآنه منشأ هويته وكيانه، وها هو "عبد الحميد بن باديس" ينبّه لخطورة هذه المعركة قائلاً: «إنّ الدولة الجزائرية لم تزل بالرغم من استعمارها ما دامت تحافظ على لغتها العربية»².

جاهد "عبد الحميد بن باديس" رئيس جمعية العلماء المسلمين جهاد المستميت، ومن جملة ما طالب به وعمل على تحقيقه: «تعتبر اللغة العربية رسمية مثل اللغة الفرنسية، وتكتب بها مع الفرنسية جميع المنشورات الرسمية وتعامل صحافتنا مثل الصحافة الفرنسية وتعطى الحرية في تعليمها في المدارس الحرة مثل اللغة الفرنسية»³، وكان يحثّ طلابه على التحدّث بالعربية الفصحى وبيّن لهم قوّتها قائلاً: «إنّ الاستعمار حاول مراراً عندنا أن يوهّم الناس بأنّ اللغة الفصحى لم تعد صالحة في هذا الزمن، فقرّر تعليم العامية في برامج مدارسهم بدلاً من الفصحى، ولكنّه ما لبث أن فشل في محاولته، ولاسيما بعد أن رأى الفصحى قد أصبحت لغة الصحافة والخطابة والمدرسة فعدل عن خطّته وأبقى عليها في مدارسهم الرسمية»⁴.

1- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، ص.

2- المرجع نفسه، ص304-بتصرّف.

3- عبد الحميد بن باديس، آثار الإمام، ج.6، ص381.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

«فلم تستطع فرنسا في الجزائر، بعد قرن ونصف من الاحتلال، "استيطان" وجدان الجزائريين،

لقد ظلّوا، داخل لغتها، خارج سلطة مخيالها»¹. وإذا كانت سياسة المستعمر على هذا النحو في

معاركه مع اللغة العربيّة عند أبنائها الجزائريين، فهل سلك السّياسة نفسها مع غيرهم من

الأوروبيين؟

ب - سياستها مع الأوروبيين:

على العكس من سياستها مع الجزائريين تماما، صبّت فرنسا جلّ جهودها في تعليم الأوروبيين

النازحين إلى الجزائر اللغة العربيّة، وقد كان رهانها على جهود مستشرقها ودورهم بقدر رهانها

على قوّة أسلحتها وجيوشها.

بدأت المعرفة الفرنسية للغة العربيّة في الجزائر بتجنيد فرقة من المترجمين لمرافقة الحملة، وسمّيت

«فرقة المترجمين العسكريين» تكوّنت من قساوسة ومدّرّسين وتجّار... وبعضهم من تلاميذ سلفستر

دي ساسي* Silvestre De Sacy عميد مدرسة اللّغات الشرقية بباريس، والبعض الآخر

1- فتاوى كبار الكتّاب والأدباء، تقديم: بنكراد سعيد، مستقبل اللغة العربية، نخبة الشرق العربيّ وموقفه إزاء المدينة الغربية، وزارة الثقافة والفنون، قطر، 2013، ص18.

*- البارون دي ساسي S. De Sacy (1758-1838): ولد في باريس، درس العربية والعبرية والفارسية والتركية ولما بلغ 32 من عمره كان في طليعة المستشرقين العالميين، ومن أعضاء مجمع الكتابات والآداب (1785)، ولقّب بالبارون بأمر إمبراطوري (1813) جزاء جهوده وخدماته، يعتبر منشئ علم الاستشراق بأوروبا، من مؤلفاته قاموس عربي-فرنسيّ، شجّع إنشاء كرسيّ العربيّة في الجزائر الذي تولّاه عدد من تلاميذه، على رأسهم بريسييه bresnier، لكنّه لم يزر الجزائر، من آثاره: ثلاث مذكرات قدّمتها إلى المجمع العلمية عن مصر منذ الفتح الإسلامي إلى الحملة الفرنسية، والتشريع العربي. ينظر، يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص807. ينظر، يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص536.

مترجمون شرقيون أمثال زكّار * الذي تعاون مع "دي ساسي" على ترجمة البيان الفرنسي للجزائريين قبيل نزول الحملة¹.

وبعد الحملة احتاج المستعمر إلى تعلّم العربيّة لأنّها الوسيلة المثلى للتعرّف على البلاد وطبائع أهلها، ويصرّح بذلك أحد المستشرقين «لقد كان على "السّادة الجدد" (يعني الفرنسيين) أن يستعملوا اللّغة العربيّة في الإدارة وفهم السّكان، ولا يمكن مطالبة المنهزمين (يعني الجزائريين) بتعلّم لغة الغزاة فوراً، بالإضافة إلى أن نشر اللغة العربية بين الضّباط والموظفين كان يعتبر وسيلة قويّة للتّقارب بين الأعراق (races) التي يبعدها عن بعضها الأصل والدين والعادات»² فدراستها المعمّقة تسمح للمستعمر التّقرّب أكثر من الشعب الجزائري «الذي دعينا ليس فقط لحكمه ولكن لإدخاله بالتدرّج إلى عالم أفكارنا وحضارتنا»³ ثمّ يضيف «أنّ دراسة أدب الجزائريين سيؤدّي إلى معرفة عبقريّتهم وأصالة فكرهم وشعرهم المؤثّر، ومعرفة كتبهم في العلوم والتّاريخ والفقه والدين، ومن ثمّ معرفة أصول أفكارهم وأحكامهم وتقاليدهم»⁴.

ويبيّن هرخرونيه (Hrkhrunet) أهداف الاستشراق الخادمة للاستعمار ف«كلّما كانت العلاقة بين أوروبا والشرق المسلم حميمة، كلّما كان ذلك أدعى لسقوط الدّول الإسلاميّة في

* جان شارل زكّار، ولد بدمشق سنة 1789 ثمّ أصبح قنّيسا في إحدى كنائس مرسيليا، وعند الإعداد لحملة الجزائر سمي مترجما مع بقائه على وظيفته الدّينيّة.

1- ينظر، سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج.4، ص.23.

2- المرجع نفسه، ص.24.

3- م.ن، ص.25.

4- م.ن، ص.25.

القبضة الأوربيّة، ومّا يهَمّنا نحن الأوروبيّين أكثر أن نتعرّف على الحياة الفكرية، والتّشريع الدّيني، والخلفيات المفاهيمية للإسلام»¹ فالمستشرقون يعملون على تذليل الصّعوبات وتعبيد الطّرق للمستعمر كي يسهل عليه غزو الأفكار قبل غزو الأمصار والاستحواذ على الثقافات الإنسانية قبل الثّروات المادية.

فتحت هذه الحملة على الجزائر للمستعمر فضاءا رحبا ومجالا جديدا وهو التّنقيب في التاريخ الجزائريّ حتى يُبرّر التّواجد الفرنسيّ فيها، وطبقا لهذا تمّ تنصيب لجان عملية les comités scientifiques تتكوّن من أثريين ومؤرّخين وجغرافيين ولغويّين للبحث والتّنقيب، وقد أشار بوري دوسان فنانسان Bory De Saint Vincent إلى أنّه يجب إرسال علماء متخصصّين ذوي مهارات كبيرة في استعمال اللّغة العربيّة لأنّها أداة مهمّة للبحث عن تاريخ الجزائر من أجل إعطاء صورة واضحة لا غموض فيها².

أوّل من كلّ بتدريس الأوروبيّين العربيّة في الجزائر هو "جوي فرعون" من مواليد 1803م بالقاهرة، وقد ألّف كتبا عديدة لتلاميذه منها كتاب النّحو العربيّ وهو مكتوب بالعامية وعنوانه "النّحو الابتدائي للعربيّة الدّارجة أو الجزائرية لاستعمال الفرنسيين" صدر سنة 1832م وُصفت دروسه بالنّاجحة حسب مصادر فرنسية. ورغم الجهود الجبّارة التي قام بها لتدريس العربيّة للأوروبيّين إلّا أنّه بقي عنصرا غريبا في نظر فرنسا، فعند تأسيس أوّل كرسيّ للغة العربيّة بالجزائر chaise de

1- حسين، آصف، صراع الغرب مع الإسلام، ص 69.

2- ينظر، بن شنب، محمّد، سلسلة محاضرات الملتقى الدّوليّ محمّد بن شنب والاستشراق المنظّم بولاية المدية من 07 إلى 10 ديسمبر 2014، شيكو للطباعة والنّشر، الجزائر، 2015م، ص 333.

langue Arabe سنة 1832م، تولّى بريسنيه **Bresnier** المنصب كونه مستشرق مختص وفرنسيّ أصيل¹.

قسّم بريسنيه دروسه إلى قسمين: الأول خاص باللهجة الجزائرية مع تعلّم الحروف العربيّة والثاني خاص بالرّاعبين في تعلّم الكتابة، ورأى أن يقضي الدّارس سنة كاملة في تعلّم الفصحى قبل دراسة العامية ليقينه بأنّها الرّابط الموحد للأمة الإسلاميّة ف«اللّغة العربية ليست وسيلة فرنسا للاتّصال بعالم الأهالي (الجزائريّين) فقط بل بالعالم العربيّ الإسلاميّ الأجمع»².

ومّا يجدر التّنبية إليه أنّ جهود هذا المستشرق ما هي في الحقيقة إلّا تنفيذ لمخطّطات الإدارة الاستعماريّة، فقد جاء في رسالة المتصرّف المدني بريسون Bresson «إنّ إنجاز الاستعمار colonisation يتوقّف على نجاح برينيه في مهمّته، وإنّ الحكومة لم تختره لذلك إلّا لثقتها فيه وتقديرها له وعليه أن يُثبت ذلك، كما عليه أن لا ينسى أنّ الدّرس الذي يلقيه في اللّغة العربيّة ليس درسا عاديا، لأنّه درس جاء بعد احتلال الجزائر فاكتسب بذلك أهمية سياسية ومنفعة عظيمة، وعلى "برينيه" أيضا أن يعمل على توسيع المعرفة في العربيّة الدّارجة وأن لا يقتصر في ذلك على لهجة مدينة الجزائر بل عليه أن يفعل نفس الشّيء مع لهجات التّل وقبائل زواوة وقبائل السّهول والجبال

1- ينظر، سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص28، 27.

2- المرجع نفسه، ص31.

عندها تستطيع فرنسا الوصول إلى هذه المناطق»¹، مع العلم أنّ الاستعمار الفرنسيّ حينئذٍ (1837 م) كان مقصوراً على بعض المدن الساحليّة .

وفي سنة 1846 م أحدث كرسّيّ جديد للغة العاميّة في الجزائر وكرسيّين آخرين في كلّ من وهران و قسنطينة²، وكان تدريس العاميّة باللغة الفرنسية هو الوسيلة التي اتّبعتها أساتذة الكراسيّ لدمج الأوربيّين مع الجزائريّين لمعرفة أفكارهم وحاجاتهم وأصبح إتقان العربيّة فيما بعد ميزة تعطي صاحبها الأفضليّة في التّوظيف في الجيش الفرنسيّ حسب إعلان وزارة الحربيّة 1853 م³ .

لم يكن اهتمام المستعمر بالعامية الجزائرية أقلّ جهداً من اهتمامه بالفصحى حتّى يتسلّل إلى أعماق الفكر الجزائريّ ،فها هو "ماشويل" Machuil الذي تولّى تدريس العامية الجزائرية يصرّح «لو لم نكن في الجزائر ولو لم تكن لدينا حاجة ملحة للاتّصال بالأهالي عن طريق اللّسان لكنا من الذين يؤيّدون البدء بدراسة الفصحى التي هي واحدة، وهي نفسها بالضبط في كلّ البلدان التي فيها القرآن هو القانون الدّينيّ»⁴ على أساس أنّها لغة الدّين والعلوم والعامل المشترك بين بلدان العالم العربيّ والإسلاميّ جميعها.

1- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج.4، ص.32.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص 34.

3- ينظر، م.ن، ص.37.

4- م.ن، ص 38.

وتعدّ الفترة (1880-1905م) بمثابة العصر الذهبيّ للمستشرقين الفرنسيين في الجزائر ،
حيث انعقد المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين العالميين في ربيع عام 1905م حضره ما يقارب
خمسمائة شخص¹.

فالاستشراق بهذا المفهوم خطة استعمارية تهدف إلى معرفة الشعوب الإسلامية فكريا وعلميا
وثقافيا بغرض دراسة عوامل القوة لديهم لإضعافها وشلّها، وإدراك نقاط الضعف واغتنامها
واستغلالها، ومن ثمّ إثارة الشكوك والاضطرابات تمكينا لسياسة الغرب للسيطرة على البلاد
الإسلامية بأقلّ الجهود، وفي المقابل فإنّ الاستعمار لم يتنكر لخدمات المستشرقين التي بفضلها حقق
ما عجزت عنه الجيوش الجبّارة، فأجزل لهم العطاء وأغدق عليهم الأموال ورفع عنهم الحواجز.
وخلاصة القول: فإنّ الاستشراق بجميع اتّجاهاته في حاجة مُلحّة إلى تعلّم اللّغة العربيّة،
فالذي اتّصل من المستشرقين بالحركات الاستعماريّة احتاج إلى اللّغة العربيّة للتمكّن من التفاهم مع
أهل البلاد المستعمرة، ودراسة عاداتها، ورسم خططها، للتغلغل فيها والسيطرة عليها، وأمّا من
كانت خلفياتهم ثقافية، دون أن تكون لهم طموحات استعمارية، فاحتاجوا أيضا لمعرفة اللّغة
العربيّة للوقوف على معاني القرآن، والحديث والسيرة، والتاريخ الإسلاميّ، بُغية معرفة سُبُل إدخال
الثقافة البديلة إليه².

1- ينظر سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص43.

2- ينظر، عميرة، اسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللّغة، ص385.

من أجل ذلك بُذلت الجهود الجبّارة وأنفقت الكنيسة والحكومات الأموال الطائلة لإجراء
دراسات عربيّة صارمة وجادّة في المجالات جميعها، وغدت العربيّة سلاحاً أساسياً لجلّ المتخصّصين
في الدّراسات الإسلاميّة.

المبحث الثالث: معارك المستشرقين مع اللغة العربية

تناولنا في المبحث الأول أهم الدواعي التي أدت بالمستشرقين إلى الاهتمام باللغة العربية، وكيف وقّفوا أعمارهم وبذلوا الأنفس والأموال لخدمة أغراضهم غير أنّ دوافع هؤلاء المستشرقين إلى ركوب هذا المركب الوعر إنّما كان ضرورة تحمّلهم عليها خدمتهم لبني جلدتهم بما أوجبه عليهم الصّراع المحتدم قرونا بين الإسلام والمسيحية، فانطلقوا يكتبون ما يكتبون حاملين هموم هذا الصّراع ومسلكهم في ذلك الغاية تبرّر الوسيلة.

فما هي أهم المعارك التي خاضها المستشرقون ضدّ اللغة العربية؟ وما هي أهمّ الأساليب التي انتهجوها لتحقيق مآربهم وبلوغ مراميهم؟

1 الدّعوة إلى العاميّة:

دعا الاستشراق إلى اتّخاذ العامية * لغة للعلم والفن والأدب، زاعما بأنّ الفصحى تهمّ قوّة العرب الاختراعية، ما يستلزم تحرّرها من سيطرتها. هذا التّحرّر الذي يأخذ بأعيينهم إلى التّقدم والازدهار. و«ترجع بدايات الدّعوة إلى اللغة العامية إلى أوائل القرن الثامن عشر عندما أخذت دول أوروبا تنشئ المعاهد الخاصّة لتدريس اللهجات العربية العامية، والغرض من ذلك تخريج

* - العامية: ظهرت العامية في العصر الإسلامي ولم تكن موجودة قبل ذلك وقد بدأت العامية في الأمصار الإسلاميّة أوّل ما بدأت لحنا صرفا فكانت قرية من الفصيحة في عوام الحجاز والمصريين، البصرة والكوفة حتى القرن الثالث يقول عنها الرافعي: "...وهذه هي اللغة التي خلفت الفصحى في المنطق الفطري وكان منشؤها من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاص عادة الفصاحة ثمّ صارت بالتصرف إلى ما تصير إليه اللغات المستقلة بتكوينها وصفاتها المقومّة لها، وعادت لغة في اللحن بعد أن كانت لحنا في اللغة..." ينظر، الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج1، ص 158.

السّفراء والقناصل والجواسيس الذين يوفدون إلى البلدان العربية»¹ وذلك بعدما أعجزتهم قوّة اللغة الفصحى وتوحّدها، أمام ضراوة الحرب الاستشراقية المغرضة.

جّد الاستشراق لتحقيق غايته في تدريس لهجات العرب المختلفة في مدارسهم وجامعاتهم ومعاهدهم، فأسند تعليمها في البداية إلى أبناء العرب، على نحو: "محمد عباد الطنطاوي" مؤلّف كتاب "أحسن النّخب في معرفة كلام العرب" الذي قام بتدريس اللغة العربية ولهجاتها في جامعة "بطرسبرج" في روسيا، وأيضاً: "ميخائيل الصّبّاغ" صاحب كتاب "الرّسالة التّامة في كلام العامّة والمناهج في أحوال الكلام الدّارج"، وقام أيضاً بتدريس العربية ولهجاتها في باريس، وكان دافعهم إلى هذا العمل تسهيل دراس ة اللغة العربية على الطلاب الأجانب². بيد أنّنا نرى أن التيسير والتسهيل لا يكونان بتعليم العامية، وإنّما يكون ذلك بعرض قواعد اللغة العربية عرضاً سليماً ميسّراً.

أمّا المستشرقون الذين ألفوا كتبهم فيما بعد فقد فعلوا ذلك من أجل «القضاء على العربية الفصحى وإحلال العامية محلها... لأن روح العداء للعربية الفصحى والرغبة في إقصائها عن الميدان الأدبي لم تنتشر إلا عن طريق الأجانب واستغلالهم لدراسة العامية في بثّ هذه الرّوح بين أبناء العربية»³ كل هذه الجهود من أجل القضاء على العربية الفصحى وإحلال العامية محلها. ففي ذلك

1- محمد عللوه، الغزو الفكري والرّد على افتراءات المستشرقين، دار الأقصى، دمشق، ط.1، 2002، ص104.

2- سميلاوفتش، أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د.ط، 2001، ص 669.

3- المرجع نفسه، ص 670، للتوسع، ينظر: زكريا سعيد نفوسه، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، ط.1، 1383 هـ/1964م، ص 12/11.

إهدار لثقافتنا برمتها وإلغاء لرصيد روحي وفكريّ ليس من السّهولة التخلي عنه ،وأما غطاؤها الأيديولوجي فكثيرا ما استتر ستار العلم .

وهكذا بدأت حملات مسعورة تكشف من ناحية عن جمود الفصحى وتعقّدها وبدائيتها وتخلّفها عن حاجة العصر وتلقي عليها مسؤولية ما كان من تخلّفنا وانحطاطنا، وتدعو من ناحية أخرى للعامية وتضيف إليها مزايا من الفصاحة والسّهولة والمرونة والقدرة على التعبير عن مطالب الحياة العصرية .

أعداء العربية الفصحى:

أوّل من خدم الدّعوة إلى العاميّة المستشرق الألماني "وليم سبيتا"^{*} الذي شغل منصب مدير لدار الكتب المصرية، وقام بتأليف "قواعد اللغة العربية العامية في مصر" عام 1880م، الذي جاء في مقدّمته: «وأخيرا سأجازف بالتّصريح عن الأمل الذي راودني على الدّوام طول مدّة جمع مادّة هذا الكتاب، وهو أمل يتعلّق بمصر نفسها، ويمس أمرا بالنسبة لها وإلى شعبها، يكاد يكون مسألة حياة أو موت، فكل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلّم العربية يرى إلى حدّ تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة، ففي مثل تلك الظروف لا يمكن

* - سبيتا W. Spitta (1853 - 1883): أتقن اللغات الشرقية على "فلاشير" في لايبزغ، ونال الدكتوراه برسالة عن (تاريخ أبي الحسن الأشعري ومذهبه) سنة (1876)، وفي السنة نفسها عيّن مديرا لدار الكتب المصرية (الكتبخانة الخديوية)، فراح يفهرس مخطوطات العربية، ومن أعماله: (قواعد اللهجة العربية العامية في مصر)، وهي أول دراسة للهجات العربية في مصر. ينظر، العقيلي، نجيب، المستشرقون، ج. 2، دار المعارف، ط.5، القاهرة، 2006، ص 398.

مطلقا التفكير في الثقافة الشعبية»¹، والغريب في الأمر أنه أصدر كتابه هذا قبيل سنتين فقط من الاحتلال الانجليزي، وتحدث في مقدّمته أيضا عن فتح العرب لمصر، وانتشار العربية فيها، وقضائها على القبطية مُثيرا بذلك النّ عمة العصرية العرقية لمصر ضدّ اللغة العربية، ثمّ اختتمها بفكرة اتّخاذ العامية المصرية لغة أدبية².

كان من مكر هذا المستشرق أن أقام في حيّ شعبيّ في مصر « لكي يستقي العامية من منابعها الأصلية ولا يدوّن إلّا ما يسمعه، ثمّ يدوّن ما يسمعه بأذنه على كم قميصه خوفا من أن يلاحظه أحد المتكلّمين فيفقد طبيعته وحرّيته في الكلام»³، هكذا كان أسلوبه في الكيد للغة العربية بسبب عداوته الشديد لها فهو القائل: «إنّ اللغة الفصحى عبء خطيرٌ على رجل الشعب العادي»⁴ كما اتّهمها بعرقلة التقدم العلميّ «إنّ أملّ التقدم في مصر ضعيف طالما أنّ العامّة تتعلّم اللغة الفصيحة العربية - لغة القرآن - كما هي في الوقت الحاضر»⁵ واقترح بأن تنحصر اللغة الفصحى في الصّلاة وكأنّها لغة طقوس دينية لا أكثر.

ولم تسلم حتى حروفها - العربية - من لدعات انتقاداته وافتراءاته «وطريقة الكتابة العميقة أي بحروف الهجاء المعقّدة يقع عليها بالطبع أكثر قسط من اللوم في كل هذا... وبالتزام الكتابة

1- شاهين، عبد الصّبور، عربية القرآن، مكتبة الشباب، 2009، د.ط، ص 159.

2- ينظر، نجما فاطمة هدى، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، ص 213.

3- الجندي، أنور، التبشير والاستشراق والدعوات الهدّامة، دار الأنصار، القاهرة، م.05، د.ط، د.ت، ص 109.

4- منصور، خيرى، الاستشراق والوعي السّالب، د.ط، د.ت، ص 293.

5- الميداني، عبد الرّحمن حسن حنّكه، أجنحة المكر الثلاثة، الاستشراق، التبشير الاستعمار، ص 392.

العربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقيّ ويتطوّر»¹ وما هذه الحجج إلا ترهات وخرافات وأكاذيب ملفقة من أعداء يتربصون بالإسلام وأهله وبكل ما يتعلّق به، محاولين بذلك إبعاد المسلمين عن قيمهم ومبادئهم وشخصيتهم قائلين بذلك روح العروبة فيهم في ثياب الواعظين الناصحين.

ومن ثمّ عمل "سييتا" على إيجاد تراث للعامية، فعكف على جمع ونشر العاميات من الأحاديث والفكاهات والكلمات، وجعلها مادّة خامّا لمن جاء بعده، ونهج نهجه، كما عمل على وضع حروف إفرنجية للعامية المصرية لغرض إحيائها، وألّف في صرفها كتابا، وكذا في أمثالها وقصصها العامية، وعمل على نشرها باللغتين الألمانية والفرنسية لتحفيز أوروبا على تنفيذ مشروع تعليم اللّغة العامية بالحروف الأجنبية وجعلها لغة العلم والتّعليم.²

إثر هذه الدّعوة التي جاء بها "سييتا" تناول الباحثون الأوروبيّون دراسة - اللهجة المصرية - فجاء كتاب "اللهجة العربية الحديثة في مصر" للألماني كارل فولرس* Vallers سنة 1890م،

1- عطار، أحمد عبد الغفور، الزحف على لغة القرآن، بيروت، ط.1، 1385هـ/1965م، ص 51.

2- ينظر، الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، ص 131.

*- كارل فولرس Karl Vollers (1803): تخرج من جامعة بون سنة 1827، وسافر إلى باريس ليتلمذ عند دي ساسي، وفي سنة (1830) نال الدكتوراه في الفلسفة من جامعة هاله، وسنة (1833) عين أستاذ اللغات الشرقية في جامعة حسين. ينظر، بدوي، عبد الرحمن موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط.3، بيروت، 1993، ص. 419 - 420.

استنبط فيه حروفا لاتينية لكتابة العامية ودرس قواعدها، للإشارة فقد تُرجم هذا الكتاب إلى

الإنجليزية من قبل: "بوركيت Burkitt's"¹.

ثمّ جاء كتاب "العربية المحكية في مصر" لـ: "سلدن ولمور" (Selden Moore) سنة

1901م، دعا فيه إلى هجر الفصحى، واتّخاذ العامية بدلا عنها، وكذلك اتّخاذ الخط اللاتيني

مكان الخط العربيّ، وهو يتوعّد: «إنّ لغة الحديث ولغة الأدب ستقرضان وستحل محلها لغة أجنبية

نتيجة لزيادة الاتّصال بالأمم الأوروبية»²، وكلماته هذه تنبؤ بما هو أعظم لأنّها تفضي إلى هجر

العربية هجرانا تامّا سواء الفصحى أو العامية، فهو يحلم بأن تكون اللغة الأجنبية هي السائدة في

العالم العربي الإسلاميّ وما هذه الخطوات إلا تمهيدا للضربة القاضية.

بعدها جاء كتاب "المقتضب في عربية مصر" لصاحب *في* فيلوت D.L. Phillott

وباول A. Powell، محاولة منهما تسهيل دراسة العامية المصرية التي وردت في الكتاب³ وهذه

الكتب في مجملها تدعو إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وتشكو من صعوبة النّحو

وقواعده، وهي دعوات باطلة تحمل في طيّاتها التآمر ضدّ الفصحى تحت شعار البحث العلميّ

لدراسة لهجة محلية من اللهجات العربية.

1 - ينظر: زكريا سعيد، نفوسة، تاريخ الدّعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار النّشر والثقافة، الاسكندرية، ط.1، 1383هـ / 1964م، ص 25.

2 - عطار، أحمد عبد الغفور، الرّحف على لغة القرآن، ص 51.

3 - ينظر: زكريا سعيد، نفوسة، تاريخ الدّعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص 30.

ونشط في هذا المجال مهندس الرّبيّ الإنجليزي " وليم ويلي كوكس" * (William

Willcocks) الذي وفد إلى مصر في بداية الاحتلال البريطاني لها نشط في محاربة الفصحى وإقصائها عن ميدان الكتابة والأدب وإحلال العامية محلها، من خلال محاضراته المعنونة: «لَمْ لَمْ توجد قوّة الاختراع لدى المصريين الآن»¹، حيث يزعم أنّ العائق الرئيسيّ المانع من الاختراع والتقدم لدى المصريين هو اللغة الفصحى، فقد جاء أثناء حديثه: «أعتبر أنّ المصدر الأساسي لتخلف المصريين هو اللغة الفصحى، واللغة المصرية لا علاقة لها باللغة العربية، ولكنّها على علاقة باللغة (البونية) التي هي أساس اللغة المصرية وهي لغة دخلت مصر قبل أن تدخل العربية الفصحى بألفي سنة!»².

ويضيف قائلاً: «العربية الفصحى يتعلّمها المصري كلّ أجنبية ثقيلة وهي لا تصل إلى القلب أبدا وهي عقبة في سبيل تقدّم المصريين، إنّ دراستها مضيعة للوقت وموتها محقق كما ماتت اللغة اللاتينية»³، فأما قوله بموت اللغة العربية، فقد ضمن الله لها الحفظ والبقاء، فجاء في محكم تزييله:

*- ويلكوكس William Willcocks : مهندس بناء بريطاني (1852 — 1932) عمل في مصر والعراق وتركيا في إنشاء قطاع الري. أنشأ في مصر سدة أسوان وأثناء عمله في العراق سدة الهندية. ترجم الإنجيل للهجة المصرية وكان من أول الدعاة لتبنيها بدلا من العربية الفصحى في مصر كلغة للكتابة والقراءة إضافة لكونها لغة للتخاطب. ألّف كتاب بعنوان "جنة عدن — إلى عبور الأردن) وزعم فيه أن جنة عدن المذكورة في الكتب المقدسة موجودة في جنوب العراق، حيث يلتقي نهر دجلة والفرات. صمم و أنشأ المهندس الإنجليزي الجنسية قناطر أسبوط بين عامي 1898 و 1903 على نهر النيل وعلى بعد 530 كم إلى الشمال من سد أسوان وشيدت هذه القناطر من أجل تحويل جزء من مياه النهر إلى المياه المنخفضة في أكبر قناة للري في مصر وهي المعروفة باسم "الترعة الإبراهيمية" والتي تمتد من أسبوط إلى الجيزة شمالا بطول 350 كم تقريبا و كان المقاول الرئيسي للمشروع هو المقاول الإنجليزي شركة "ميسر زوايرد"، كان من أشد الحاملين على العربية الفصحى والمنادين باتخاذ العامية بدلا منها. ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/ويليام_ويلكوكس

1- ينظر: زكريا سعيد، نفوسة، تاريخ الدّعوة إلى العامية، ص 32.

2- منصور، خيرى، الاستشراق والوعي السّالب، ص 294/295.

3- الجندى، أنور، أخطاء المنهج العربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، ص 258.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر، 09)، وأمّا غايتهم من ترويج مثل هذه

الأفكار فبعث روح التخاذل، وشعور بالنقص في نفوس المسلمين، وحملهم من هذا الطريق على الرضا بالخضوع للمدنية المادية الغربية.

ومن المراوغات التي قام بها هؤلاء المستشرقين إجراء المقارنة بين اللغة العربية واللغة اللاتينية، وشتان بين الثرى والثرى - فأما اللاتينية فلغة أمة انتهت بانتهاؤها، وأمّا العربية فلغة أمة حيّة لا تنتهي ولا تزول فهي خالدة خلود الوسالة الربّانية .

وادّعى "وليكوكس" أيضا أنّ العربية سبب تخلف المصريين والحاجز الذي يحول دون تطوّرهم «قضيت عشر سنوات حيث كنت في خدمة الحكومة المصرية وأنا أشرف على مدرسة الهندسة، وأمتحن طلبتها، وكنت أجد بين الطلبة من يعدون حقًا من الأذكياء، ولكنهم كانوا يسرون في دروسهم ببلاده، لأنّهم كانوا يقرؤون باللغة الفصحى المصطنعة، وليس باللغة المصرية الحيّة»¹، ويضيف ساخرا «...فإنّ قوّة المصريين الذهنية يستنفذها على الدوام جهدهم في أن يترجموا ما يقرأونه باللغة الفصحى إلى اللغة المصرية المألوفة، ثمّ هم عند الكتابة يترجمون ما فهموه بهذه اللغة إلى اللغة الفصحى وهذا العمل ضرب من التسخير الذهني»². ومن ثمّ فلا سبيل للتقدم والازدهار إلا بالتخلي على العربية الفصحى، استجابة لنصيحتهم: «وأقول لكم إذا جنحتم إلى هذه اللغة الدارجة القوية الشهيرة فيما بينكم وتركتهم هذه الضعيفة تنجحون»³ فهو ينادي بالتقعيد

1 - شاهين، عبد الصبور، عربية القرآن، ص 168.

2 - عطار، أحمد عبد الغفور، الرّحف على لغة القرآن، ص 54.

3 - الفيصل، سمر روجي، قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، د.ط، د.س، دار النشر، ص 20.

للعامية لمرونتها وسهولتها واتخاذها لغة الكتابة والعلم والأدب، و يُرجع تخلف المجتمع العربيّ كلّ
لعقم الفصحى التي لا تلي حاجيات العرب ، وهنا تحضرنى أبيات " للبشير الإبراهيمي " ردّ فيها
على افتراءات المستشرق ألفرد بيل Alfred Bel، أحسبها تصلح لمثل هؤلاء المستشرقين وهذه
بعض من أبياتها:

وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْمَغْرُورِ .: وَمَا أَتَى مِنْ كَذِبٍ وَزُورِ
مَعَ لُومَةِ الْأَمْرَاءِ وَالْآنَ ظَارِ .: عَارِيَةُ السَّوَاءِ لِلنُّظَارِ
جَانِبَتِ الْحَقَائِقُ الْمَلْمُوسَةَ .: وَجَافَتِ الْوَقَائِعُ الْمَحْسُوسَةَ
ضَمَنَ نَبَاهَا أَحْكَامُهُ عَلَى الْأَمْرِ .: تَبَا لِمَنْ حَاكَمَ وَمَا حَكَمَ
عَ... دَا عَلَى النَّارِ يَغْ وَهُوَ أَبْلَجُ .: لَكِنْ بَيَانَ الْمُفْسِدِينَ لَجَلَجِ
وَأَنْكَرَ الْخَصَائِصَ الْمُسْلِمَةَ .: لِمَنْ غَدَا نُورَ الْعُصُورِ الْمُظْلِمَةَ
وَمَنْ يَكُنْ ذَا نَسَبٍ بِلِصِيْقٍ .: أَزْمَى بِكُلِّ نَسَبٍ عَرِيْقٍ
فَعَارُ عَلَى أَحْسَنِ ابْنٍ أَنْ تُمْنَهَنْ .: فَالْحُرُ عَنْ مَجْدِ الْجُدُودِ مُؤْتَمَنُ
أَنْكَرْتَ فَضْلَ الْعَرَبِ فِيهِ ابْنُكَرُوا .: مِنْ صَالِحَاتِ شَأْنِهَا لَا يُنْكَرُ
أَنْ كَرْتَ مَا شَ... ادْوَةُ لِلْحَضَارَةِ .: وَمَا كَسَوَهَا مِنْ حُلَى النَّصَارَةِ¹

1 - الإبراهيمي، أحمد طالب، آثار الإمام محمد الإبراهيمي، ص 413 - 414.

ومهما يكن فإنّ هذه الدّعوات انصبت في جلّها ترسم صعوبة العربية الفصيحة، صعوبة تعلّمها من جهة، وتعليمها من جهة أخرى، فأما الأولى فمردودة عليهم ذلك لأنّ لكل لغة قواعد وبني ومتون عسيرة المنال، وإلاّ لكان النّاس سواسية في درجة إتقان لغات أممهم، وأما الثانية فلا علاقة بينها وبين صعوبة الفصيحة.

ونسأل هؤلاء الجاحدين ومنكري الفضل:

أليست هذه اللغة الفصحى هي التي شددتم الرّحال لتتعلّموها؟

أليست هي التي أذهبت عقولكم وسلبت لّبكم فتنافستم في تعلّمها وإتقانها؟

أليست هذه اللغة هي التي حملت العلوم والمعارف التي كنتم تجهلونها؟

أليست هي التي أخرجتكم من غيبهان الجهل إلى سناء العلم؟

وإن كانت كما تزعمون فلماذا شيّدتم المدارس والجامعات لتعليمها؟

واليوم تجحدونها وتنكرون فضلها وتجاهونها بالظلم والعدوان، قال جل وعلا: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا

وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: 14) وإذا سلمنا بأنّ العربية الفصحى لغة ميّنة جامدة

متخلّفة، تجاوزها التقدم العلمي، فأيّ فائدة ترجى من اللهجات المتعدّدة أو العامية؟ وأيّ إضافة

مهمّة ستضيفها؟ خاصّة إذا علمنا بأنّ العامية هي: «لغة فقيرة كل الفقر في مفرداتها، ولا يشتمل

متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي، وهي إلى ذلك مضطربة كل الاضطراب

في قواعدها، وأساليبها، ومعاني ألفاظها... وأداة هذا شأنها لا تقوى مطلقاً على التعبير عن المعاني الدقيقة، ولا عن حقائق العلوم والآداب والإنتاج الفكري المنظم¹.

فلا يخفى على ذي بال أن العامية غير ثابتة في البلد الواحد، ناهيك على أنها قابلة للتغير والتطور في مفرداتها ودلالاتها بشكل سريع، فكيف الحال بالنسبة لعمامة الشعوب الإسلامية؟ وكيف تقوم للوحدة العربية قائمة بعد اختلاف ألسنتهم؟ فالعامية لا تسعنا بأي حال من الأحوال في مفرداتها وقواعدها بما يضبط تفكيرنا. فاستعمال العاميات المختلفة يؤدي بالضرورة ولو بعد زمن إلى تمزق الوحدة العربية، وهو ما يرومه أعداء العروبة والإسلام لتشتت أهلها وإضعاف شوكتهم ولا عجب في أن اللغات كلّها تحوي هذا الازدواج اللغوي (الفصحى، العامية)، فلماذا انحصرت هذه الدعوات على اللغة العربية فقط؟ في حين لا نسمع من يحث على استعمال اللهجات العامية في اللغات الأخرى كالفرنسية أو الإنجليزية مثلاً.

لم يركن طرح "سبيتا" ومن نحا نحوه أبداً إلى الموضوعية العلمية لأنّ التزول بلغة الكتابة إلى لغة الحديث واستعمال العامية مكان الفصحى «حل ساذج هدام لا يكاد يستحقّ عناء المناقشة، وهو لا يقوم في الواقع إلا على مجرد الرغبة الآثمة في القضاء على أهمّ دعامة من دعائم الثقافة في الأمم العربية»²، وما هذه الدعوات إلّا سهام مسمومة لا يعقلها إلّا ذوو الألباب، أساسها أنّ العربية الفصحى كانت ولا تزال مشروع النهضة والوحدة العربية، ولما أدرك هؤلاء الغربيون

1- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص 122.

2- المرجع نفسه، ص 122.

أهميتها وعانوا حالها وتنبؤوا بمستقبلها، عمدوا إلى وأدها سالكين في ذلك سُبُل التشكيك بها والتخويف منها والادّعاء عليها.

أهداف المستشرقين من الدّعوة إلى العامية: وتتلخص أهم أهدافهم في النقاط الآتية:

أولاً: نقل العامية من المستوى المنطوق إلى المستوى المكتوب، في مجالات البحث والعلم، والتأليف والأدب والإدارة... إلخ، ومن ثمّ إحلالها محل العربية الفصحى.

ثانياً: هجر العربية الفصحى هجراً تامّاً، حتى يسهل القضاء عليها، ممّا يؤدّي إلى غربة العرب في ديارهم عن دينهم وتراثهم وثقافتهم، وبالتالي سلخ هوية الشخصية العربية.

ثالثاً: نشر اللغات الأجنبية والترويج لها، واعتمادها لغة التعليم للسيطرة على العرب، وغزوهم غزواً فكرياً، فلا تقوم لهم بعده قائمة.

رابعاً: القضاء على وحدة الفكر العربي، وبالتالي القضاء على وحدة الأمة الإسلامية.

لقد اختاروا أشدّ الطرق فتكاً بالدين في صورته القرآن الكريم، وأنجعتها وأفعلها في قتل الشخصية العربية المسلمة وتدمير فكرها، ومحو مقوماتها، فالدّافع الكبير من هذه المحاولات كلّها هو استئصال اللغة العربية من جذورها، فبذلوا في سبيل ذلك النفس والنفيس، فنجد " سرخنت Sarkhant" مثلاً «يتحمل رياح السّموم اللافح ويكافح المتاعب في الصّحاري والقفار من أجل جمع القصائد الشعبية والأمثال العامية في حضر موت، والدكتور "مانسج Mancing" أقام في

مصر عشرين عاما ليجمع الأمثال العامية المصرية ويتّجه إلى البوادي في بلاد العرب لتسجيل

الأغاني والأزجال والمواويل»¹.

وكشفت هذه المحاولات عجز العامية عن معالجة الموضوعات الرفيعة، ومن ثمّ بروز الحقيقة الواضحة وضوح الشمس، في عدم وجود لغتين، إحداهما فصحي، والأخرى عامية، بل هي اللغة العربية، واللهجة العامية، وإذا كانت العامية مرحلة فإنّ الفصحى هي الامتداد الطبيعي للفكر الإسلامي، والثقافة العربية، فالعامية إقليمية تتعدّد لهجاتها في البلد الواحد، وأمّا الرّوائع فلا تكتب إلا بالفصحى²، وكأثما هذه الدّعوات إلى العامية ما هي إلا استدراج وتمهيد لغزو أعظم، لأنّ العامية التي لا ترقى إلى مستوى العربية الفصحى لا يمكنها البتّة منافسة اللغات الأجنبية أو حتى الصّمود أمامها.

2 - دعوى صعوبة النّحو:

من الدّعوي المغرضة التي ما ينفك يردّها المستشرقون، و أعداء اللغة العربية، هي دعوى صعوبة النّحو، التي تحمل في طيّاتها التّحليل من القوانين والأصول التي حفظت اللغة نحو خمسة عشر قرنا ويزي، فكأثما القرآن أنزل فينا اليوم، وكأنّ شعراء العربية، وفقهاءها وفلاسفتها وكتّابها، و... كتبوا ما كتبوا بالأمس القريب، وكأثما المتنبّي والبحري يخاطبان جيلنا الحاضر لا فرق بينهما وبين شاعر معاصر كالبارودي أو شوقي أو حافظ³.

1 - الجندي، أنور، أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، ص 263.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص 262.

3 - ينظر: الجندي، أنور، أخطار المنهج الغربي الوافد، ص 262.

أدرك الغرب خطورة اللغة العربية في توثيق روابط الوحدة الإسلامية، فهذا زعيم المبشرين "زويمر" (Zwemer) يحذّر من أنّ «اللغة العربية هي الرّباط الوثيق الذي يجمع ملايين المسلمين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم»¹ وذلك إشارة إلى ضرورة ضرب هذه اللغة بمعاول الهدم التي تنخر في كيائها الشامخ، مستترة تحت شعارات عديدة كتبسيطها أو تطويرها.

ومّا لا شك فيه أن الهدف الحقيقيّ الكامن وراء دعوى تطوير اللغة، وصعوبة النّحو هو فكّ العروة الوثقى بين اللغة والشرعية الإسلامية وتمزيقها، فما إن تتحوّل اللغة عن أصولها حتى تضع شريعتها وتنهار، لأنّ: «دعائم علم الأصول إنّما هي فهم لغة العرب: لغة القرآن والرّسول بما وضع لها من القواعد الصّرفية، والنّحوية، وضوابط علوم البلاغة، وإذا اضطربت هذه الضوابط، وتلك القواعد بالإزالة والوضع انهدم علم الأصول، وتداعت دعائمه...»²

فهذه القواعد تمثّل مقياساً ودليلاً على تطوّر الأُمّة من ضعفها لأنّه «مقدار ما في الجماعة في نواحي التحضر، وأنواع التمدين، وضروب الاجتماع يكون نصيب اللغة أيضاً من مقدار اضطناع القواعد، وفنون التنسيق، ونمو الجمال فيها إذ هي كائن حيّ يحيا بحياة النّاطقين بها، ويرقى برقيّهم ويضعف ويموت بضعفهم وموتهم»³، فهذه القواعد هي العمود الأساسي لحفظ اللغة العربية.

1- الجندي، أنور، التبشير والاستشراق والدعوات الهدّامة، ص 110.

2- الجندي، أنور، أخطار المنهج الغربي الوافد، ص 273.

3- العناني علي، محرز ليون، الأبراشي محمد عطية، كتاب الأساس في الأمم السّامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها، المطبعة الأميرية، ط1، 1354هـ/1935م، ص 08.

وتجسّدت مجهودات المستشرقين في تبسيط اللغة وتطويرها في عدّة أشكال أهمّها:

1 إلغاء صورة الإعراب في الكلام العربي، واللجوء إلى تسكين أواخر الكلمات¹، هذا

الحديث وإن كان في ظاهره التسهيل على المتحدث بالعربية فإنّه بيّث هدم الأركان والأسس التي

بنيت عليها هذه اللغة المجيدة من خلال إلغاء علم الإعراب أحد دعائم اللغة العربية وركائزها حتى

أنّ الصّاحبي بوّب له في كتابه "في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها" ، بابا جاء

فيه: «من العلوم الجليلة التي خصّت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في

اللفظ، وبه يُعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما مُيز فاعل من مفعول، ولا مضاف من

منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد»²، فالغاؤه يؤدي إلى

الجهل بمعاني القرآن الكريم، فإذا ما ألغي الإعراب تلاشت أحكامه، واندثرت وفقدت اللغة أصولها

التي بها يستقيم الكلام.

وبالمثال يتضح المقال: فقله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ

غَفُورٌ ۝ (فاطر: 28)، وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

إِمَامًا ۚ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝ (البقرة: 124)، فإذا ما ألغينا الإعراب

وسكنا أواخر الكلمات، تصوّرت الأذهان في الآية الأولى، أنّ الله هو الذي يخشى العلماء، وليس

العكس، وتقيّاً لها في الآية الثانية أنّ سيدنا إبراهيم عليه السلام هو الذي ابتلى ربّه وليس العكس،

1- ينظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حنبله، أجنحة المكر الثلاثة، التبشير، الاستشراق، الاستعمار، ص 383.

2- الصّاحبي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. 1، 1418هـ/1997م، ص 43.

مع أنّ العكس في كلتا الآيتين هو الصّحيح المراد به، وهنا تتجلى أهمية الإعراب التي تكمن في فهم معاني القرآن الكريم، وإدراك مواطن جماله فـ: «الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنّه المعيار الذي لا يتبيّن نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى ترجع إليه»¹، فالمعنى لا يتضح إلا من خلال الإعراب.

2 التشكيك في أصالة الإعراب: وتزعم هذه القضية المستشرق كارل فوللرز - Karl Vallers الذي يرى بأنّ «النّص الأصليّ للقرآن، قد كتب بإحدى اللهجات الشعبية، التي كانت سائدة في الحجاز، والتي لا يوجد فيها كما لا يوجد في غيرها تلك النّهيات المسمّاة بالإعراب»²، فهو يُنكر تماماً أن تكون هذه اللغة هي نفسها التي كانت على عهد النّبيّ محمد ﷺ بيد أنّ «فن القواعد اللغوية الذي يسمى الآن في اللغة العربية بالنّحو والصّرف و ما يتبعها من قواعد تكوين الجملة وترتيب العبارة قديم بقدم اللغات نفسها»³.

وقد حذا حذوه المستشرق "بارل كاله Paul E. Kahle، في فصل من كتابه "الذخائر القاهرية" بعنوان "نص القرآن العربي"، حيث يرى أنّ: «الإلحاح على طلب قراءة القرآن بالإعراب لا يبدو معقولاً، إلا إذا كان يُقرأ في الواقع بدون إعراب، وأريد أن يُقرأ بالإعراب الذي عدّ في

1- الجرجاني، عبد القادر، دلائل الإعجاز، مطبعة المنار، د.ط، د.ت، ص 23.

2- عبد التّواب، رمضان، فصول في فقه اللغة، الخانجي، القاهرة، 1420هـ/1999م، ص 377.

3- العناني علي، محرز ليون، الأبراشي محمد عطية، كتاب الأساس في الأمم السّامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها، ص 08.

وقت متأخر، من مظاهر الصّحة اللغوية»¹، فهو يُنكر على العربية مزيّة من أهمّ المزايا التي توشّحت بها والتي تنتظم فيما تنتظم على قوانين نظم الكلام، كما أُلّفناه في عصور العربية الأصلية. ويذهب بعض المستشرقين إلى ردّ النحو العربي إلى أصول يونانية، أو سريانية، أو هندية أو لاتينية، فمن الذين قالوا بالتأثير اليوناني على النحو العربي، الفرنسي "ارنست رينان"، والألماني "هوفمان"، فذهبا إلى أنّ مصطلحات الإعراب والصّرف والقياس والحركة، مصطلحات يونانية، وتقسيم الكلام عند "سيويه" تقسيم يوناني²، كل ذلك من أجل التشكيك في أصالة النحو العربي. 3 حذف بعض قواعد النحو، أو تعديلها من ذلك حذف باب الممنوع من الصرف، واعتبار الكلمات جميعها مُتصرّفة، إلغاء جمع التّكسير، إلغاء قاعدة التّخالف بين العدد والمعدود في التذكير والتأنيث³، اتّهمت العربية بالجمود والعقم، وبعدم صلاحيتها إلا لاجتماع بدويّ لأنّها لا تستطيع مواكبة التّطور، ومسايرة العصر.

ومّا لا يخفى على ذي بال أنّ هذه الدّعاوي جميعها، من إبطال النحو، وقواعد الإعراب، أو تطوير النحو، ما هي إلا شبهة من شبهات الغرب لزعة أركان اللغة كونها أهمّ دعائم الفكر العربي، لأنّ هذا الإعراب الذي يُعدّ حجرة عثرة على الجاهل بالعربية فيتهمه بالصّعوبة والتّعقيد، هو في الحقيقة لا ينحصر عليها بمفردها وإنّما ينال الكثير من اللغات و«هناك لغات كثيرة لا تزال تحيا بيننا، وفيها من ظواهر الإعراب المعقّد ما يفوق إعراب العربية بكثير، فهذه هي اللغة الألمانية

1- عبد التّواب، رمضان، فصول في فقه اللغة، ص 380.

2- ينظر: حسن محمد، خليفة، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين الدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، القاهرة، ط. 01، 1997م، ص 114.

3- ينظر: نجاء، فاطمة هدى، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، ص 231.

مثلاً تقسّم أسماءها اعتباراً إلى مذكر ومؤنث، وجنس ثالث لا تعرفه العربية وهو "المحايد" وتضع لكل واحد من هذه الأجناس الثلاثة أربع حالات إعرابية»¹، فلماذا يصرفون نظرهم عنها ويصوّبون سهامهم دائماً إلى اللغة العربية؟

إنّ هذا الإعراب في لغتنا هو المعين على النطق الصّحيح، والفهم القويم وكذلك الكتابة السليمة، وتمسّكنا به تمسّك بترائنا وأصالتنا، وما هذه الافتراءات عليه من طرف المستشرقين، وكأنّه داء خطير يُراد الفتك به إلا من أجل إنشاء نشئ جديد خالي الوفاض من اللغة العربية.

3 حزام إصلاح الخط العربي:

توالى الهجمات المختلفة للمستشرقين على اللغة العربية فـ: «حتى خطّها، الذي شرّق وغرّب، واستحسنه أمم غير عربية، فكتبت به لغاتها، لم يسلم هو أيضاً من الطعن فيه، والإدّعاء بأنّه هو سبب تأخر العرب، وبذل الجهود في محاولة تنحيته عن السّاحة، وأن يستبدل به الخط اللاتيني»²، حيث ألح الغربيّون، وبالغوا في الإلحاح على كتابة العربية بالحروف اللاتينية بحجّة أنّ رسم الخط العربيّ مشكلة تعيق الناطق العربي عن التّقدم، وتعرقل المسيرة العلمية لديه.

غير أنّ الحقيقة الخافية وراء مخطّط تغيير الحرف العربي هو الحيلولة بين الأمّة العربية وتراثنا «حتى إذا ضاعت اللغة، وضاع الخط العربيّ، فقد تهدّمت آخر حصون الدّين الإسلاميّ، وتحطّمت أقوى قلاع هذا الشّرع الشّريف»³، فإذا كان المستشرق الانجليزي "جب" يرى بأنّ الوحدة

1- الطنّاجي، محمود محمد، في اللغة والأدب، دراسات وبحوث، ص 541.

2- عبد التّواب، رمضان، بحوث ومقالات في اللغة، الخانجي - الرفاعي، ط.1، 1403هـ/1982م، ص 165.

3- المرجع نفسه، ص 165.

الإسلامية «من أهم مظاهرها الحروف العربية التي تستعمل في سائر العالم الإسلامي واللغة العربية التي هي لغته الثقافية الوحيدة»¹، ومن ثم فإن نتيجة تغيير الخط العربي بالخط اللاتيني وخيمة جدا، وذلك لأن الكنوز القيمة التي خلّفتها الآداب الإسلامية في الدين والفقه، والآداب والعلوم، كلّها مدوّنة بالخط العربيّ الأصيل.

ويؤكّد هذه الحقيقة "حسن المعارجي" بقوله: «لقد رأيت بعيني أكواماً من أمّهات الكتب بالحرف العربي في إحدى الدّول الإسلامية يأكلها الإهمال والعفن، لأنّها لا تجد من يعرف فكّ طلاسمها التي استغلت على الجيل الجديد»².

وهذا أهمّ هدف يرومه أعداء اللغة العربية، وها هو المستشرق "Kamgmaar" الذي سرّه ما رآه في تركيا من غياب السّمت الإسلاميّ، وذهاب اللغة العربية، والحرف العربي، بل وقد أثلج صدره، فيصرّح مُبتهجا: «إنّ قراءة القرآن الكريم العربي، وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية»³. كما قام المنصّرون الألمان في شرقي إفريقيا باتّخاذ الحرف اللاتيني مكان الحرف العربيّ، من أجل وقف الزّحف الإسلامي⁴. محاولين بذلك التّفوذ والتّخر في كيان الإسلام من خلال لغته.

ويحضرنى هنا قول "فندريس" وهو أحد علماء اللغة الفرنسيين عن المحاولات التي من شأنها إصلاح الخط الفرنسيّ الذي به الكثير من العيوب كالحروف التي تكتب ولا تنطق، بالإضافة إلى

1- الطويل، السيّد رزق، اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة، ص 102.

2- المرجع نفسه، ص 103.

3- م.ن، ص.ن.

4- م.ن، ص.ن.

نطق معين بصور مختلفة من الرموز «فإذا قمنا بإصلاح شامل دفعة واحدة، كنّا قد استبدلنا مكان اللغة المكتوبة، التي تعودنا عليها لغة كتابية أخرى جديدة، ويترتب على هذا أن نطرح وراء ظهرنا دفعة واحدة، جميع المطبوعات التي نشرت بالفرنسية منذ قرون، وهو أمر مستحيل، هذا إلى أن مثل ذلك العمل، يوجب على جيل أو جيلين من الفرنسيين أن يتعلموا لغتين، بدلا من لغة واحدة، وإنّ هذا من العادات والتقاليد الأدبية ما لا يستطيع المرء أن يُغيّره بجرّة قلم واحدة»¹. هذا بالنسبة للغة الفرنسية والخطّ الفرنسي فكيف إذا كانت اللغة هي اللغة العربية، والخط هو الخط العربي، وعاء الوحي الإلهي وحافظ التراث الإسلاميّ، وعنوان الشخصية الإسلامية، ولسان الرسالة العالمية، لأنّ «مكان اللغة العربية من الإسلام، هو مكان اللسان من الإنسان، وإذا كان اللسان هو سبيل الإفصاح عن مكنونات الإنسان وأسراره، وطريق وضوحه وجلائه، ووسيلة فهمه وفض مغاليقه، فإنّ العربية كذلك هي الطريق الأمثل إلى فهم الإسلام، واكتناه ما فيه من قيم وتعاليم وجواهر...»²

ونخلص إلى أن الغرض الدقيق والأساسي من البحث في تغيير الحروف العربية أو إصلاحها، ما هو في الحقيقة إلا محاولة للفصل بين الشعوب العربية وثروتها الإسلامية، وقطع الصلة تماما بين الأجيال القادمة والقرآن الكريم، و أحاديث الرّسول الأمين، و سائر الكتب الإسلامية المخطوطة بالخطّ العربيّ، و عليه فإنّ «اللسان العربيّ، وهو لسان الدّين» كما يقول الأفغاني «يجب أن يكون في المحلّ الأرفع من اهتمام سائر المسلمين، لا العرب منهم فقط، لأنّ اللّسان العربيّ لسان الدّين

1- فندريس، اللغة، تع: عبد الحميد الدّواخلي - محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، د.ت، ص413.

2- عمارة، محمد، جمال الدين الأفغاني موقف الشرق وفيلسوف الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط2، 408 هـ/1988م، ص 176.

الطاهر، والأدب الباهر، وديوان الفضائل والمفاخر»¹ فاللغة العربية بقواعد نحوها، وخطها الأصيل لغة لا تعادلها أية لغة أخرى.

ويبدو لنا من خلال هذا البحث تدرّج واضح في مخططاتكم بدءاً من صعوبة الفصحى والدعوة إلى استبدالها بالعامية، إلى صعوبة النحو ومحاولة إلغائه، وصولاً إلى الخط العربي بإلغائه وإحلال الحرف اللاتيني محله (اللغة ثم النحو ثم الخط)، هي في الحقيقة جملة قضايا يريدون بها تخطيطاً مُعيّناً، ولأنّ "الهوية قلعة حصنها الثقافة وسياجها اللغة"²، فقد وجدوا بأنّ ضرب اللغة هو أفضل وسيلة لإضعاف روح الإسلام وتشويهه وتجريده من مضمونه وجوهره، وتعكير صفو وشفافية وروحانية هذا الدّين الذي بات يقض مضاجعهم فأرادوا تشويه لغته حاملة لوائه من خلال أفكارهم المضلّة .

4 إنشاء المجلات:

تكاثفت الجهود وأنشئت المجلات لتكثيف الضربات على اللغة العربية، من أهمّها:

1) **مجلة المشرق:** وتصدر هذه المجلة عن الآباء اليسوعيين بلبنان باللغة العربية، يُديرها آباء كلية "القديس يوسف" بيروت بعد أخذها الموافقة البابوية بـ "روما" سنة "1898م"، وأمّا عن الغاية من إنشائها، فيقول مؤسسها "لويس شيخو" في مقدّمة الجزء الأوّل: «هذا وإنّ اسم مجلّتنا الجديدة ينطق بنفسه عن غايتنا، ويقوم مقام لائحة مطوّلة، إذ آثرنا باختياره أن تُبيّن لأهل الوطن أنّ جلّ

1- عمارة، محمد، جمال الدين الأفغاني، المرجع السابق، ص. 176.

2- المسدي، عبد السلام، العرب والانتحار اللغوي، دار الكتاب الجديد المتحدّة، ط. 2011، 1م، ص. 85.

مرغوبنا التّحرّي لكل الأبحاث المتعلّقة بالشرق والطّوائف الشرقية وتفضّلها على ما سواه»¹. عملت هذه المجلة على نشر الفكر الاستشراقيّ، والترويج له، من خلال إحياء القوميات للتفرقة بين المسلمين، والدّعوة لاعتناق المسيحية، وتحسين صورة الغرب المستعمر.

موقفها من اللّغة العربيّة:

ما انفكت المجلة تردّد دعوات المستشرقين المضادة للفصحى والدّاعية إلى اتّخاذ العامية لغة للعلم والأدب فجاء فيها «يأنف أغلب الكتبة من استعمال اللّغة العربيّة العامية لنشر أفكارهم وترويج مقاصدهم، على أنّ لهجة العوام في بعض الأحيان أقرب إلى نوال المرغوب وأقوى فعلا في القلوب، فإنّ الأدباء يجدون فيه تفكّه للأرواح، أمّا الجمهور فيرى صورة حياته اليومية وكلامه المطروق وأمثاله المعتادة، فتؤثّر فيه أقوال الكاتب ومضامين تحريراته»². وكانتّها تعبّد الطّريق للمستشرقين ينفذون من خلالها إلى العالم الإسلامي.

اتّهمت المجلة في إحدى مقالاتها والمعنون (في أهمية جمع خواص الكلام الدّارج) للألماني "مرتين هرتمن"، الفصحى بالعجز عن التّفكير، فهي لا تعدّ وأن تكون في نظر المجلة لغة صناعية لا تفهمها العامّة، متضمّنة ألفاظا لغوية وتراكيب وضعية واصطلاحات مبدعة، منقولة بالترجمة عن كتب أجنبية، وربّما قلّدت اللسان المترجم عنه بطريقة مغايرة لروح اللسان العربي³.

1- المشرق، مجلة كاثوليكية، تحوي مباحث علمية دينية وفنيّة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1898م، ج.1، ص.03.

2- سري طارق، المستشرقون ومنهج التّزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، مكتبة النّافذة، ط.01، 2006م، ص.106.

3- ينظر، المشرق، ج.1، ص.791.

كما امتهنت الخطّ العربيّ، فجاء فيها: «أنّ الكتابة العربية قاصرة عن تصوير بعض ألفاظ العامّة ولا تفي حروفها الثمانية والعشرون برسم أصوات تجري في لهجة القوم»¹، وفي المقابل أشادت بأعمال المستشرقين في هذا المجال: «فاجتهد بعض المستشرقين في درس هذا اللسان الدارج وجمع خواصه والمقابلة بين فروعها المختلفة، نخصّ منهم بالذكر وتستين (Wetzstein) وستومه (Stumme) وسبيتا (Spitta)، ولهم في ذلك تّليف حسنة»²، ومن ثمّ فقد تبّنت المجلة الفكر الاستشراقي المعادي للغة العربية الفصحى، وكيف لا يكون موقفها كذلك والقائمون عليها مسيحيون، يعادون الإسلام في أبهى وأنضر صورته وهي لغته لغة كتابه المتزلّ؟

وهنا يطرح السّؤال نفسه، إذا كانت العامية بالقيمة التي يتحدثون عنها، والمكانة التي يصوّرونها لنا، فلماذا لم تكتب هذه المجلة مقالاتها وبحوثها بهذه اللغة العامية بل وارتضت الفصحى تكسو صفحاتها؟ وإذا كان خطّها بتلك الصّورة التي يصوّرونها لنا، فلماذا يعتمدونه في كتاباتهم ويرضونه ناقلا وناشرا لأفكارهم؟ إلا إذا كان أصحاب هذه المجلة غير مقتنعين بأفكارهم ولا مؤمنين بما ينشرونه مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فكبر مقتا أن يقولوا ما لا يفعلون.

2) مجلة المقتطف: صدر أوّل عدد لهذه المجلة سنة "1876م" حملت هذه المجلة أيضا راية

"سبيتا"، في دعوته إلى العامية، وراحت تردّد أقواله، وتروّج لأفكاره تحت إشراف صاحبها "يعقوب صروف" فصاغت بأسلوبها آراء "سبيتا"، وتولّت نشر أفكاره دون أن تذكر بأنّها

1- ينظر، المشرق، ج.1، المرجع السابق، ص 793.

2- م.ن، ص 791.

تتبناها¹، ومن العجيب أنّ هذه المجلة أيضا ومنذ صدورها لم تكتب بحثا واحدا باللغة العامية التي

تدعو إليها قال تعالى نَقَدْ مَكْرُوا مَكْرُهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ

لِيَرْزُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ (إبراهيم/46).

ذلك أنّ ما يترتب عن استعمال العامية وانعزال اللغة الفصحى وإبعادها عن مسرح الحياة

العلمية والأدبية، هو ضعفها، وهوانها، بل والقضاء على مقوماتها الأساسية، وبالتالي هدم أهم

عمود للوحدة الثقافية والفكرية لدى العرب.

عمل المستشرقون على دحض اللغة العربية بشتى الوسائل وبذلوا في سبيل ذلك النفس

والنفيس، واتّهموها بأنّها سبب ضعف وتخلّف العرب. فروّجوا لنشر العاميات المحلية ونادوا إلى

الكتابة بها، كما دعوا إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وتفطّن "جمال الدين

الأفغاني" لهذا الخطر، فنّبّه إليه وحذّر منه «يتّخذ الغربيّون في الشرق أساليب عجيبة للقضاء على

الروح القومية وقتل التربية الوطنية وتقويض الثقافة الشرقية، فتراهم يزيّنون للشرقيّين أن يُنكروا

على قومهم كل مآثرة ويلقون في روعهم أن ليس في لغتهم العربية أو الفارسية أو الهندية آداب

تؤثر ولا مجد بخير، ويوهموهم أن قصارى المجد للإنسان الشرقي في النّهاية أن ينفر من سماع لغته

وأن يتباهى بأنّه لا يُحسن التعبير بها. وأنّ ما تعلمه من الرّطانة الغربيّة هو غاية ما يُستطاع بلوغه

من الثقافة الإنسانية»² إلى أن يقول: «ألا ليت الشرقيّين يدركون أنّه لا لسان لهم، وعدم وجود

1- ينظر: عطار، أحمد عبد الغفور، الرّحف على لغة القرآن، ص52.

2- محمد عللوه، الغزو الفكري والرّد على افتراءات المستشرقين، دار الأقبص، دمشق، ط1، 2002م، ص100.

لسان القوم يعني أنه لا تاريخ لهم ولا تاريخ لقوم إذا لم يقم فيهم أساطين يحمون ذخائر بلادهم ويحيون مآثر رجالهم»¹، لقد وجّهوا سهامهم لتطاول كل شيء، العقول والأفكار والمبادئ من أجل تحطيم هذه اللغة - العربية - التي ذنبها الوحيد أنّها وعت وحي الرّحمّان، فانتشرت بين الشعوب الإسلاميّة انتشار النّور في الظلمة.

1- محمد عللوه، الغزو الفكري والرّد على افتراءات المستشرقين، ص 101.

المبحث الرابع: رؤى استشراقية منصفة

بينما تعالت أصوات المستشرقين بدم اللغة العربية وإزاحتها من العالم الشرقيّ، زاعمين عدم كفاءتها، واستحالة مواكبتها للتقدّم العلميّ، إلى غير ذلك من الاتّهامات الباطلة والدّعوات المغرضة، إذ برزت من بين ظهرانيهم كوكبة أخرى تعترف للعربية بقوّتها ومجدها، وتحمّد لها خصائصها وفضائلها، وتشدّد أزر أهلها للتّشبّث بها والمحافظة عليها وذلك لأنّ «الحقّ ثقيل مريء، والباطل خفيف وبيء»¹.

وانقسم المستشرقون إلى فريقين «متّفقان في الاعتقاد بجمال هذه اللغة والاعتراف بمزاياها على العلم والمدنية، مختلفا الدّواعي والبواعث في معاملتها، فريق ينظر إليها نظر الهون والمصلحة فينادي بموتها ويعمل على موتها ويزهّد فيها النّاس ويتجنّى عليها وينحلّها العيوب، وفريق ينظر إليها نظر العلم المجرّد فيتعلّمها بإخلاص ويحضّ على تعلّمها ويشيد بذكرها في المحافل والكتب»²، وسواء كان الفريق المنصف دفعه تجرده العلميّ إنصاف العربية، أو جرى الحقّ على لسانه فما استطاع عن البوح به بدّا، فقد استنكر الدّعوات الملفّقة باللغة العربية ونادى بمحاربتها والتّصديّ لها وطفق ينسف الدّعوات التي بناها الفريق الأوّل.

1- الجوزي، ابن القيم، الفوائد، دار الكتاب الحديث، د. ط، 1433هـ / 2012م، ص 143.

2- الإبراهيمي، أحمد طالب، آثار الإمام محمّد الإبراهيمي، ص 379/380.

1 الدّعوة إلى العامية:

يرفض "هنري فليش" ^{*} استبدال العامية بالفصحى مصرّحاً بوضوح أنّه «ليس من المعقول أن تُؤدَّ وجهة النظر القائلة بصرف الجهود وإخلاصها للعاميات، فإنّ معنى ذلك أنّنا نتجاهل "واقعا" لغويا، لا نملك إلّا أن نصفه هنا بالخلود، هو واقع "العربية الفصحى" التي نصوغ بها شعرنا ونثرنا وحديثنا الجاد، بل وحياتنا الرّاقية» ¹، ثمّ يضيف جادّا: «إنّ بحثا عن "العامية" — مهما بلغ — لن يجد طريقه إلى اهتمام الجماهير العربية المثقّفة التي تتكلّم "العامية"، بل سيظلّ حبيسا بين دفتيه... فبحوث "العامية" على أهميّتها... بحوث "ميّنة" ²، لقد هدّم هذا المستشرق دعوة "سبيتا" وأعوّاهه بجرّة قلم.

ويقرّر "فلهريس" بوضوح «والواقع أنّنا لا نعلم إطلاقا لغة قد قصّرت عن خدمة إنسان عنده فكرة يريد التعبير عنها»، ثمّ يحذّر قائلا: «فلا تنصت إذن إلى أولئك المؤلّفين العاجزين الذين يحمّلون لغاتهم مسؤولية النقص الذي في مؤلّفاتهم، لأنّهم هم المسؤولون على وجه العموم عن هذا النقص» وبالتالي فإنّ: «طاقة اللغة تتوقّف على عدد الذين يمارسونها ودرجة تعلّمهم» ³، وبالتالي فإنّ القائل بقصور اللغة العربية يشكو من قصور في تفكيره وتعبيره. وجاء على لسان "يوهان فوك"

* - هنري فليش **Henry Fleche**: ولد سنة 1904م، وهو مستشرق فرنسي، نال الدكتوراه في الآداب من السّوربون، وعيّن أستاذا بجامعة القديس يوسف ببيروت منذ سنة 1945م، ليلقي محاضرات في فقه اللغة العربية والساميات فيها، واللهجات الحديثة، أشهر مؤلفاته: العربية الفصحى. ينظر، يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص. 800.

1- فليش هنري، العربية الفصحى، دراسة في البناء اللّغوي، تح: شاهين عبد الصّبور، مكتبة الشّباب، د. ط، ص 13.

2- المرجع نفسه، ص 15 (بتصرّف).

3- قندير، اللغة، تع: عبد الحميد الدّواخلي، محمّد القصاص، ص 421.

في كتابه — العربية دراسات في اللغة والأساليب— أن «هذه اللغة الفصحى تعدّ— كما يقول "بريتوريوس" Pretorius لغة فنيّة خالصة، وتعلو بما لها من طبيعة مميزة على كلّ اللهجات»¹.

2 دعوى صعوبة النّحو:

يقول المستشرق الألماني "فولفديتريش فيشر" * "Wolfdietrich Fischer"، الملقّب بـ "عاشق اللغة العربية" «وبعد اطلاعي على عدد من اللّغات الشرقية كالتركية، والفارسية أعجبتني اللغة العربية إعجابا كبيرا وذلك لأنني رأيت أنّ بناءها اللّغوي ونظامها النّحوي يعدّان من أوضح اللّغات في العالم، ولأنّها لعبت دورا هامّا في نقل المعارف والعلوم إلى الحضارات الأخرى»² ويؤكد على سهولة النّحو العربي قائلا: «أمّا ما يتعلّق بالنّحو والقواعد فإنّني أعتقد أنّ نحو اللغة الألمانية أصعب من نحو اللغة العربية، وأعتقد أنّ الدّارس للنّحو العربيّ يستطيع أن يفهمه بصورة جيّدة، ومن غير صعوبات كبيرة تذكر»³ وكأنّني به ينسف كل ما جاء به أعداء النّحو العربيّ.

أشرف هذا المستشرق على خمس وثلاثين رسالة في مرحلة الماجستير، وعشرون رسالة في مرحلة الدكتوراه، أهمّ المواضيع التي عالجتها هذه الرّسائل تدور حول تاريخ اللغة العربية بالإضافة

1- فوك يوهان، العربية دراسات في اللغة والأساليب، تر: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخاجي، مصر، 1400هـ/1980م، ص 09.

*- فولف ديتريش فيشر **Wolfdietrich Fischer**: ولد سنة 1928، متخصص في اللهجات العربية الحديثة، لقب بعاشق اللغة العربية، زار القاهرة، دمشق، بيروت، ترأس مؤتمر المستشرقين الألماني في جامعة "أرلنغن" سنة 1977 من أبرز مؤلفاته: أسماء الإشارة في اللهجات العربية الحديثة، والصفات الدالة على الألوان والأشكال في لغة الشعر العربي القديم، وأشرف على تحرير كتابي: الأساس في فقه اللغة العربية، ودراسات في العربية. ينظر، مجموعة من الكتاب، أبحاث عربية في الكتاب التكريمي للمستشرق الألماني فولفديتريش فيشر، ص (395 - 407)

2- الأيوبي، هاشم إسماعيل، أبحاث عربية في الكتاب التكريمي للمستشرق الألماني فولف ديتريش فيشر، ص 397.

3- المرجع نفسه، ص. 399.

إلى بعض الدّراسات في الحضارة الإسلامية، ومن أبرز عناوين هذه الرّسائل: "لحن العوام ومقامات بديع الزّمان الهمداني"، "الجود والبخل في الشعر الجاهلي"، "اسما الفاعل والمفعول في نصوص العربية القديمة"، "دراسة نحوية للصفّات في العربية القديمة"¹...

وأما عن أصالة-الإعراب- فيقرّ المستشرق برجشتراسر * G Bergstrasser، في كتابه التطوّر النحوي للغة العربية، قائلاً: «والإعراب ساميّ الأصل، تشبّك فيه اللغة الأكديّة، وفي بعض الحبشية، ونجد آثاراً منه في غيرها أيضاً»²، ويذهب مذهب المستشرق "نولدك ه Noldeke" الذي يؤكّد على أنّ الإعراب كان موجوداً في عهد النّبي محمّد ﷺ ف «من الخطأ الشّنيع، الاعتقاد بأنّ اللغة الحيّة في عهد النّبي محمّد ﷺ، لم يكن فيها إعراب، فإنّ العلماء في عصر هارون الرّشيد، قد وجدوا الإعراب بكلّ دقائقه لدى البدو»³، ذلك أنّه «لو كان النّبي محمّد صلى الله عليه وسلم، أو أحد معاصريه من المؤمنين، قد نطق بالقرآن دون إعراب، لكان من غير الممكن أن تضع الروايات الخاصّة بذلك، دون أن يبقى لنا آثار منها»⁴.

1- ينظر، الأيوبي، هاشم إسماعيل، أبحاث عربية في الكتاب التّكريمي للمستشرق الألماني فولف ديتريش فيشر، ص. 401 .
*- برجشتراسر ي، Bergstrasser: درس بجامعة ليبزيغ (1904)، حيث تلقى الفلسفة واللغات السّامية على "أوجيست فيشر"، حيث نال الدكتوراه (1911)، التي تضمنت -حروف النفي في القرآن- وشهادة الأستاذية في اللغات السامية والعلوم الإسلامية (1912)، ورحل إلى تركيا وفلسطين، ودرس لهجاتها العامية. قدم مصر أستاذا وألقى في جامعتها سلسلة محاضرات في تطوّر النحو في اللغة العربية، من آثاره معجم قرّاء القرآن وتراجمهم، اللهجات العربية العامية في سوريا وفلسطين. ينظر، العقيلي، نجيب محفوظ، المستشرقون، ج. 2، دار المعارف، ط 5، 2006، ص 450.

2- برجشتراسر، التطوّر النحوي للغة العربية، صح: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1414هـ/1994م، ص 116.

3- عبد التّوّاب، رمضان، فصول في فقه العربية، ص 381.

4- المرجع نفسه، ص 381.

ومن الذين دافعوا أيضا عن أصالة الإعراب المستشرق "يوهان فوك" الذي يقول :

«احتفظت العربية الفصحى، في ظاهرة التصرف الإعرابي، بسمة من أقدم السمات اللغوية، التي فقدتها جميع اللغات السامية... وقد احتدم النزاع حول غاية بقاء هذا التصرف الإعرابي في لغة التخاطب الحيّ. فأشعار عرب البادية- قبل الإسلام وفي عصوره الأولى- ترينا علامات الإعراب مُطّردة كاملة السلطان»¹، ثمّ يستطرد: «كما أنّ الحقيقة الثابتة، من أنّ النحويين العرب، كانوا حتّى القرن الرابع الهجريّ، العاشر الميلادي على الأقلّ، يختلفون إلى عرب البادية، ليدرسوا لغتهم، الأمر الذي يدلّ على أنّ التصرف الإعرابيّ كان في أوجّ ازدهاره آنذاك، بل لا تزال حتى اليوم نجد في بعض البقايا الجامدة، من لهجات العرب البداءة، ظواهر الإعراب»²، وعن أهمية الإعراب يقول "يوهان فوك": «صار الإعراب هو الفارق الذي يميّز عند المثقّفين العرب بين العربية الفصحى، وجميع القوالب والأساليب المولّدة حتى اللهجات الدّارجة، واللغات العامية»³ بل وزاد هذا المستشرق على ذلك أنّ اللغة العربية إذا كانت تشكو فإنّها تشكو من لسان غير العرب، فيقول:

«عانت العربية على لسان غير العرب من تغييرات هدّدت بالمسح صورة وقعها وجرسها، وطبيعة تكوينها وتركيبها في الصّميم»⁴، فجعلهم بها وبدقائقها، يجعلهم يحدّون فضلها، ويناصبونها العداء.

1- فوك، يوهان، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ص 15.

2- المرجع نفسه، ص 15.

3- المرجع نفسه، ص 14.

4- المرجع نفسه، ص 21.

3 حزام عم إصلاح الخطّ العربي:

لا يمكن في أيّ حال من الأحوال أن نحجب شمس الحقّ والنّور، بافتراءات الكذب والزّور، فالخطّ العربي صورة صادقة للإحساس الجمالي، فهو يحقّق للرّوح السّموّ والطهارة وهامي "أنا ماري شيمل (هارفرد) تقول: «أحدث الإسلام من جهة تاريخ الأديان ذات كتاب موحى وأخرى بلا كتاب موحى، وتبعاً لذلك كان الخطّ المستخدم في حفظ الوحي أهمية خاصّة في الحضارة الإسلامية: نقاء الخطّ هو نقاء الرّوح»¹، كيف لا؟ وقد ارتبط بتزليل المولى القدير - القرآن الكريم- ولأنّ للحق سلطان على الإنسان، فإنّنا نجد المستشرق الإيطالي "نالينو Nallino"، الذي لم يصدّه عداؤه للإسلام إلى الاعتراف بأفضلية الخطّ العربيّ، فيصرّح قائلاً: «إنّ الخطّ العربيّ موافق لطبيعة العربية، ولو أردنا استبدال الحروف اللّاتينية بالحروف العربية لتحتّم علينا إيجاد حروف جديدة نضيفها إلى أبجدية اللّاتينية الحالية، لكي تعبّر عن الأصوات العربيّة التي تمثّلها حروف: ج، ح، خ، ش، ط، ظ، ص، ض، ع، غ، ولاحتجنا كذلك إلى التّمييز بين الحروف المتحرّكة الممدودة و بين الحروف المقصورة»² فهذه شهادة من أعداء العرب على أفضلية الخطّ العربيّ الذي لا يناهزه خطّ أو كتابة.

ويسفّه المستشرق الأمريكيّ آراء الذين يقولون باستبدال الخطّ اللّاتيني بالخطّ العربيّ «وما قيل في اللغة يُقال في الخطّ العربيّ، فمن الغبن والعبث أن يحاول أحد- كما حاول بعضهم في الماضي

1- فولف ديتريش فيشر، الأساس في فقه اللغة العربية، تر: بحيري سعيد حسن، المختار، للنشر، القاهرة، ط.1، 1422هـ/2002م، ص 126.

2- الميداني، عبد الرّحمان حسن حبنكه، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التّبشير، الاستشراق، الاستعمار، ص. 380.

القريب-أن يُقنع الأقوام الناطقة بالضّاد بأن تستعِض عن خطّها بالخطّ الأوروبيّ، فإنّ حرفا تكتب به العربية، والفارسية والتركية والأودية، وغيرها لحقيق أن تستعمله الشعوب الناطقة بالضّاد، ولا يستطيع إنسان اختراع حرف قادر على مجازاة التغيّرات اللفظية الناتجة عن تغيّر الزمان والمحيط»¹، وكأني بهم ﴿كَلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ (المائدة 64).

ليس هذا فحسب بل هناك من المستشرقين من دعا العرب إلى مقاومة هذا الهجوم على لغتهم باعتبارها جزءا من كيانهم وشرفهم أمثال "فتيجو Ftigo" الذي قالها بصراحة «على العرب أن يقاوموا الدّعاية المؤلّمة التي تطالبهم بالتّخلي عن شرفهم وتقاليدهم وإبائهم، وأن لا يستسلموا إلى القوى المستعمِرة»²، ومنهم من يتهم على المستغربين الذين انسلخوا من قيمهم، واتّبعوا أهواءهم. فنجد "فيلا سبازا" (Villa Spaza) يصرّح «إنّ الذين حوّلوا كلّ قواهم إلى التعلّم باللّغات الأجنبية جاعلين لغة أجدادهم في المترلة الثانية أو في طيّ الإهمال قد سدّت دون مواهبهم منازل الألمعية»³ فالمفرط في لغته كالمفرط في عرضه، ثمّ يُضيف «إنّي لأعجب لفئة كثيرة عدوّها من أبناء هذا الشرق العربيّ تنفرط من عقد قوميتها، ويتظاهر أفرادها بتفهّم الثقافات الغربية تفهّما تامّا.

1- فتاوى كبار الكتّاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية، فضة الشرق العربيّ وموقفه إزاء المدنيّة الغربية، تق: سعيد بذكراد، 2013 م، مجلة الدّوحة، قطر، ص. 31.

2- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، ص 307.

3- المرجع نفسه، ص 308.

فهم يعجزون بابتعادهم عن لغة قومهم وغرائزهم ولكم رأيت في هذه البلدان العربية أناسا

يخدعون أنفسهم ليُقال عنهم إنهم مُتمدّنون راقون متعالون إلى أسمى درجات المدنية»¹.

وتحدّثوا أيضا عن مستقبل اللغة العربية، فهذا المستشرق اليسوعي "Lammens

يقول «إنني أثق بمستقبل حسنٍ للغة العربية، على شرط أن يتولّى الحكم في البلاد العربية رجال ذوو

نظر بعيد و أفكار واسعة ووطنية رحبة»²، ومن ثمّ فإنّ المشكلة ليست في اللغة العربية وإنّما هي

في أهلها.

وأما "يوهان فوك" فيصرّح «وإنّ اللغة العربية الفصحى لتدين حتّى يومنا هذا بمركزها العالميّ

أساسا لهذه الحقيقة الثابتة، وهي أنّها قد قامت في جميع البلدان العربية، وما عداها من الأقاليم

الدّاخلية في المحيط الإسلاميّ، رمزا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية»³ إلى أن يقول: «لقد

برهن جبروت التراث العربيّ التّالّد الخالد، على أنّه أقوى من كلّ محاولة يقصد بها زحزحة العربية

الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر، ولم تخطئ الدلائل، فستحتفظ أيضا بهذا المقام

العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية، ما بقيت هناك مدنية إسلامية»⁴، ذلك لأنّ للحقّ

دولة، وللباطل جولة، قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١) (الإسراء

81)، وكما قال الأفغاني: «كان اللّسان العربيّ لغير المسلمين، ولم يزل، من أعزّ الجامعات وأكبر

1- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، ص309.

2- فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية، ص33.

3- فوك يوهان، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ص242.

4- المرجع نفسه، ص242.

المفاخر»¹، ذلك أنّ الباطل يعلو ويطفو مثل الزبد، لكنّه ما يلبث يذهب جفاء، فاللغة العربية

نقشت حروفها على صفحات التاريخ علّمت العالم الإنسانية في ظلّ التوحيد.

يوحنا يعقوب رايسكه **Johann Jakob Reiske 1716 – 1774م**: يعد

رايسكه من المستشرقين القلائل الذين درسوا اللّغة العربية بذاتها ومن أجل ذاتها دراسة علمية موضوعية، دفعهم إلى ذلك شغفهم ونهمهم للعلم والمعرفة، فهو مؤسس "الدراسات العربية في ألمانيا"، وأوّل مستعرب شهير أنجبته، جاء في زمن لم تكن فيه العلاقات مريحة بالنسبة للدراسات العربية بشكل عام.²

كان لـ"رايسكه" الأثر البالغ في تاريخ حركة الاستشراق الألماني، وربّما نقول الأوروبيّ، فهو مؤسس اتّجاهه العلميّ، فبينما كانت دراسات اللّغة العربية تقوم أساسا من أجل التّمكن من تفسير نصوص الكتاب المقدّس إذ به يجعل دراستها - العربية - علما مستقلا بذاته، أي: دراسة العربية بذاتها ولذا، حيث «رفع رايسكه من النّحو العربيّ إلى سُدّة علم قائم بذاته، وباستثنائه، فإنّ أحدا لم يتوصّل إلى قواعده الخاصّة وإلى استقلاليتها، كما أنّ أحدا لم يتصدّ بوعي إلى اللّغة التي كانت تدور في فلك اللاّهوت»³، وأعرب بوضوح «إذا كان في نيتنا النّهوض باللّغة العربية فلا ينبغي لنا مزاولتها كما نزاول اللاّهوت»⁴، فهو يرفض تماما أن يربطها بقراءة لاهوتية.

1- عماره محمد، جمال الدين الأفغاني، موقظ الشرق، ص. 177.

2- ينظر: فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، ص 110.

3- عمر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن، ص 199.

4- المرجع نفسه، ص 195.

ورغم معاناته من ضغط الحاجة، واتّهامه بالهرطقة، إلا أنّه رفض الرّضوخ لرجال اللاّهوت الذين طلبوا منه تكذيب نبوّة الرّسول محمّد ﷺ، ووصف دينه بالخرافة المضحكة، بل وتقسيم تاريخ العالم إلى قسمين (مقدّس ومدنّس)، لكنّه قلّد العالم الإسلاميّ نقطة الوسط في تاريخ الكون كلّ، غير آبه أو مكترث للعواقب الوخيمة التي يجرّها عليه مثل هذا الموقف.¹

وحتى عندما منعت عنه الدّولة المعاش الذي كان يتقاضاه، لم يتخل عن قيمه ومبادئه التي يؤمن بها، فحسبه أن تضرّع للمولى «إن لم تمدّ لي يد العون يا الله فسأكون من الهالكين في حبّ العربية»²، دفعه إلى ذلك كلّ شعور غريب، برغبة قويّة ومُلحة في تعلّم اللّغة العربية وعلومها ودراستها دراسة علمية، فكان بحقّ "شهيد العربية".

1- عمر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن، ص. 197.

2- المرجع نفسه ، ص. 202.

المبحث الخامس: ترجمة المستشرقين للقرآن الكريم: أساليبهم وأهدافهم

ماهية الترجمة:

أ - لغة: ورد في لسان العرب: التَّرجُمان، والتَّرجُمان: المفسِّر للسان، وفي حديث هرقل: قال لترجمانه، التَّرجُمان، بالضم والفتح: هو الذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغة إلى أخرى، والجمع التَّراجم¹.

ب - اصطلاحاً: الترجمة هي: «شرح وتفسير ما يقوله ويكتبه الآخر، من لغة أخرى إلى لغة المتلقّي أو المستمع»²، وهي «في الأصل نقل الكلام من لغة إلى أخرى قصد إيضاح معنى الكلام وتبيين القصد منه»³، وتُعرَّف أيضاً بأنها: «نقل الكلام المعبر عنه بلغة مطلوب فهم هذا الكلام بها سواء كان هذا الكلام شفهاً أو مكتوباً»⁴.

والترجمة بهذا المعنى من أهمّ الوسائل لتبادل المعارف والثقافات بين الأمم في مختلف الحقول المعرفيّة (علوم، آداب، طب، فلسفة...)، كما حدث في العصر العبّاسيّ حينما نقل العرب علوم الهند واليونان والفرس إلى اللّغة العربيّة، وكما حدث في النهضة الأوربيّة فكانت الترجمة وليدة الحاجة لنقل علوم العرب المتطوّرة التي كان يفتقدها الغرب، وباختصار فإنّ الترجمة هي تلك النّافذة التي تستفيد عبرها الشّعوب المختلفة فتستنير بنور غيرها.

1- ابن منظور، لسان العرب، ص 427.

2- العيسى سالم، الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط، 1999م، ص 07.

3- عيسى بريهمات، الترجمة والتأويل، المجلة الحامية، المركز الجامعي، الأغواط، العدد 01، ماي، 2003م، المجلد 03، ص 67.

4- المرجع نفسه، ص 67.

شروط الترجمة الجادة: أجمع الباحثون المهتمون بعلم الترجمة على وجوب توفر شروط أربع

لتحقيق عملية الترجمة¹ وتكمن في:

- 1 علم المترجم للغتين: المترجم منها، والمترجم إليها.
- 2 المعرفة بخصائص اللغتين ودقائقهما.
- 3 ترجمة جميع معاني الأصل ومقاصده قدر الإمكان.
- 4 استقلال صيغة الترجمة عن الأصل.

وأول عقبة تواجه المترجم هي الاختلاف الحضاري والثقافي بين الشعوب يشعر بحاجة دائما إلى التقريب بين معاني هذه الكلمات وتلك، ونادرا ما نجده ينجح في ذلك، وما أروع أن تكون الترجمة نبضا صادقا، وصور ة حقيقية لنقل الثقافات والعلوم والمعارف، بعيدة عن تشويه وإفساد لغة أو فكر أيّ أمة كانت.

ترجمة معاني القرآن الكريم: إنّ ترجمة معاني القرآن الكريم* عبارة عن تفسير موجز للقرآن في لغة أجنبية، ويقال لها: الترجمة التفسيرية²، والمقصود هنا نقل مدلول الآيات الكريمة إلى لغة أخرى

1- ينظر، شوق، شاكر عالم، ترجمة معاني القرآن الكريم ودور المستشرقين فيها، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاغونغ، المجلد، 04، ديسمبر 2007م، (ص 74/57)، ص 60.

* هناك فرق بين "ترجمة القرآن" و"ترجمة معاني القرآن"، فأما الأولى فلا يمكن تأديتها مهما كانت الترجمة متقنة لأنّ إعجاز القرآن يشمل جميع معانيه ومحكاة بلاغته وأساليبه فهذا مالا يستطيعه بشر، فهي مستحيلة في حقّ القرآن الكريم، من غير الممكن نقله إلى اللغات الأخرى في أيّ حال من الأحوال، وأما الثانية: وتعني أنّ القرآن هو الأصل الأوّل للشرعية الإسلامية، ونظام حياة، وهداية للناس، فيرجع إلى المعاني الأصلية التي يشترك في تفهمها وآدائها جميع الناس، وتستطيعه كل اللغات، وهذا النوع من المعاني يمكن ترجمته لفائدة غير العرب من أجل نشر الدّعوة الإسلامية للناس عامة قال تعالى ﴿أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَكَافَّةٍ لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) ﴿سبأ 28﴾، ينظر، الندوي، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطوّر فهمه عند الغرب، ص 14.

2- الندوي، عبد الله عباس، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطوّر فهمه عند الغرب، دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، جمادى الآخرة، 1417هـ/العدد، 174، السّنة الخامسة عشر، ص 13.

حسب قدرة المترجم وما تسعه لغته، فهي تُعين المسلمين من غير العرب على تفهّم معاني القرآن، والتعرّف على أحكامه، كما أنّها وسيلة هامة لتبليغ الرّسالة الخاتمة للنّاس كافّة.

وزيادة عن شروط التّرجمة الآنفه الذّكر فإنّ ترجمة معاني القرآن تحتاج إلى¹:

1 - استناد التّرجمة إلى الأصول الصّحيحة التي ينبغي الاعتماد عليها في تفسير القرآن وبيان هديه وأحكامه من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

2 - الابتعاد عن الهوى وعدم الميل إلى عقيدة معيّنة مخالفة لما جاءت به الشّريعة الإسلاميّة وهذا شرط في كلّ من المفسّر والمترجم حتّى لا يفسّر الأوّل بهواه، ولا يترجم الثّاني برأيه وعقيدته، بل يكون رائد كلّ منهما القرآن الكريم.

3 - عدم توهم أنّ هذه الترجمة هي نفسها القرآن أو أنّها تشمل على جميع ما حواه من معان وأسرار، فهذا ما لا يمكن أن تحيط به ترجمة من التّرجمات، ولا ينبغي لبشر مهما أوتي من بلاغة وبيان.

وهذا ما يعرفه القاصي والدّاني، ولا يستطيع أن ينكره عليه أحد، اعترف به حتّى أعداؤنا الغربيّون حيث يقول المستشرق براون (Browne): «نحن نختلف مع المسلمين في كوننا نعتبر كتابنا مقدّساً سواء أقرأناه في اللّغة الأصليّة أم في لغتنا الحاليّة، أمّا المسلمون فيعتبرون القرآن كلام الله وإنّه لتتريل من ربّ العالمين، وأنّ الله هو الذي يخاطبهم وليس محمّد، ولذلك فإنّ القرآن لا يمكن

1- ينظر، عبد الرّحيم، عبد الجليل، لغة القرآن الكريم، ص. 537.

ترجمته إلى لغة أخرى، لأن المترجم مضطّر أن يورد في ترجمته قدرا من التفسير يستعين به على إظهار معانيه بالإضافة إلى أن المسلم سواء كان فارسيا أم تركيا أم... فإنه يرتل القرآن باللغة العربية، ويتلفظ بالشهادة باللغة العربية»¹.

ولولا هذه العناية الربانية للقرآن الكريم لما عاشت اللغة العربية على مدى هذه القرون ثابتة تقاوم أعاصير الزمن وعواصف المحن وهذا ه شهادة المستشرقين أنفسهم، حيث يصرّح نولدكه: «بالرغم من نظرة أمثالنا الغربيين إلى القرآن من حيث الوحي، فإننا على ثقة من أن كل كلمة فيه وكل حرف منه هو اليوم كما في أيام محمد»²، فالقرآن وحده هو الذي حفظ العربية من الاندثار والضّياع، بل وارتقى بها إلى درجات الجمال والكمال بخصائص ثابتة لا تنفصم عن جوهرها.

وما يهمنا نحن في هذا الصدد، كيف تناول المستشرقون مسألة ترجمة معاني القرآن

الكريم، كيف كان منهجهم؟ وما هي أهدافهم؟ وهل تمكّنوا من الوصول إليها؟

ترجمة القرآن الكريم: أساليبها وأهدافها.

ما لا شكّ فيه أن الإسلام ومنذ انبلاج فجره، قد واجه تحديات جمّة حاولت طمسه وقمعه، من حروب عسكرية إلى حروب فكرية، تعدّدت أشكالها وتوحّد الهدف، وها نحن نقف على شكل آخر من أشكال العداء والمتمثل في ترجمة القرآن الكريم.

1- الجندي، أنور، عالمية الإسلام، مجلة اقرأ، دار المعارف، القاهرة، تصدر كل شهر، ص107.

2- المرجع نفسه، ص105.

اتّجهت جهود الغرب والمستشرقين للإسلام قديماً وحديثاً إلى محاولة زعزعة الاعتقاد في صحة القرآن الكريم، وما كان ذلك وما يكون إلّا بتعلّم اللغة العربية وإتقانها والأخذ بناصيتها. ظهرت أوّل ترجمة لاتينية للقرآن برعاية الأب بطرس المجلّ رئيس دير كلوني، التي عهد بها إلى الإنجليزي روبرت كيتون Robert Kotten بمساعدة الألماني هرمانوس (Hermanus) وراهب اسباني مجهول الاسم، والتي استغرقت ثلاث سنوات من (1141 إلى 1143م)، اتّصفت هذه الترجمة بالتعليقات على القرآن الكريم بحيث أصبحت لا تنطبق والمعاني الواردة به، لما شابها من تصرّف وحذف وتغيير، كما رافقت هذه الترجمة تعليقات وملاحظات للنيل من الآيات القرآنية، وتغيير أحكامها¹.

أهداف المستشرقين من ترجمة القرآن الكريم: يقول يوهان فوك في دراسته التاريخية للاستشراق: «ولقد كانت فكرة التبشير هي الدافع خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية»² ثمّ يضيف أنّ «هذه الفكرة التي أدّت إلى ترجمة القرآن قد شهدت توسّعا من خلال تنقلات الوعّاظ الدينيين لطائفتي الدومنيكان والفرنسيسكان»³.

والحقيقة أنّ البواعث وراء ترجمة القرآن الكريم لم تكن نشر تعاليم الإسلام بين ربوع الغرب المسيحيّ، بل كانت ترجمته وسيلة فكرية اتّخذها القائمون عليها لإيصال نظرة خاطئة وسيئة بل ومُشوّهة للمسيحيّين عن الإسلام، حتّى لا يعتنقه بنو جلدتهم من جهة، وحتى يعملوا على دحضه ونقضه والردّ عليه من جهة أخرى «إذ إنّ ترجمة القرآن الكريم إلى اللّغات الأجنبية لم تتمّ بقصد المعرفة الخالصة أو الفهم المجرّد، أو التفاعل والتكامل مع الآخرين، بل إنّها تمّت بقصد معرفة المواطن التي يمكن الوثوب منها عليه، أو البحث عمّا يمكن أن يكون نقاط ضعف يتم التركيز عليها

1- ينظر، الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقيّ، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدّراسات الإسلاميّة، ج.1، ص. 258.

2- فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، الدّراسات العربية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ص.16.

3- المرجع نفسه، ص.22.

لقهر "الآخر" وهزيمته والسيطرة عليه»¹، وذلك من خلال الشبهات حول مسائل شرعية كتعدد الزوجات ولبس الحجاب، ومسألة الميراث.

ولنأخذ مسألة الميراث على سبيل المثال، يزعم المستشرقون بأن الإسلام بطرَحَ حقَّ المرأة وجعل منزلتها دون الرجل في الإرث، من غير حقٍّ، آخذين الآية الكريمة ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ (النساء 1) دليلاً على انتهاك الإسلام حقوق المرأة واستعبادها من طرف الرجل الذي يرث ضعف ما ترث هي من أجل تشويه صورة الإسلام والمسلمين، بينما نجدها في تفسير ابن كثير: يأمركم بالعدل فيهم، فإنَّ أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث، فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل الميراث، وفاوت بين الصنّفين، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤونة النفقة والكل فق ومعاونة التجارة والتكسب وتجشّم المشقة، فناسب أن يعطى ضعفي ما تأخذه الأنثى.²

ويذكر "جورج سيل" في مقدمة ترجمته للقرآن «بأنَّ الهدف منها هو تسليح النصارى البروتستانت في حربهم التنصيرية ضدَّ الإسلام والمسلمين، لأنَّهم وحدهم قادرون على مواجهة القرآن بنجاح، وأنَّ العناية الإلهية قد ادّخرت لهم مجد إسقاطه»³ ذلك أنَّ خروج القرآن الكريم عن اللغة العربية يؤدّي تلقائياً إلى تحريفه، والخروج عن مراد معانيه، وهذا مطلب من أهمِّ مطالب الاستشراق وإذا كانت اللغة العربية «لغة عالية بكل معنى الكلمة، ونزل بها كتاب أعلى منها في ذاتها، فكيف يوضع هذا الكتاب ويقرأ بلغات قاصرة ونازلة عن لغة كانت نازلة عن هذا الكتاب؟»⁴

1- عبد المحسن عبد الرّاضي محمّد، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، د.ط، د.س، ص74.

2- الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السّلامة، ج2، الفاتحة، البقرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.1، 1997، ط.2، 1999، ص225.

3- المرجع نفسه، ص75.

4- البنداق، محمد صالح، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط.01، 1400هـ/1980م، ص100.

إذن فالغاية القصوى، والمهدف الأساسي من هذه الترجمات هي خلق الثغرات في بنائه المحكم، ومعارضة أحكامه، والدّس فيه بما يخدم مصالحهم ويحقّق غاياتهم، فقد اعترف بذلك بطرس المجلّ حيال ترجمته حين قال: «وبيان الغرض سعي إلى تحقيقه، وهو الاطّلاع على أفكار الخصوم ودراستها، لبيان سذاجتها ومقارعتها بالدليل والبرهان الذي يناقضها بل إنّ لم يتيسّر له ذلك فلا أقلّ من منع المسيحيين من اعتناق ديانة الإسلام بعد اطّلاعهم على ما جاء في القرآن من مبادئ وأحكام لا تشجعهم على ذلك»¹ فدأهم هو زرع الشكّ والرّيبة في صحة القرآن الكريم وأصالته من جهة، وتحريفه وتزييفه، ونشر الشّبهات من جهة أخرى.

أساليبهم في الترجمة:

1 تشويه الترجمة: من خلال إسنادها إلى مترجمين غير أكفاء عاملوا النصّ القرآني معاملة النصّ البشريّ للحدّ من إقبال الغرب على هذه الترجمات، وبالتالي نفورهم من القرآن الكريم، فالترجمة الحقيقيّة والموضوعية لا تكون إلا عن مترجم حاذق ومُلمّ باللّغتين المترجم منها والمترجم إليها.

ويعدّد "صالح البنداق" وجوه تشويه ترجمات القرآن الكريم فيما يلي:

- ✓ تضليل وتمويه القارئ من خلال إزاحة الآيات من مكانها الأصليّ.
- ✓ الترجمة الحرّة وتحاشي الترجمة العلميّة، من خلال عرض النصّ كما يريد المترجم لا كما تقتضيه آياته وألفاظه.
- ✓ التّقديم والتّأخير والحذف والإضافة، ممّا يسمح بالقول بأنّ: «ترجمات القرآن التي يعتمد عليها "الإفرنج" في فهم القرآن كلّها قاصرة عن أداء معانيه التي تؤدّيها عباراته العليا وأسلوبه المعجز للبشر»². وهذا ما سعى إليه المستشرقون.

1- الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقيّ، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدّراسات الاسلاميّة، ج. 1، ص 263/264.

2- ينظر، عبد المحسن عبد الرّاضي محمّد، الغارة التّصيرية على أصالة القرآن، ص 76/77.

2 إضافة المقدمات والملاحق: لم تكد تخلو ترجمة من ترجمات القرآن الكريم من تلك الإضافات التي كتبها أصحابها من مقدمات تفسيرية وملاحق كلّها تصب في وعاء واحد، وهو التشكيك في أصالة القرآن الكريم ومحاولة الخطّ من شأنه، والابتعاد بالقارئ عن حقيقة كنهه، فهي الباحثة "هداية عبد اللطيف مشهور" في دراستها للترجمة الفرنسية للقرآن الكريم تقول: «رجعت إلى خمس وعشرين ترجمة للقرآن بالفرنسية، فوجدتها كلّها محرّفة، وتضيف نصوصاً من التّوراة إلى آيات القرآن الكريم دون الإشارة إلى ذلك»¹. كيف لا؟ والأساس الذي قامت عليه هذه الترجمات باطل.

أمّا الكاردينال* يوحنا الأشقوبيّ الاسبانيّ (ت 1456) وبعد انتهائه من ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية ألحق بالترجمة جدلية ضدّ الإسلام بعنوان «طعن المسلمين بسيف الرّوح»².

كذلك ترجموا أحقادهم الدّينية على الإسلام والمسلمين فلم يستطيعوا إخفاءها رغم محاولاتهم ذلك، فها أضمر ابن آدم شيئاً، إلّا وظهر في صفحات وجهه وفلتات لسانه.

3 عنونة ترجمات القرآن: لم يكتف هؤلاء المترجمون بسلب القرآن الكريم معانيه وتفسيراته، تبشيراته وإنذاراته، روعته وتجلياته، فسلبوه اسمه أيضاً، وحاولوا جهدهم قطع أيّ صلة به وبين الوحيّ الإلهيّ، فجاءت عناوينهم على النّحو الآتي:³

■ "القرآن أو قانون المسلمين لمحمّد بن عبد الله" ترجمة: فريدرش إبرهارد بويسن

.F.E.Boysen

1- عبد المحسن عبد الرّاضي محمّد، الغارة التّصيرية على أصالة القرآن، ص78.

* الكاردينال: ج. كرادلة، هو مركز رسمي لأسقف مسؤول في الكنيسة الكاثوليكية، وهو عضو مجمع الكرادلة وفي الكوريا الرومانية، ويعتبر "أمير" في الكنيسة. ويتم تعيين الكرادلة من قبل البابا. يتولى الكرادلة مهمّة انتخاب البابا القادم في حال وفاة البابا لكن يُستثنى من هذا الانتخاب الكرادلة الذين يبلغون من العمر ثمانين عاماً أو أكثر. الكاردينال هو رجل دين مهمته انتخاب البابا. عدد الكرادلة الذين ينتخبون البابا 120 أمّا عدد الكرادلة الحاليين 210، <https://ar.wikipedia.org/wiki/كاردينال>

2- عبد المحسن عبد الرّاضي محمّد، الغارة التّصيرية على أصالة القرآن، ص79.

3- عبد المحسن عبد الرّاضي محمّد، ماذا يريد الغرب من القرآن، مجلة البيان، الرّياض، ط.1، 1427هـ/2006م، ص41.

- "قوانين الأتراك أو قرآن محمد" ترجمة: يوهان لانج YOUHAN LANG، وفي طبعته عام 1616م أسماه: "قرآن محمد: القرآن التركي، ديانة وخرافات".
- "مسامرات محمد" ترجمة: لين بول LIEN PAUL.
- "أخلاق الشرق الممثلة في قرآن محمد" ترجمة: جوزيف تيلا JOSEF TIELA.
- "محمد ومؤلفه" ترجمة: فريدرش داومر F.DAUMAR.
- "الكتاب المقدس التركي" ترجمة: دايفد ميغرل DAVED MEGERL.

حقيقة هذه الترجمات : لم تأت هذه الترجمات في واقع الأمر إلا من أجل محاربة القرآن ومقارعته بعد الوقوف على مضمونه من حيث هو مصدر للشرعية، بغاية هدم كيان الإسلام ودحض تعاليمه وتفنيدها، إمعانا منهم في التحريف والتضليل فهي « لم تكن في حقيقتها إلّا تحريفا لمعاني القرآن تستر وراء أردية علمية ومنهجية »¹ وحتى أولئك الذين وصفوا بالإنصاف على نحو المفكر الفرنسي الكبير "جاك بيرك Jack Berque" الذي يرفض انتماءه إلى حركة الاستشراق ويتمسك بأنه دارس للتاريخ ومؤرخ إلا أنه «حين أصدر ترجمته لمعاني القرآن التي صدرت في فرنسا عام 1990م كشف عن وجه آخر " فقد برز اهتمامه بتقديم معاني القرآن مشوّهة للغرب" لأن الكثير من الناس والمفكرين الذين لا يقبلون الصّورة الماديّة للحياة المعاصرة ويرفضون مجتمع الاستهلاك: هذا المجتمع الماديّ ويفضّلون على المدنية المعاصرة مدنية الإسلام الروحية وينادون بالعودة إليها" فكأنّه أراد أن يقول للمفكرين الفرنسيين الذين أصبحوا يرفضون حضارة الغرب الآن، ويرون أنّها على وشك الانهيار لأنّها فقدت الأساس الروحي، يريد أن يقول: هذا هو الإسلام أيضا مليء بالخرافات والمتناقضات إلى آخر الاتهامات القديمة المعروفة التي تهتّد كثيرا»².

1- الجندي، أنور، عطاء الإسلام الحضاري، رابط العالم الإسلامي، رجب 1416هـ، العدد 163، ص121.

2- المرجع نفسه، ص121.

ويعترف المستشرق الفرنسي "رجيس بلاشيم" (Régis Blachère) بافتراءات أوربا على الرسول ﷺ وتزييف ترجمات معاني القرآن في القرن الخامس عشر التي سوّلتها لهم أنفسهم فيقول: "إنّ هذه كلّها تمثّل عنصراً أساسياً في الصّراع القائم ضدّ الإسلام"¹، وهكذا نجد أن عمل المستشرق "جاك بيرك" لا يعدو أن يكون اجتراراً وتكراراً لأفكار أقرانه من المستشرقين.

وتتلخّص المحاور الأساسية لعمل هذا الأخير فيما يلي:

1 - التشكيك في نزول وترتيب وتجميع القرآن متغافلاً عن قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ (الإسراء 105 إلى 108)

وأما عن جمع القرآن فيقول تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ (القيامة 6 إلى 19).

2 - تحاثر القرآن بالشعر الجاهليّ والفكر اليوناني القديم ومزامير داود، متجاهلاً قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (يحيى 69)

3 - احتواء القرآن على خط أسطوري مثيولوجي والمولى يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ (١) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ ﴿(الكهف 1)

4 - التناقض بين الإشارة إلى أهمية العقل في القرآن وبين الإيمان بالغيب الذي يعني عنده مساحات من الظلام والغموض.

1- الجندي، أنور، عطاء الإسلام الحضاري، رابط العالم الإسلامي، رجب 1416هـ، العدد 163، ص122.

5 إن مفهوم الله "تبارك وتعالى" في القرآن يثير الرعب في نفوس المؤمنين¹. ويغفل قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر 53) وقوله كذلك: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام 54) وغيرها كثير من الآيات بيد أن القرآن الكريم لم يغفل عن أمثال هذا المستشرق حين قال في سورة الإسراء 82: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢) وفي سورة مريم 97 يقول المولى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا

﴿٩٧﴾

ويقول جاك بيرك «إن أقل ما يمكن أن يقال هو أن القرآن لا يتضمن آية قرآنية بالمعنى المفهوم لا في العبادات ولا في مفهومها ثم ينتقد غموض التعبيرات في الأحكام وتناقض الشريعة ويتهم بعض المفسرين الكبار بتحريف معاني بعض الآيات كما يحاول الإيحاء بأن مفهوم الله "تبارك وتعالى وجل وعلا" هو ترديد لذات المفهوم في الفكر اليوناني القديم»²، فإذا كان هذا المستشرق قد تحمّل وكابد عناء تعلّم اللغة العربية ثم تعب و نصب في ترجمة القرآن الكريم وسافر وبحث ليخرج بهذه النتيجة ، فمثله كمثل الذي نزلت فيه هذه الآية الكريمة ﴿وَأَتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَأَنسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ^٣ فَثَلَّهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ^٤ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ

1- ينظر، الجندي، أنور، عطاء الإسلام الحضاري، ص 163.

2- المرجع نفسه، ص 123.

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِ مُهْتَدٍ ۖ وَمَن يَضِلَّ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ (الأعراف 175 إلى 178).

ونخلص إلى أن هذه الترجمات «لم تف بالمعنى القرآني المطلوب، كما وأنها مع المقدمات التي كتبت لكل ترجمة كان هدف بعضها إعطاء فكرة مشوّهة عن الإسلام ونبّيه وكتابه، فنجدها عامرة بالقصص الخياليّة كان هدفها في البداية تنمية الحقد لدى المقاتل الصليبي في الحرب ضدّ المسلمين لكنّها سرعان ما أصبحت سلاحاً فكريّاً للتأثير على المثقّف الأوربيّ التي يجب أن يكونها عن الإسلام على نهج ما أرادته الكنيسة الأوربيّة منذ البداية»¹، وبالتالي فقد ابتعدت هذه الترجمات عن الموضوعية وعن الأمانة العلميّة.

ويحذّر "ساسي سالم الحاج" من خطورة هذه الترجمات فيقول بأنّ لها «آثاراً بعيدة المدى، شديدة الخطر، بالغة الدقّة من أهمّها أنّ هناك أقواماً وشعوباً اطلّعوا على هذه التّرجمات، واستنبطوا منها ماشاؤوا من نتائج دينيّة وعلميّة بعيدة الخطر، فمن خلال هذه التّرجمات وقّف العديد منهم حياته وأفناها على دراسة الإسلام وتراثه وحضارته وتاريخه، ومن خلال هذه التّرجمات اطلّعوا على عقليات الشّعوب الشرقيّة، درسوا أحوالها وتتّبّعوا طبائعها، ويبيّنوا خصائصها، تمهيدا للاستيلاء عليها واستعمارها ومن خلال هذه التّرجمات أورد المستشرقون تلك الشّبهات التي وصفوا بها الإسلام وكتابه المقدّس، فمنها حكموا على أنّه ليس كلام الله ولكنّه من صنع البشر، ومن خلالها تلمّسوا له مصادر داخلية وخارجية ومن خلالها أنكروا إعجازه، وعدم انتظام أسلوبه وقوّة بلاغته»²، إذن فتأثير هذه الترجمات على الأوربيين كان سلبياً أكثر من كونه إيجابياً، وهذا ما سعت إليه الكنيسة الأوربية و سار على دربه الكثير من المستشرقين **وَيَنكُرُونَ وَيَمْكُرُ** **اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٢٠﴾** (الأنفال 30)، لأنّهم سعوا دائماً إلى تضليل الغربيين وإبعادهم عن الفكر الإسلاميّ بل وإعطائهم

1- فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتّاريخ الإسلامي، الأهليّة، لبنان، ط.1، ص201.

2- الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ص 266.

صورة خاطئة محرفة له حتى لا يميلوا إلى هذا الدين ولا ينجذبوا إليه فالهدف هو وضع حاجز معرفي يحول بين الغربي والإسلام من حيث كونه ديناً قائماً بذاته.

منهج الغرب في ترجمة القرآن الكريم:

وأما منهج الغربيين في ترجمة القرآن الكريم، فلا يمتّ للمناهج العلميّة بصلة، وهذا ما ذهب إليه موريس بوكاي (Maurice Bucaille) «وإذا أمعنت النظر في طرائق الغربيين في ترجمة القرآن، علمت أنّه من غير الممكن أن تحصل على واحدة يُطمأن إليها بين ترجماتهم»¹ وترجع سقطات هؤلاء الغربيين حسب رأي "عباس محمود العقّاد" إلى أمرين اثنين حدّدهما بدقة في قوله: «ويذكر أن تقرأ في كلام ناقد من الأجانب عن اللغة العربية شيئاً من مآخذ التناقض في الإسلام، إلّا بدا لك بعد قليل أنّه مخطئ، وأنّ مردّ هذا الخطأ عنده إلى جهل الإسلام أو جهل اللغة العربية، وبعضهم يجهلها وهو من المستشرقين، لأنّه يستظهر ألفاظها ولا يتذوّقها ولا ينفذ إلى لبّها من وراء نصوص القواعد والتراكيب»² ذلك أنّ الجهل باللغة العربية يؤدّي إلى الجهل بلغة القرآن الكريم ومن ثمّ الجهل بتعاليم الإسلام بصفة عامّة.

غير أنّ هناك سبباً أعمق يمثّل فساد ترجماتهم وهو راجع إلى الدوافع الكامنة و الأصلية وراء ترجمة القرآن الكريم من حقدٍ دفين وحسدٍ كبير للمسلمين وكره لدينهم وعقيدتهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ١٤﴾ (النمل 14)، فهذا "بوكاي Bucaille" يتحدّث «بحثنا عن السبب في فساد الترجمة وجدناه راجعاً إلى هذه الدوافع بأكثر ممّا يرجع إلى الضعف في معرفة اللغة العربية»³، فلا غرو في أنّ القرآن المترجم لا يجد قارئه أيّ ذوق أو جاذبية، أو إحساس يختلج نفسه، ويعي خطرات قلبه، على عكس ما يستشعره من بلاغة المعنى

1- عبد المحسن، عبد الرّاضي محمد، ماذا يريد الغرب من القرآن، ص51.

2- المرجع نفسه، ص72.

3- م.ن، ص56.

وسلاسة الأسلوب وعذوبة القول والسكينة التي تختلج قلبه عندما يقرأ القرآن باللغة العربية، والمولى تعالى بقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر 21).

أمثلة عن بعض ترجماتهم:

يترجم الفرنسي جاك بيرك قوله تعالى ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ ^ط وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾ (البقرة 138) إلى:

Une teinture de dieu ! mais qui peut mieux teindre que dieu, quand nous l'adorons ?

ومعناها: صباغة (تلوين) من الله ! لكن من ذا الذي يمكنه أن يصبغ (يلون) أفضل من الله، عندما نعبد؟ ¹ لكننا نجدها في تفسير ابن كثير "صبغة الله": قال الضحّاك، عن ابن عباس: دين الله، وكذا روى عن مجاهد، وأبي العالية، وعكرمة وإبراهيم، والحسن وقتادة، والضحّاك. ²

ويترجم الألماني هيننج HENNINO "قوله تعالى ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (آل عمران 07) إلى:

In ihm sind evidente verse, sie, die Mutter des buches, und andre mehrdeutige.

ومعناها: فيه آيات واضحة هنّ والدّة الكتاب وأخرى متعدّدة المعنى. ³

1- عبد المحسن، عبد الرّاضي محمد، المرجع السابق، ص 62.

2- الحفاظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ج. 1، ص 450.

3- المرجع نفسه، ص 63.

أما معناها في تفسير ابن كثير: يخبر الله تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس وعن إسحاق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجعا في هذه الآية: "هن أم الكتاب"، فقال أبو فاختة: فواتح السور، وقال يحيى بن يعمر: الفرائض، والأمر والنهي، والحلال والحرام.

وعن سعيد بن جبير "هن أم الكتاب" يقول: أصل الكتاب، وإنما سماهن أم الكتاب لأنهن مكتوبات في جميع الكتب.¹

أما الانجليزي آربري ARBERRY فيترجم قوله تعالى: ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ (البقرة 61). إلى: Get you down to egypt.

ومعناها: انزلوا إلى جمهورية مصر العربية.²

أما في تفسير ابن كثير فمعناها قال ابن عباس: "اهبطوا مصر" قال مصرا من الأمصار، رواه ابن أبي حاتم، من حديث أبي سعيد.³

وهذه شهادات لبني جلدتكم حول هذه الترجمات، والحق ما شهدت به الأعداء، يقول الأب روبر كاسبر PATER: ROBERT CASPER: «إن الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته أبدا، بل ولم يحاول ذلك مطلقا، وحتى خيرة المسيحيين القلائل الذين كانوا يعيشون على مقربة من الإسلام - من أمثال: يوحنا الدمشقي، ينودور أبي قرّة، أوبولس الصّيدنوني - لم يتمكنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته، والتي تتمثل في السّمو إلى الله الواحد الأحد، ولعل ذلك يرجع

1- الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج.2، ص 07.

2- عبد المحسن، عبد الرّاضي محمد، ماذا يريد الغرب من القرآن، ص 64.

3- الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج.1، ص 281.

أساساً إلى أن الغرب المسيحيّ قد اكتفى لعدّة قرون طويلة بتشويه الإسلام ومؤسّسه بأسخف الأقوال دون أن يكلف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة»¹.

أمّا الكاتب "سير ادوارد دنيسون روز" (Sir Edward Coke) فقد وصف ترجمات المستشرقين المتعصّبين قائلًا: «إنّ المعرفة التي يملكها أغلبية الأوربيّين تجاه الإسلام مبنية كلياً على التقارير المشوّهة التي أعدّها المتعصّبون من النصارى عن الإسلام، وقد أدّت هذه التقارير إلى انتشار عدد كبير من الافتراءات الفادحة، وكلّ ما وجدوه في الإسلام من خير تجاهلوه، وكلّ ما هو غير طيّب في أعين أوربية كبروه وبالغوا فيه أو حرّفوه»²، متجاهلين بذلك قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّا لَنَذْكُرُكَ عَلَىٰ أَلَّا تَكُذِّبَ لَا يَفْلِحُونَ﴾ (٦٩) (يونس 69) وقوله في سورة (هود) 18: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨)

حاول المستشرقون من خلال ترجماتهم للقرآن الكريم صنع حاجز أو مانع يحول بين الأمم الإسلامية وبين تقدّمها وتطوّرها، فهذا اللورد كرومر (Comte Cromer) يقول: «إنّ القرآن هو المسؤول عن تأخّر مصر في مضمار الحضارة الحديثة»، وقد ردّ عليه "شميل Shemle" حيث قال: «لقد أخطأ المستر كرومر، والخطأ تسرّب إلى حكمه حيث قال أنّ شريعة القرآن لا توافق العمران في كل عصر، والمنصف لا يسعده أن يلقي على القرآن تبعة تقهقر الأمم الإسلامية، فإذا أرادت الأمم الإسلامية أن تجاري الأمم المتمدّنة في ارتقاء فالقرآن لا يحول دونها، وإنّ في القرآن أصولاً اجتماعية عامّة، وفيه من المدوّنة ما يجعلها صالحة للأخذ بها في كل زمان، وإنّ القرآن فتح أمام البشر أبواب العمل للدنيا والآخرة لترقية الرّوح والجسد بعد أن أوصد

1- الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج.1، ص72.

2- الندوي، عبد الله عباس، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطوّر فهمه عند الغرب، دعوة الحق، جمادى الآخرة 1417هـ، العدد 174، ص47.

غيره تلك الأبواب، فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلي عن هذا العالم الفاني¹ إذا كانت هذه شهادة المستشرق فحريّ بنا نحن المسلمين تقديس كتاب ربّنا والدّفاع والدّود عنه بكل ما أوتينا من قوّة، وتنبيه أبناء أمتنا إلى أخطار هذه التّجمات الضّالة وكشفها وسيلة للكيد للإسلام ولكتابه ودعوته وأمّته، فالقرآن الكريم نور يستضاء به بقرّانه تَعَالَى نَكْتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ (سورة إبراهيم 01).

تبيّن لنا جليّاً أنّ المستشرقين قد ترصّدوا للقرآن الكريم، فصبّوا كامل عزائمهم للبرهنة على كونه موضوعاً لا وحياً من الله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال دراساتهم المشوّهة والملفّقة له، حتّى أنّ أحد مترجمي القرآن في القرن الثامن عشر ذهب إلى أنّ النبي محمد ﷺ «كان في الحقيقة مؤلفاً للقرآن ومخترعاً له، ولا يمكن الجدل حول هذا الأمر مطلقاً»² فاعتبره البعض مجرد اختلاف، وعدّه البعض نارا شاعرية، وخيالا، أو حتى شعلة عبقرية³، رافضين بذلك الاعتراف به كونه قرآناً عربياً نزل به الرّوح الأمين على قلب النبيّ الكريم ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين.

وحقيقة الأمر أنّ القرآن نفسه تولّى الرّد على ادّعاءاتهم وافتراءاتهم قبل ما يزيد عن العشرين قرناً، بقوله عزّ من قائل: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء 82)، فقط طالبهم بتدبره وتأمله والتّفكّر في معانيه التي جاءت على نسق

1- محمد أمين حسن محمد بني عامر، المستشرقون والقرآن الكريم، دار الأمل، الأردن، ط. 2004، 1م، ص 397.

2- آصف، حسين، صراع الغرب مع الإسلام، ص 72.

3- ينظر، المرجع نفسه، ص 72.

محكم يقطع بأنّه من عند الله وحده، فيدركوا عظمتة ويعلموا أنّه الحقّ من ربّهم فيؤمنوا به وتخبّت
له قلوبهم.

المبحث الأول: انعكاسات دعوات المستشرقين الغرب على المثقفين العرب

تحوّل الصراع القائم بين المستشرقين ، وأنصار اللغة العربية الفصحى من كونه صراعاً (غريباً/عربياً)، إلى صراع (عربي/عربي)، بعد أن لاقت دعوات المستشرقين استحساناً عند بعض المستغربين العرب الذين حذوا حذوهم، فانسلكوا عن جلودهم، وسقطوا في مكائد الأعداء الغرب الذين رسموا لهم الطريق، ونجحوا في ذلك إلى حدّ كبير، فلا تزال هذه القضية تشكّل محوراً خطيراً إلى حدّ الساعة .

وكان من أهمّ خطط الغرب أن عمد إلى « إغراء المسلمين بالمنح الدراسية المجانية في بلادهم وجامعاتهم ولازال، فانجذب إليهم عدد كبير من علمائنا وأدبائنا ومفكرينا وطلابنا الذين خضعوا – دون أن يدروا – لعمليات غسيل أدمغتهم بأسلوب ذكيّ ماهر، فتحوّلوا إلى جنود مجنّدة لنشر سموم الغرب العلمانيّ الملحد في جامعاتنا ومدارسنا وفي كافّة مؤسساتنا التّربويّة والإعلاميّة»¹، وأنفقت حركة التّغريب هذه أموالاً طائلة لتخريب عقول هؤلاء الوافدين إليها، واستدراجهم لتغيير جلدتهم حتى أصبحوا منتمين للغرب فكراً وثقافة وسلوكاً، وبوقاً يردّد دسائسهم وافتراءاتهم لأنّه من ضعفت إرادته، وزاغ عن الهدى، وعميت بصيرته، فسيكون ألعبوبة في يد العدو يوجّهها كيفما يشاء.

1- التّشواقي، محمد نبيل، الإسلام يتصدّى للغرب الملحد، دار القلم، دمشق، ط.01، 1431هـ/2010م، ص.77.

وتعد حركة التغريب هذه من أكثر الحركات فتكا، وأشدّها خبثا فهي لا تهدف إلى فهم نفسيات الشعوب وتفكيرهم وتطلعاتهم فحسب، بل ترمي إلى التأثير في هذا الفكر، وتغييره حسب ما يوافق مصالحها، بزرع الفتن والشكوك في الحقائق التي لا غموض فيها.

وأما الهدف فهو بعث جيل جديد يتنكّر لأصله ومبادئه وقيمه، بل ويرفضها، وفي المقابل نجده يبدى إعجابا وانبهارا وتقديرا لأفكار الغرب وانجذابا غريبا نحوه: «والخطر الخفيّ الذي يكمن من وراء هذا الاتجاه هو تنشئة جيل من أبناء العرب لا يستطيع أن يتذوّق أساليب البيان العربيّ الأصيلة، ولا يخلو في أذنه وفي ذوقه إلا أساليب البيان الغربيّ وموضوعات الأدب الغربيّ، وإذا نفر الشباب من شعر المتنبي وأبي تمام، بل من أسلوب القرآن، فانصرف عنه، ثمّ استخف به واحتقره، ثمّ عجز عن تذوّقه وعن فهمه، فقد حكمنا على كل هذا الأدب بالكساد ثمّ بالموت»¹ فمتهى غاية الغرب هو وقوع شبابنا - رجال المستقبل - في براثن الجهل والتخلف، ومحاذير التحلل والأهواء حتى يفقد مثله الأعلى.

يريد الغرب إذن يريد أن يقتلع هذه الأمة من جذورها، ويجرّدها من ثوابتها، وباتت دعواته القبيحة تتردّد على ألسنة هؤلاء المستغربين * وفي كتاباتهم تهدّد أصول اللغة العربية واستقرارها «وقد صرّح الباحثون أنّ هدفهم من هذه الدّراسات هو خدمة الفصحى، ولكن بعضهم جاوزوا حدود التّيسير والإصلاح، فخرجوا عن أوضاع العربية وسننها، وشوّهوا صورتها وسلبوها طابعها

1- محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، دار الفرقان، ص. 244.

* ونقصد بـ "المستغربين" هنا الذين افتتنوا بحضارة الغرب، وصاروا يردّدون أقوالهم ويحاكون أفعالهم، ويقتفون آثارهم رافضين لأصولهم وثقافتهم وتراثهم.

المميّز لها»¹، فتمخضت آراؤهم الجوفاء عن دعاوي هدامة، تهدف إلى قتل روح الشخصية العربية المسلمة في صورة لغتها العربية الفصحى - من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون - وسنورد عينة من هؤلاء المستغربين.

1 - الدّعوة إلى العامية:

1/ سلامة موسى: (1888 - 1958م): من المستغربين الذين افتتنوا بسحر الحضارة الغربية وآراء المستشرقين فراحوا يردّدون آرائهم، وينتصرون لأفكارهم نجد "سلامة موسى"، وهذا ما يبدو واضحاً جلياً في مقدمة كتابه "اليوم والغد" حينما صرّح قائلاً: «فإنّي كلما زادت معرفتي بالشرق، زادت كراهيتي له، وشعوري بأنّه غريب عنيّ، وكلّما زادت معرفتي بأوروبا، زاد حبّي لها، وتعلّقي بها، وزاد شعوري بأنّها منّي، وأنّي منها»² هذا القول يجعلنا لا نندهش من أقواله وآرائه حيال اللغة العربية الفصحى، فمن يتنكر لقوميته وانتمائه ينسلخ أيضاً من جذوره وهويته.

يزعم هذا المستغرب أنّ اللغة العربية الفصحى، لغة صعبة التّعلم، ناهيك على كونها لغة مصطنعة تبلغ الرّأس دون القلب على عكس (اللغة العامية) التي يرى أنّها أوفى تعبيراً، وأدقّ مع نبي، وأحلى لفظاً، وبالتالي لا بدّ من اتّخاذها لغة رسمية بدل الفصحى، مستشهداً برأي المستشرق "ولكوكس" (Willcocks) الذي لا يمتّ إلى اللغة العربية بصلة، قائلاً: «والهمّ الكبير الذي يشغل السّير ولكوكس بل يقلقه، هو هذه اللغة التي نكتبها ولا نتكلّمها، فهو يرغب في أن نجرها

1- زكريا سعيد، نفوسة، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص.195.

2- سلامة موسى، اليوم والغد، سلامة موسى للنشر والتوزيع، ط.1، 1928م، ص.05.

ونعود إلى لغتنا العامية، فنؤلف فيها وندوّن آدابنا وعلومنا»¹، نأسف كثيرا لأننا شغلنا فِكْرَ هذا المستشرق المسكين ليهمّه أمرنا وأمر لغتنا لولا أنّه يبيّت لأهداف بعيدة المرام؟ أليس من السذاجة أن نعتقد أنّه ينبغي مصلحة الأمة العربيّة الإسلاميّة؟

ويضيف سلامة موسى أيضا: «والسير ولكوكس (Willcocks) ... إنّما يدعوننا إلى هجرة اللغة الفصحى هجرا تامّا واصطناع العامية، وقد ترجم هو نفسه الإنجيل إلى اللغة العامية المصريّة فَوْفَقَ فيه إلى ترجمة حيّة يقرأها المصريّ فيلذّ له الأسلوب ويرى فيه جواً مألوفاً يشمّ منه النكهة البلدية، وهو اعتقادي أوقع في النفس من الإنجيل المترجم إلى اللغة الفصحى»²، وتستوقفنا هنا عبارة -وقد ترجم هو نفسه الإنجيل إلى اللغة العامية المصريّة فَوْفَقَ فيه إلى ترجمة حيّة - فهل ينتظر منّا هذا المستغرب المقلّد أن نترجم نحن أيضا القرآن الكريم، كلام ربّنا المتزّه والمتزلّ على سيدنا محمد ﷺ، المتعبّد بتلاوته والمنقول إلينا بالتواتر إلى اللغة العامية؟ كما ترجم هذا المستشرق الإنجيل المحرّف، فهذا ما هو مقروء خلف السّطّور بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَنُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ (البقرة 93).

1- سلامة موسى، اليوم والغد، ص.72.

2- المرجع نفسه، ص.75.

يقول الشاعر ابن بكر المقرئ:¹

زِيَادَةُ الْقَوْلِ تَحْكِي النُّقْصَ فِي الْعَمَلِ .: وَمَنْطِقُ الْمَرْءِ قَدْ يَهْدِيهِ لِلزَّلَلِ

إِنَّ اللِّسَانَ صَغِيرٌ جُرْمُهُ وَكَبِيرٌ جُرْمُ كَيْدِهِ كَمَا قَدْ قِيلَ فِي الْمَثَلِ

فَكَمْ نَذِمْتَ عَلَى مَا كُنْتَ قُلْتَ بِهِ .: وَمَا نَذِمْتَ عَلَى مَا لَمْ تَكُنْ تَقُلْ

وَأَضِيقُ الْأَمْسَ أَمْسَ لَمْ تَجِدْ مَعَهُ .: فَتَنِي يُعِينِي بِكَ أَوْ يَهْدِيكَ لِلْسَبِيلِ

ومن ثمَّ فإنَّ الهدف من وراء هذه الدَّعوة لا يكمن في هدم اللغة العربية فحسب، بل هو مجرد الخطوة الأولى التي يخطوها الأعداء نحو هدفهم الأكبر والأعظم، وهو إنشاء حاجز متين بين القرآن وأهله.

وتمادى "سلامة موسى" في تصريحاته، فبرَّر تحامله على اللغة الفصحى قائلاً: «ولست أحمل على اللغة الفصحى إلا لسبيين: أوَّلُهما، صعوبة تعلُّمها، وثانيها عجزها عن تأدية أغراضنا الأدبية، أمَّا من حيث الصَّعوبة فإنَّه يكفي أن نقول: إننا نتعلَّمها كما نتعلَّم لغة أجنبية»²، فهو يعتبر أنَّ «نكبتنا الحقيقيَّة هي أنَّ اللغة العربية لا تخدم الأدب المصري ولا تنهض به، لأنَّ الأدب هو مجهود الأمة وثمره ذكائها وابن تربتها ووليد بيئتها»³ ويصرِّح «إننا نرطن الفصحى رطانة ولم تشربها بعد

1- ابن أبي بكر المقرئ، ديوان، مطبعة نخبة، 1305هـ، ص.58.

2- سلامة موسى، اليوم والغد، ص.72.

3- المرجع نفسه، ص.73.

نفوسنا، ولا أمل في أن تشربها لأنها غريبة عن مزاجنا»¹، وهو يرى أن استعمال اللغة العامية

أفضل من استعمال الفصحى، فيقول: «وليست أشك في أن اللغة العامية تفضل اللغة الفصحى

وتؤدّي أغراضنا الأدبية أكثر منها»²، وهو بذلك ينساق وراء دعاوي المستشرقين، ينطق بلسانهم،

ويفكر بعقولهم، وكأني بهم يقولون أنظروا إلى صنائع فكرنا، كيف تنكروا لأجداد أهلهم

وجحدوها ومجدونا نحن الدّ أعدائهم ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ (النور 40)

والجدير بالذكر أن هذا المستغرب لم يكتب أبدا باللغة التي يدعو إليها وهي - العامية -

حيث يذكر لنا "أحمد عبد الغفور عطار" في كتابه "الزحف على لغة القرآن" أنه التقى "بسلامة

موسى" وناقشه ثم طلب إليه أن يكتب مقاله باللغة العامية التي يدعو إليها، لكنّه اعترف بعجزه

وقال بأن اتّخاذ العامية لغة لكتابه «التّطور و أصل الإنسان» يحتاج إلى مرانة حتى يتعوّد القلم

الكتابة بها³، وإذا كان لا بدّ من المرانة على اللغة فلتكن اللغة الفصحى الأصل، وليست اللغة

العامية.

تجاوز "سلامة موسى" كل الحدود، وذهب إلى أنّه «ينبغي ألا يُغرس في أذهان المصريّ أنّه

شرقيّ، فإنّه لا يلبث أن ينشأ على احترام الشرق، وكراهية الغرب، وينمو في كبرياء شرقيّ،

ويحس بكرامة لا يكاد يجرحها أحد الغربيّين بكلمة»، ليصل إلى أنّ «الرّابطة الشرقية سخافة،

1- سلامة موسى، اليوم والغد، ص.77.

2- المرجع نفسه، ص 77.

3- ينظر، عطار، أحمد عبد الغفور، الزحف على لغة القرآن، بيروت 1385هـ/1965م، ط.1، ص.63.

والرّابطة الدينية وقاحة، والرّابطة الحقيقية هي رابطتد بأوربا»¹. والحقّ أنّه ليس ثمة شعب على هذه البسيطة إلا وهو يتكلّم خلاف ما يكتب، ومن الأمور التي لا جدال فيها هو وجود تلك المسافة بين لغة الحديث ولغة الفكر والكتابة، وذلك في كل اللغات، والقائل بصعوبة العربية واهم، فلكل لغة أصولها وقواعدها التي تميّزها عن غيرها، ومن دلائل ذاك إتقان بعض الأعاجم والمستشرقين لها، بل وإكبارهم لها، وأمّا الهوية والانتماء للشرق وللعروبة وللإسلام فليسوا محل مساومة.

2/لويس عوض: يعد "لويس عوض" التلميذ الروحي² لسلامة موسى الذي أتاح له الفرصة

للكتابة في مجلة "الكاتب المصري"، فانتدبته قوى الغرب لخدمة مصالحها وتحقيق مآربها، وهذا ما نجده في الاعتراف الذي أدلى به في كتابه "بلوتولند، وقصائد أخرى من شعر الخاصّة" الصّادر عام 1947م، حيث استهل مقدّمته بترجمة لحياته جاء فيها «وإني لأعلم أنّه قد عاهد الثلوج الغزيرة على حديقة مدسمر، في خلوة مشهودة بين أشجار الدّرّدار عند الشلال بكامبريدج، ألا يخطّ كلمة واحدة إلا باللغة المصرية، وقد برّ بعهدده في العام الأوّل بعد عودته، فكتب شيئاً بالمصرية، سّمّاه "مذكرات طالب بعثة" ولكنّه استسلم بعد ذلك وخان العهد، فلتغفر له الثلوج الطاهرة التي لم تدنسها حتى أقدام البشر»³، فهو يعترف بأنّه عاهد الاستعمار الذي رمز له بالثلوج الغزيرة على أن تكون كتاباته كلّها بالعامية عند عودته إلى مصر، بل ويعتبر بأنّ كتابته بغير العامية تعدّ خيانة لذلك العهد.

1- الطويل، السيد رزق، اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة، ص.74.

2- ينظر، شاكر محمود، أباطيل وأسمار، الجزء الأول والثاني، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط.3، 2005، ص.115.

3- عطار أحمد عبد الغفور، الزحف على لغة القرآن، ص 106.

رفع "لويس عوض" راية أستاذه "سلامة موسى" في الدّعوة إلى العامية، وزعم أن تجربته هذه بدأت سنة 1937م حيث انتبه إلى أن البعد بين اللغة اللاتينية المقدّسة، ولهجتها المنحطة الإيطالية أقل من البعد بين العربية المقدّسة، ولهجتها المنحطة * المصرية وذلك كان أثناء تعلّمه مبادئ اللغة الإيطالية، فبقي يدعو إلى ذلك حتى سنة 1940م حيث أفهمه البعض بأنّ المسألة حساسة لأنّها متعلّقة بالدين فلعل الأمر ينتهي بعد قرن أو قرنين إلى ترجمة القرآن إلى اللغة المصرية كما حدث للإنجيل من اللاتينية إلى اللغات الأوروبية الحديثة، وأخيرا زعم أن الاعتراف باللغة المصرية (العامية) لا يستلزم موت اللغة العربية، فلا مانع إذن من قيام الأديين معا - الفصحى والعامية - جنبا إلى جنب.¹

ويتحدّث "محمود شاكر" عن عداء "لويس عوض" للغة الفصحى وأهلها ويكشف لنا مخططاته قائلا: «منذ دخل صحيفة الأهرام يجمع حول نفسه، وتجمع له بعض المراكز الثقافية القائمة في مصر والتابعة مباشرة لمراكز التبشير العالميّ، من يصلح أن يكون معبرا عن رأي "لويس عوض"، ويكون متّسما بالنّزاهة ولا مطعن في نزاهته من المصريين المسلمين الذين خُدعوا بشكل ما، بما يسمى كسر عمود الشعر العربيّ، وباستعمال اللغة العامية والدّعوة إلى إحلالها محل الفصحى، ثمّ من يجتمع حوله ممن يحقّر شأن العرب وتاريخهم وثقافتهم ودينهم، ويزدري كل ذلك ازدراءا ظاهرا، ويعد الثقافات الأوروبية كلّها هي المصدر الذي ينبغي أن نستقي منه مادّة تكويننا

* ونحن لا نرضى للغتنا العربية الشريفة سواء الفصحى أو العامية أن توصف أو تنعت بالمنحطة.

1- ينظر، شاكر محمود، أباطيل وأسمار، ص 128.

الحديث بلا تردد أو تمحيص»¹ فهو لا يكتفي بعدائه للغة الفصحى وحده فيجند الجنود للفتك بها وبكل ما يتصل بها عاملاً بذلك على خدمة المستعمرين الأعداء.

ويذهب "لويس" إلى أن الوحدة بين الشعوب الإسلامية، «لا يمكن أن يقلقها تبني لغة الحديث العامية، إذ أن لغة الصلاة والطقوس الدينية الأخرى، ستظل كما هي في كل مكان»²، وما ذلك إلا لجعلنا نتساهل في قبول آرائه وأفكاره: كيف لا؟ وهو الذي يروق له أن يعرف بنفسه أنه: «عرف بدعوته للأدب العامي في صدر حياته الأدبية، وللأدب في سبيل الحياة في طوره الحالي»³ فهو يعتز بمذهبه الذي يذهب إليه ويدعو الناس له.

ولما كان "لويس عوض" داعياً إلى الكتابة بالعامية، كان عليه أن يشد من أزر التابعين دعوته، وها هو يشيد بـ "صلاح جاهين" قائلاً: «كان في تقديري أعظم شاعر بالعامية عرفته مصر»⁴، وهو يزعم بأن اختياره للغة العامية أداة للتعبير عن وجدانه الوطني والاجتماعي كان سببه أنه لم يجد في نماذجه الفصحى ما يعينه على ذلك التعبير.⁵

1- ينظر، شاعر محمود، أباطيل وأسمار، ص 120.

2- المرجع نفسه، ص 133.

3- شاعر محمود، أباطيل وأسمار، ص 127.

4- عوض لويس، دراسات أدبية، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط.1، 1989م، ص 160.

5- ينظر، المرجع نفسه، ص 163.

ويروي لنا "عطار أحمد عبد الغفور" أن الانجليز تخلو عنه (لويس عوض) واستغنوا عن

خدماته سنة 1953م بعد أن كانوا هم من تولّى رعايته وتربيته وتعليمه فقد نال ليسانس كلية الآداب بجامعة القاهرة في أدب الإنجليز.¹

وقّف هذا المستغرب حياته وكرّسها في محاربة اللغة الفصحى ومحاولة هدمها، ونبذ التراث الأدبي، فهو يرى: «أنّ الأدب القديم شرٌّ يجب أن يزول، وفسادٌ يجب أن يلغى، وإثمٌ يجب أن تمحى آثامه، وأوّل ما يجب أن يترك القديم لقدمه وأن تحرق الكتب التي سجّلته، ويحظر درسه في المدارس والمعاهد، ويعاقب الناس على التّحدث به أو التّحدث فيه»²، تنكر لكل منجزات الإسلام والعروبة، ويعزو لهما كل تأخّر وجهود، ولا يتوانى في مهاجمة من يدعو إلى الفصحى أو يدافع عنها، ولسان حالها - الفصحى - يرثي قائلاً:³

وَإِخْوَانِ حَسِبَهُمْ دُرُوعاً .: فَكَانُواهَا وَلَكِنَّ الْأَعَادِي

وَحِلَّتْهُمْ سِهَاماً صَائِبَاتٍ .: فَكَانُواهَا وَلَكِنَّ فِي فُؤَادِي

وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ .: لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنَّ مِنِّي وَدَادِي

وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ .: لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنَّ فِي فِسَادِي

1- ينظر، عطار أحمد عبد الغفور، الزحف علة لغة القرآن، ص 118.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص 128.

3- العربي، حامد كمال عبد الله حسين، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، دار المعالي، ط.1، 1466هـ/2002م، ص.113.

وبعد فإننا نؤمن بأن اللغة العربية الفصحى هي أهمّ دعامة تعتمد عليها الأمة الإسلامية من عرب وغير عرب ، والقضاء عليها قضاءً على أقوى رابطة تربط شعوب أمّتنا الإسلامية بعضها ببعض ذلك لأنّ الحرب على اللغة العربية حرب سياسية، وما الدّعوة إلى العامية إلّا سلاح يُراد به زعزعة الأمة وإصابتها بالوهن من خلال تشتيت قوّتها، وتفريق جمعها، ولا يمكن إدراجها ضمن المعارك الأدبية.

2/ أنيس فريحة: وهو أستاذ اللغات السّامية في جامعة بيروت الأمريكية، يميّز بين اللغتين -

الفصحى والعامية، فيرى بأنّ: «العامية - عامية أيّ شعب - لغة حرّة متطورة، والفصحى - فصحى أيّ شعب - لغة كتابية مقيّدة بقواعد ثابتة ومسيح حولها بسياج شديد»¹، ويصرّح قائلاً: «نحن من الذين يؤمنون أنّ في العاميات أدبا شعبياً غنياً ازدرته الأرستقراطية الفكرية... إنّ نظرة القدامى والمحدثين إلى أنّ العامية لغة رديئة ركيكة، وإلى أنّها تخلّف وانحطاط أفسدت على الناس تفكيرهم اللغوي»²، فهو يعدّها - العامية - لغة حيّة متطورة «تمثّل تطوّراً طبيعياً وتطوّراً نحو الأفضل والأسهل»³، ويرى بأنّ مشاكل اللغة العربية تكمن في النّقاط الآتية:

أ - وجود لغتين مختلفتين (فصحى وعامية)، لكننا نعلم بأنّ وجود العامية إلى جانب الفصحى ظاهرة لغوية عامّة في كل لسان، وليست مشكلة يسعى إلى حلّها.

1- أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجليل، بيروت، ط.1، 1409هـ/1989م، ص 113.

2- المرجع نفسه، ص 114.

3- م.ن، ص 102.

ب تقيد الفصحى بأحكام شديدة متمثلة في الإعراب، وهذا أيضا ليس وفقا على اللغة العربية
فلكل لغة أحكامها وقواعدها التي تقوم عليها وتحفظها.

ج الخط العربي الخالي من الحروف المصوتة (الحركات)، وأما الحركات فنراها من علامات
رقيها وكمالات تميزها توفر الجهد وتعمل على الاحتزال، وليس عليها أن تطابق حركات اللغات
الأخرى.

د -عجز اللغة العربية عن مواكبة العلم والفنون، وهذا ما ينافيه الواقع.

نتيجة لكل ما سبق ذكره، صبّ "أنيس فريحة" كلّ جهوده على دراسة اللهجة العامية
والدعوة إليها مكتوبة بالحرف اللاتيني، وذهب في كتابه "نحو عربية مسيرة" إلى أنّ «لهذه اللهجة
العربية الجديدة المشتركة بين الطبقات العربية المتعلّمة والتي خلّفتها ظروف الحياة العربية الجديدة،
خصائص تجعلها مغايرة للفصحى، وفي الوقت ذاته تجعلها لغة مرنة سلسلة طيّعة تصلح أن تكون
اللغة العربية الأدبية و أهمّ خصائصها: إسقاط الإعراب... أن يكون لها أدب... وأن تكتب
بالحروف اللاتينية... وأن يقبلها العرب»¹، وفي عام 1955م كتب موضوعه الشهير "هذا الصّرف
وهذا النّحو: أما لهذا الليل من آخر"، تمنى فيه أن يرى حاكما عسكريا سياسيا يفرض العامية على
العرب.²

1- سما يلوفتش، أحمد، فلسفة الاستشراق، ص 675.

2- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، ص 206.

لقد شنّ حملة مركزة على اللغة العربية الفصحى بما تحمله من خصائص ومميزات، أهمّها الإعراب الذي ينظر إليه على أنّه «زخرف لا قيمة له في الفهم والإفهام، لأنّ ليس له قيمة بقائية Survival Value»¹.

ثمّ يضيف بعد أن يستشهد بسقوط الإعراب من اللغة الانجليزية «ولو أنّ للإعراب ضرورة للفهم والإفهام لبقى ولحافظت عليه جميع اللغات التي كانت معربة، ولكن لكونه غير ضروري سقط»²، ومن ثمّ كان علينا اتّخاذ العامية لغة أدبية بدلا من الفصحى التي يتكبّد الإنسان المشاق من أجل تعلّمها أو الكتابة بها.

وينحو "أنيس فريجة" منحى "سلامة موسى"، مراوغا ملحولا إضمار أهدافه «ولكن للناس أن يسألوا: ماذا سيحل بالقرآن؟ وماذا سيحل بالأدب القديم، وجوابنا هو أنّ القرآن الكريم سيخلد (و) سيبقى على ما هو عليه، كما بقيت كتب دينية عديدة رغم انحراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب... وها هي الكنيسة الكاثوليكية فليتها تعتبر الترجمة اللاتينية للتوراة لغة الكنيسة الرّسمية»³، ونردّ عليه بقول الشاعر:

سَجِنُ اللِّسَانِ هُوَ السَّلَامَةُ لِلْفَنَى .: مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا اسْتِصْالُ
إِنَّ اللِّسَانَ إِذَا حَلَلَتْ عَقَالُهُ .: أَلْقَاكَ فِي شَعَاءٍ لَيْسَ تَقَالُ⁴

1- أنيس فريجة، اللهجات وأسلوب دراستها، ص 103. - بتصرف -

2- المرجع نفسه، ص 104.

3- عطار أحمد عبد الغفور، الزحف على لغة القرآن، ص 77.

4- العربي، حامد كمال عبد الله حسين، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، ص 329.

وصدق "ابن جني" حين قال: «وذلك أن أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها،

وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه (واستخفّ حلمه) ضعفه في هذه اللغة الكريمة

الشريفة»¹، فالعامية لغة مضطربة كل الاضطراب مفقورة إلى التّقييد والتّأصيل، فكيف تصبح لغة

الكتابة والتّكوين عوضا عن الفصحى اللغة المحكّمة الغنية الأصيلة؟ كما قال المولى تعالى:

﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة 6)، ذلك أن الجهل مطية من ركبها ذلّ ومن صحبها ضلّ.

فأعظم ما تكون العامية مثولا فعند الذين لم يتذوّقوا ولو قليلا جمال اللغة العربية، ولا تأدّبوا بآدابها، ولا تتقّفوا بثقافة أهلها، ولا جالسوا مجالس العلماء ولا تدارسوا كتب الأدباء، ولا سارت في عروقهم دماء الشهداء فقد حملوا حملة مضرية جاوزت به الأعداد، فهاهو المستشرق الفرنسي "لويس ماسيون" Louis Massignon يؤكّد بأنّه «مقتنع بأنّ اللغة العربية يمكنها وينبغي لها أن تلعب دورا بالغ الأهمية في المستقبل، وفيما بعد حينما أكون قد غبت عن هذا العالم سيتذكر الناس أنّي قلت شيئا صحيحا كل الصّحة»²، فيا لهذه المفارقة!

4/أحمد لطفي السيّد: بدأ "الطفي السيّد" عمله بمقالات في جريدة "الجريدة" عام 1913م

(نشرت من 16 أبريل إلى 04 مايو)، وجمعت في كتاب المنتخبات الجزء الثاني وهي تحمل

شعارات عديدة أهمّها (تمصير اللغة، بمعنى فصلها عن العربية الفصحى)، (تمصير الأدب بمعنى قطع

1- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، دار الكتب المصرية، تح، النجار محمد علي، ج.3، ص 245.

2- سما يلوشتش، أحمد، فلسفة الاستشراق، ص 675.

علاقته بالأمة العربية)¹، ويجدر الذكر بأنّ هذا الرجل قد تولى رئاسة مجمع اللغة العربية أكثر من ثلاثين سنة.

طالب هذا الأخير بأن «يحتضن الكتاب المفردات الغربية الموجودة في اللغة العامية، فيردّوا ما تشوّه منها إلى أصله العربيّ ويستعملوه صحيحاً، وما لم يشوّه يستعمل على حاله، ويستثنى من ذلك ما ابتذل من الألفاظ... هذا، وإنّ استعمال مفردات العامّة وتراكيب العامّة، فيه من وجهة أخرى إحياء للغة الكلام، وإلباسها لباس الفصاحة»²، فهو يرى بأنّ «أقرب الطرق إلى هذا الصّحّ (يعني بين العامية والفصحى!) أن نتدرّج إلى إحياء العربية باستعمال العامية، ومتى استعملناها في الكتابة، اضطررنا إلى تخليصها من الضعف، وجعلنا العامّة يتابعون الكتاب في كتاباتهم، والخطباء في خطاباتهم، والممثلين في رواياتهم»³، فهو يزعم بأنّ استعمال مفردات العامّة وتراكيبهم إحياء للغة الكلام وإلباسها لباس الفصاحة فيه إحياء للعربية.

والحقّ أننا نرى في تسامحنا في استعمال المفردات والتراكيب العامية عبثاً بالعربية الفصحى، فما يلبث الجيل القادم يخطو خطانا، ويتمادى في هذا التّساهل، حتى يأتي يوم تصبح فيه الفصحى لغة أثرية لا يعقلها عامّة الناس.

أمّا عن حديثه عن الصّحّ بين (الفصحى والعامية)، فنحن لا نرى هناك خصومة بينه ما حتى يكون الصّحّ، فكلتاها تتكاملان كلّ في مجالها (الكتابة بالنّسبة للفصحى، والحديث بالنّسبة

1- ينظر، الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، ص.148.

2- محمود شاكر، أسمار وأباطيل، ص.148.

3- المرجع نفسه، ص.210.

للعامية)، فهذه الثنائية (الفصحى/العامية) موجودة في كل اللغات، ولا يمكن في أيّ حال من الأحوال أن تستطيع العامية منافسة الفصحى وبلوغ مكانتها، ذلك لأنّ العربية «عقيلة حرّة، ليس لها ضرة»¹، لأنّها لغة القرآن الكريم ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ (سورة البقرة 02)، الذي أجمع الأولون والآخرين على إعجازه بفصاحته.

ويعدّ "لطفي السيد" من أقدم أعضاء المجمع المطالبين بتيسير الكتابة العربية، كان اقتراحه سنة 1899م: الدلالة بالحروف عن الحركات على أن تدخل هذه الحروف في بنية الكلمة²، على سبيل المثال:

ضَرَبَ ← تَكْتُبَ ← ضَارَّابَا

2 إثبات التنوين ورسمه بالكتابة، مثال:

سَعَدُ ← ساعدون ← بالرفع

سَعْدًا ← ساعدان ← بالنصب

سَعْدٍ ← ساعدين ← بالجر

3 فكّ الإدغام، مثال:

مَسَلَّم ← موساللامون ← عند الرفع.

مَسَلِّمًا ← موساللامان ← عند النصب.

مَسَلِّم ← موساللامين ← عند الجر.

1- عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، ج.3، ط.1، 1997، ص.206.

2- ينظر: زكرياء سعيد، نفوسة، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص.221.

وما أظنه إلا صعبها وعقدها أكثر من حيث ادّعى تيسيرها، متعرضاً لواحدة من أهمّ خصائص العربية ألا وهي الاختزال، وقد ردّ عليه "مصطفى الرّافعي" بقوله: «كيفما قلبت أمر اللغة من حيث اتّصلها بتاريخ الأُمَّ واتّصال الأُمَّ بها وجدتها الصّفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية وانسلاخ الأُمَّ من تاريخها واشتمالها جلدة أُمَّ أخرى»¹، فالأولى بنا أن نحرص على سلامة لغتنا لفظاً ورسمياً، ولا يكون ذلك إلا بالمران والمزاولة، ومدارسته أساليبها، وفنون بلاغتها.

سعيد عقل: تمخّضت آراؤه على إنشاء لغة جديدة يدعوها اللغة اللبنانية، تعتمد على اللهجة العامية مكتوبة بالحرف اللاتيني عوضاً عن اللغة العربية، فكتب مقدّمة ديوان شعر (جلنار) للزّجال اللبنانيّ "ميشال طراد" طبع 1951م بعامية لبنان². والتي واجهت استعصاء على الفهم عند القراء، فالعامية تختلف من منطقة إلى أخرى حتى داخل البلد الواحد، وهو ماثل في لبنان أيضاً.

ولم يكتف بذلك بل أصدر ديوان شعر سمّاه "يارا شعر" كتبه باللغة العامية وبالحرف اللاتيني، فهو يعتقد بأنّ: «ناموس الإفصاح يقضي بأن يحل لسان النّطق محل لسان الكتاب، ولسان الكتاب هنا هو هذا الذي حنا عليه لبنان وأبلغه أشدّه، ولقنّ العرب كيف إطلاع التحفة فيه، ورصّعه هو بجواهر لا تموت، ومع هذا فلغة الحياة والحرف اللاتيني – أداة تدوينها العلمية الأحدث – إنّما هما اللذان يقاتل لهما اللبناني منذ قرن، قبل أن راحت مصر تنتج مسرحيات وأشرطة بلغة الحياة، وقبل أن قال السيّد (عبد العزيز فهمي*) بحرف لاتيني»³، كاشفاً بذلك عن مخطّطه الذي يعمل لأجله، والمتمثّل في إحياء العصبية والإقليميّة، من خلال عزل لبنان عن الأُمَّ

1- الرّافعي، مصطفى صادق، تحت راية القرآن، ص.39.

2- ينظر، عطار، أحمد عبد الغفور، الرّحف على لغة القرآن، ص.81.

* سيأتي الحديث عليه بالتفصيل.

3- المرجع نفسه، ص.82.

العربيّة، وإذا كان أبناء البلد الواحد يجهلون ألفاظا من عامية بعضهم البعض، فكيف تستطيع أن تكتب بها ليقرأها العالم العربي والإسلاميّ كافّة، وهو يجهلها تماما؟ !وما أعماله هذه إلا محاولات عابثة يسندها الاستعمار.

ق	=	q	ز	=	z	ع	=	ʿ
ك	=	k	س	=	s	ب	=	b
ل	=	l	ش	=	sh	ت	=	t
ر	=	r	ص	=	s	ث	=	ṯ
ن	=	n	ض	=	ḍ	ج	=	j
ط	=	ṭ	ظ	=	ẓ	ح	=	ḥ
و	=	w	ع	=	y	خ	=	k
ي	=	y	غ	=	g	د	=	d
ف	=	f	ن	=	n	ذ	=	ḏ
ح	=	ḥ				ر	=	r

الحروف اللاتينية كما اقترحها ذات يوم سعيد عقل¹

1- الصاوي، محمد، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية، ص.20،

<http://www.almeshkat.com/book/1813>

عيسى اسكندر المعلوف: وهو عضو في الجمع اللغويّ معروف بعدائه الصّريح للغة العربية،

كتب عدّة مقالات أوضح فيها أهمية اللهجات العامية ومدى إسهامها في تطوّر المجتمعات، وأمّا تخلفنا فيرجعه إلى ذلك الاختلاف القائم بين لغة الحديث ولغة الكتابة وقد نشرت هذه المقالات في مجلة الجمع، الجزء الأوّل شعبان 1353هـ/أكتوبر 1934م، والجزء الثالث: شعبان

1355هـ/1936م، والجزء الرابع: شعبان 1356هـ/أكتوبر 1937م.¹

أمّا بدايات هذه الحملة فقد كانت سنة "1902م" حيث كتب مقالا في مجلة الهلال عنوانه "اللغة الفصحى والعامية"، دافع فيه عن اللهجات العامية التي زعم أنّها أسهل من الفصحى كما «زعم أن تعلق المسلمين باللغة الفصيحة لا مبرّر له، لأنّ هناك مسلمين كثيرين لا يتحدثون بالعربية، ولا يكتبون بها، ولأنّ اللغة التي يتكلّمها المسلمون هي غير العربية الفصيحة على كل حال»²، مردّدا بذلك أقوال المستشرقين بأنّ سبب تخلفنا هو اختلاف لغة الحديث عن الكتابة – وهي حجة ولكوكس – متناسين أوربا المتقدّمة على ما تختلف لغة حديثها عن كتابتها وعن لغتها العلميّة.

ومّا لا ريب فيه هو أنّ اللهجات العامية على قربها متباينة، وعلى تشابها مختلفة، فمن هذا

الذي يختار الله لعلّواجب أتباعها الله تعالى يقول: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا

تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ (الأنعام 153).

1- ينظر، الطويل، السيّد رزق، اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة، ص.76.

2- المرجع نفسه، ص.77.

وينبغي على هؤلاء الباحثين وأمثالهم والناهجين فهمهم أن يدركوا بأنّ العامية «كائن غير

قابل للاستمرار في الحياة، ذلك أنّها تحمل في ذاتها بذور فنائها واضمحلالها، لا... بسبب عجز

التعبير الذي تميّز به فحسب... بل... بسبب عدم قابليتها للإعراب، والإعراب يعني هو التحديد

والإبانة»¹، وهذا ما يفسّر طبيعة الفئة التي استجابت لهذه الدّعوات فهم لا يعدون أن يكونوا كتاباً

لدور السينما والمسارح، وكتاب الأغاني، وبعض أصحاب المجالات الفكاهية، والمزلية، ومروّجو

الفنون الشعبية².

وإذا ما واكبنا هؤلاء الدعاة، وأوجدنا العامية في جميع شؤون حياتنا للتعبير عن حاجياتنا إذاً

«لتقطّعت بنا أسباب الثقافة، ونكصنا إلى الوراء قروناً عديدة، وقضي على نشاطنا الفكريّ قضاء

مبرماً، لأنّ الفكر إذا لم تسعفه أداة مواتية في التعبير خمدت جذوته، وضعف شأنه، وضاق نطاقه،

واقصر نشاطه على توافه البحوث وسفاسف التأمّلات»³ والأولى بنا هو تهذيب العربية وتنقيحها،

والنهوض بها إلى أرقى المستويات، والوقوف بحزم في وجه كل من ينادي إلى إقصائها أو تمييعها أو

تهميشها، أو أيّ دعوة تخلّ بجوهرها، لأنّ تلك الدّعوات في مجملها ترتبط بهدف أساسي هدم

أصول الدين وبخاصّة القرآن الكريم.

1- البهرة، نصر الدّين، لغة الضاد في معرّكتها مع العامية، ص. 09.

2- ينظر، الميداني، عبد الرّحمن حسن حنّبكه، أجنحة المكر الثلاثة، ص. 389.

3- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص. 122.

2 دعوى تيسير النحو: انقسم الباحثون إزاء هذه الدعوى إلى فريقين:

أ الفريق الأول: ويرى بأن النحو لا عيب فيه ولا صعوبة، لكن النقص الذي يعتريه إنما هو

كائن في طريقة تدريسه وتبويبه، لذا حرص هذا الفريق على عدم مسّ جوهر النحو في المحاولات

التي قام بها من أجل تيسير وتذليل صعوباته، فعمل "حفني ناصف" مع مجموعة من الأساتذة على

تعديل مناهج النحو وتحسينها وتيسير تعلّمها، تجلّى ذلك في كتب "الدروس النحوية" لتلاميذ

المدارس الابتدائية (1886م) والثانوية (1891م)، التي اقتصرت على القواعد الضرورية مبتعدة

عن التفاصيل، وقبلت هذه المحاولة ودرست كتبها بعد أن أقرتها وزارة المعارف وصدّق عليها شيخ

جامع الأزهر¹.

ودعا "إبراهيم مصطفى" إلى تقسيم النحو وتبويبه على أساس المعاني التي تشير إليها

الحركات الإعرابية في كتابه "إحياء النحو"، وقد خلص إلى أن علامات الإعراب دوال على

المعاني، فالضمة علم الإسناد، ودليل ذلك أن الكلمة المرفوعة يُرادُ يسند إليها ويتحدّث بها،

والكسرة علم الإضافة إشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها، أمّا الفتحة فلا تدل على شيء إلا أنّها

الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب، وأمّا "محمد عرفة" فعرض في كتابه "مشكلة اللغة العربية"

أهمية التكرار والتلقين والحفظ وهو أسلوب السلف مشيراً إلى أن القواعد وحدها لا تكفي

لاكتساب اللغة².

1- ينظر: زكرياء سعيد، نفوسة، تاريخ الدعوة إلى العامة وآثارها في مصر، ص 196.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص 196.

ويمكن اختصار آراء هذا الفريق الذي لا تمس أفكاره جوهر النحو في:

1 - تكمن صعوبة النحو في ما يزاحمه من تفاصيل، وعليه ينبغي تدليل هذه الصعوبات بتلخيص

النحو، والاقتصار على الضروريّ منه - حفي ناصف -

2 - صعوبة النحو تتمثل في فساد تبويها - إبراهيم مصطفى -

3 - اعتماد الحفظ والتلقين وتكرار سماع الفصيح مطلب ضروريّ لاكتساب لغة سليمة - محمد

عرفة -

ب - الفريق الثاني: ويرى بأنّ الصعوبة تكمن في النحو نفسه، وأنّه لا سبيل إلى تدليله، إلا

بتبديل قواعده، وتلخيص آراؤهم في:

1 - إلغاء الإعراب بتسكين أواخر الكلمات.

2 - إثارة كل لهجة عربية توافق العامية.

3 - حذف بعض قواعد النحو: كحذف موانع الصّرف، جعل العدد من جنس المعدود، إلزام

المنادى والمستثنى حالة واحدة إمّا النصب أو الرّفع.

كما اقترح هذا الفريق أيضا الفصل بين قواعد اللغة، وقواعد القرآن، ففي اعتقادهم أنّ

الجهل بالقواعد غير مهم لاسيما وأنّ هناك من المسلمين من يجهل العربية ولكنّه يتقن أحكام

القرآن من الفقهاء - إلا أنّ هذه القواعد هي قوانين تأليف الكلام الذي يجري في كل لغة على

نظام خاص بها، كما وأنّ قواعد أرقى اللغات الأوروبية فيها من الصّعوبات والشّواذ ما لا يحصى.¹

وفي سنة 2002م ألف "زكريا أوزون" كتابه "جناية سيويه الرّفّض التّام لما في النّحو من أوهام"، زعم في مقدّمته بأنّ اللغة العربية أصبحت لغة جامدة، بل تراجعت وتقهقرت عالميا حتى أنّ أهلها تخلّوا عنها فلم يعودوا يهتمون بها ورد ذلك إلى سبين هما: علم النّحو العربي، والاشتقاق اللغوي لاستيعاب المفردات والمصطلحات الجديدة.²

وجمع الكاتب مآخذه على النّحو في أوّل فصل له عنوانه "زبدة الكتاب في بدايته"، فيأخذ على النّحاة أنّ الإعراب لا يجري على أساس المنطق³ وكأنّ سخطه عليها نابع من عجزه الظاهر البيان، فهو يعيب علما لا يقدر على فهمه ولا يدرك كنهه، وهنا نجد "ابن جني" يقول: «ونعوذ بالله ممّا يجنيه الضعف في هذه اللغة العربية على من لا يعرفها، فإنّ أكثر من ضلّ عن القصد حتى كبّ منخره في قعر الجحيم إنّما هو لجهله بالكلام الذي خوطب به ثمّ لا يكفيه عظيم ما هو عليه وفيه دون أن يجفوها، ويعرض عمّا يوضّحه له أهلوها نعم ويقول ما الحاجة إليها؟ وأين وجه الضرورة الحاملة عليها؟ نعوذ بالله من التّابع في الجهالة»⁴، ثمّ يضيف في موضع آخر «...ولو كان لهم أنس بهذه اللغة الشّريفة أو تصرف فيها، أو مزاوله لها، لَحَمَتُهُم السّعادة بها ما أصارتهم الشّقوة

1- ينظر: زكرياء سعيد، نفوسة، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص 202 - 203.

2- ينظر، أوزون زكريا، جناية سيويه، الرّفّض التّام لما في النّحو من أوهام، رياض الرّيس للكتب والنشر، ط.1، 2002، ص11.

3- ينظر، المرجع نفسه، ص.14.

4- ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبين وجود شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج.2، القاهرة، 1414هـ/1994م، ص250.

إليه بالبعد عنها»¹ وكان الأجدر بمؤلاء الذين يعيرون على اللغة نحوها وإعرابها أن يدركوا أن النحو علم شأنه شأن العلوم الأخرى له أهله كما له قواعده وأسسها التي يقوم عليها لا بد أن يؤخذ من منبعه ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل 43) وأما قواعده التي يزعمون تعقيدها فقد تمكنت من الصمود أكثر من ألف سنة أنتجت خلالها ثروة كبيرة من الكتب العربية فهذه الفترة الطويلة أصدق شهادة لصلاحية النحو وبطلان ما يزعمون.²

وكيف ينادون بإلغاء الإعراب؟ و«الإعراب مطلب العقل في اللغة، ولذلك نرى أن الإعراب أرقى ما وصلت إليه اللغات في الإبانة والوضوح، وهذه المرتبة قد بلغت العربية الفصحى، ولا يشاركها فيه من اللغات القديمة إلا اليونانية واللاتينية ولا يشاركها فيه من اللغات الحية إلا الألمانية»³، فهذه القواعد هي جوهر اللغة، وأية محاولة لهدمها هدم للغة ذاتها إلا أنه يستحيل تفكيك أصولها وتقليل شأنها لما اتصفت به العربية من الدقة والإحكام، ذلك أنها برهنت ثبوتها وصلاحياتها عبر العصور بانتشارها، وانسياقها في الأقطار العربية، وتصديرها المكانية بين اللغات كما أسلفنا في الفصل الأول.

1- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج.3، دار الكتب المصرية، د.ط، ص246.

2- ينظر، حسين محمد محمد، أزمة العصر، الطباعة والنشر، ص153.

3- البحرة، نصر الدين، لغة الضاد في معاركها مع العامية، ص09.

يذكر لنا، "عطار أحمد عبد الغفور" في كتابه "الزّحف على لغة القرآن" بأنّ أوّل من دعا إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، هو "داود الحلبي الموصلي"، في رسالة له بعنوان "إصلاح حروفه دائر" سنة 1326هـ، وأنّ أوّل دولة طبقت هذه الفكرة هي: "تركيا" على يد "مصطفى كمال" الذي كان من أشدّ المعادين للإسلام والعروبة، وكان همّه الشاغل هو هدم اللغة العربية لغة ورسمًا.¹

اهتم مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ 1938م، ببحث الوسائل المقبولة لتسهيل كتابة الحروف العربية والابتكار في ذلك لتيسير القراءة الصّحيحة، شرط أن لا يخرج هذا التّحسين والابتكار عن أصول أوضاعها العامّة²، واختلف أعضاء مجمع اللغة توجّه تيسير الكتابة العربية، فنادى البعض باستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وذهب البعض الآخر إلى استبقاء الحروف العربية، لكنّهم اختلفوا في علامات الحركة.

أ- اقتراح عبد العزيز فهمي: وهو عضو في المجمع اللغوي بالقاهرة، كان اقتراحه قائما على إلغاء الحروف العربية وإحلال الحروف اللاتينية مكانها، مع استبقاء بضعة حروف عربية، وذلك في المجمع اللغوي بالقاهرة في جلستيه المنعقدتين في: الرابع والعشرين والواحد والثلاثين من شهر يناير

1- ينظر، عطار أحمد عبد الغفور، الزحف على لغة القرآن، ص. 85.

2- ينظر، مجمع فؤاد الأوّل للغة العربية، مؤتمر المجمع سنة 1944، تيسير الكتابة العربية، مطبعة الأميرية بالقاهرة، 1946، ص. 03 .

سنة 1944¹، وقام بجهود جبّارة لتدعيم اقتراحه، فهو يرى بأننا «من أتعس خلق الله في الحياة لأننا لم نعالج التيسير الذي فعله أهل اللغة العربية، إنّنا مستكروهون على أن تكون العربية الفصحى هي لغة الكتابة عند الجميع، وأنّ هذا الاستكراه الذي يوجب على الناس تعلم العربية الفصحى، هو في ذاته محنة حاذقة بأهل العربية وأنّ ذلك طغيان وبغي...»²، وأمّا عن التبريرات التي جاء بها لتدعيم اقتراحه فتمثلت في:

1 ذكر بعض الأمثلة لعيوب العربية التي نشأت عنها الصّعوبات، ومنها: أفعالها المجردة والمزيدة، وأنّ للمجرد ستة أوزان، وأنّ الفعل الثلاثي الواحد قد يتبع أوزانا مختلفة... كما تحدّث عن عدم جدوى الفتحة والضّمة والكسرة، والسّكون والمدّ والتّنوين، فهو يعتبر ذلك كلّ مشقّة تحمله على الاعتقاد بأنّ «اللغة العربية من أسباب تأخّر الشرقيين لأنّ قواعدها عسيرة ورسمها مضلل»³.

2 محاكاة الأمم الرّاقية علميا وصناعيا وتقليدها، لأنّ هذه الأمم تستعمل حروف الحركة في كتاباتها، وأمّا الأمم المتأخّرة فهي الأمم التي لا حروف حركات لديها.

3 وأمّا عن إرثنا الحضاري والعلمي والأدبيّ، فهو يقترح صرف مبلغ من المال من أجل طبع أمّهات الكتب والمعاجم بالرّسم الجديد مالا يدع مجالا لقطع صله الجيل الجديد بتراث أجداده.

1- ينظر، عطار أحمد عبد الغفور، الزحف على لغة القرآن، ص.88.

2- زكريا، سعيد نفوسة، تاريخ الدّعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص.208.

3- المرجع نفسه، ص.210.

4 - ولم ينس الإشادة بتركيا التي لها فضل السبق في تنفيذ مخطّطه، فهو يرى أنّها تمكّنت من أن

تلتحق بركب الحضارة والتّقدم.

لم يكن لاقتراح هذا المستغرب أي أساس علمي، بل بدا وكأنّه لا يعدو أن يكون مجرد

استجابة لدعوة المستشرق سبيتا "Spitta" في كتابه (قواعد العربية العامية في مصر)، فهو كلام

كالعسل وفعل كالأسل، وينطبق عليه قول الرّافعي:

لِكُلِّ فَنٍّ مِنَ الدُّنْيَا كَمَالٌ .: فَمَا نَقَصَ الْوَرَى إِلَّا الْفِعَالُ

وَمَنْ لَمْ يُشِدِّدْهُ فِي صِبَاهُ .: تَحَكَّمَ فِي شَيْبَتِهِ الضَّلَالُ¹

ذلك أنّنا إذا انفلتنا من هذه القواعد والأصول، ومن هذا الرّسم الأصيل الذي صان لغتنا ما

يزيد عن خمسة عشر قرناً، ضعفت هذه اللغة، وبات أصحابها غريين عنها «فالخطوط رياض

العلوم، وهي صورة ،روحها البيان، وبدنها السّرعة وقدمها التّسوية، وجوارحها معرفة الفصول،

وتصنيفها كتصنيف النّغم واللّحون»².

1- الرّافعي، مصطفى صادق، ديوان، شرحه محمد كامل الرافعي، الإسكندرية، د.ط، 1323هـ، ج.01، ص 17.

2- موسوعة تراث الخط العربي، ناجي هلال، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، مصر، ط.1، 2002م، ص 223.

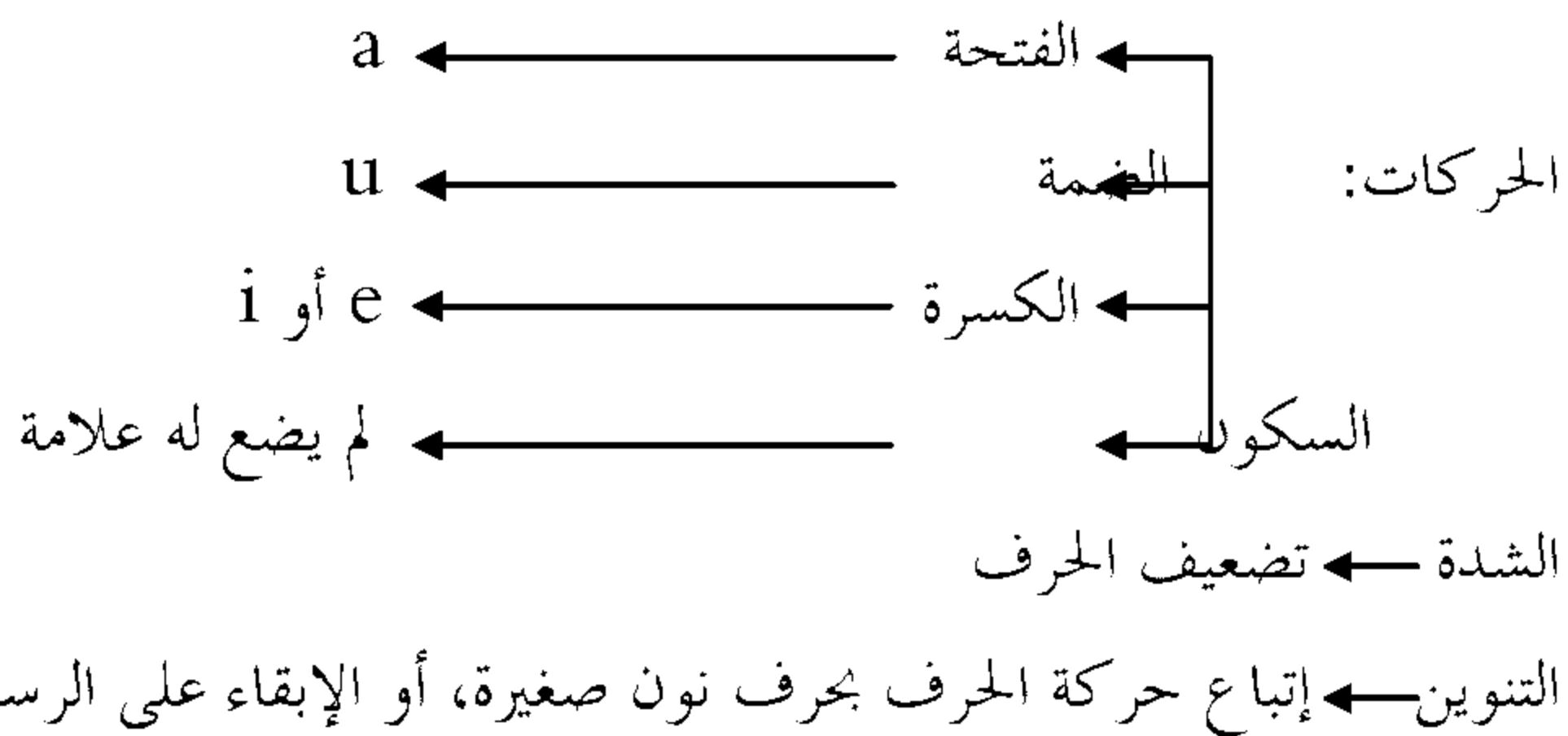
وأما التيسير الذي يدعو إليه، فيتمثل في الإبقاء على خمسة أحرف عربية، وخمسة عشر حرفاً

لاتينيا، وإضافة زوائد ووضع حروف للحركات على النحو الآتي:¹

الحرف	رسمه بالعربية	رسمه بالخط اللاتيني
الألف	أ	a لفرقها خط
الهمزة	ء	3
الباء	ب	B
التاء	ت	T
الثاء	ث	الثاء نفسه ولكن فيه خطين
الجيم	ج	ج
الحاء	ح	ح
الخاء	خ	خ
الدال	د	D
الذال	ذ	حرف الدال نفسه ولكن فيه خطين
الراء	ر	R
الزاي	ز	Z
السين	س	S
الشين	ش	حرف السين نفسه ولكن فيه خطاً
الصاد	ص	تكتب هذه الحروف معكوسة
الضاد	ض	
الطاء	ط	
الظاء	ظ	
العين	ع	ع
الغين	غ	غ
الفاء	ف	F
القاف	ق	Q
الكاف	ك	K
اللام	ل	L
الميم	م	M
النون	ن	N
الهاء	هـ	H
الواو	و	W
الياء	ي	Y

1- ينظر، الفيصل، سمر روجي، قضايا اللغة العربية، في العصر الحديث، ص.27.

الحركات: ¹



أما الحروف التي ليس لنعمتها مقابل في العربية: c - g - j - p - x

حاجی فیہ ۲

طريقة رسم بعض الأشكال الواردة بالبرنامج

[illegible]

² الطريقة المقترحة لكتابة العربية بالحرف اللاتيني لعبد العزيز فهمي

1- ينظر، الفیصل، سمر روجی، قضايا اللغة العربية، في العصر الحديث، ص 27

2- الصاوي، محمد، كتابه العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية، ص.10.

من الذين نهجوا نهج عبد العزيز فهمي، وعملوا على وأد الخط العربي: ¹

إبراهيم حمودي، وكتابه: "طباعة اللغة العربية بالحروف اللاتينية"

- الجنيدى خليفة، وكتابه: "نحو عربية أفضل"

- سعيد عقل، ومحاولاته.

- أنيس فريجة، المعجب بعبد العزيز فهمي.

عثمان صبري، وكتابه: "نحو أبجدية جديدة"

جدول رقم 1							
الحالية	الكتابة	الكتابة الحالية	الكتابة الحالية	الكتابة الحالية	الكتابة الحالية	الكتابة الحالية	الكتابة الحالية
أ	a	ا	ā	ا	ā	ا	ā
ت	t	ت	t	ت	t	ت	t
د	d	د	d	د	d	د	d
ط	ṭ	ط	ṭ	ط	ṭ	ط	ṭ
ض	ḍ	ض	ḍ	ض	ḍ	ض	ḍ
ز	z	ز	z	ز	z	ز	z
س	s	س	s	س	s	س	s
ص	ṣ	ص	ṣ	ص	ṣ	ص	ṣ
ث	ṯ	ث	ṯ	ث	ṯ	ث	ṯ
ذ	ḏ	ذ	ḏ	ذ	ḏ	ذ	ḏ
ظ	ẓ	ظ	ẓ	ظ	ẓ	ظ	ẓ
ب	b	ب	b	ب	b	ب	b

الأبجدية اللاتينية المعدلة كما اقترحها عثمان صبري ²

1- الصّاوي، محمد سعيد إسماعيل، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية، ص 14.

2- المرجع نفسه، ص 14.

جدول رقم 5

محو آية تركية بالأرقام ومعارف شكلية

آية الكرسي

ΠΣΖΑΠΠ' ΔΣΘ ΑΠΠΝΑ ΛΘΑΠΝΑ ΑΠ ΠΘΑΠΠΑΡ
ΛΣ ΒΑΛΗΝΩ ΠΘΠΠΠΘΑΛΛ ΑΠ ΠΘΒΥΛΑΠΠ'
ΛΣ ΝΛΑΖΑΛΩΠ' ΝΦ ΛΘ ΠΘΑΠΠ. ΒΣΖΑΠ ΑΠ
ΥΠΑΠΠ' ΑΠ ΜΛΘ ΝΦΥΛΑΠΠ' ΝΦ ΛΘ
ΝΘΝΠΠΝΑΝΒ ΑΠΠΝΑ ΠΘΑΔΗΝΧ ΠΧΛΦΒΛΣ

الأرقام المقترحة

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	...
٥	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١

هنا نجد كبير فرق بين مجموعة أشكال هذه الألفبئات ٩ - لا

الحالية - نجاح السياسة القطنية الجديدة : موعد الحلاج وتليم الأقطان

supplies your body with just enough of what it takes - اللاتينية

ΑΝΑΔΕΛΗΛΑΜ ΠΟΛΠΠΑΡ ΑΩΛΩ - المقترحة

ΑΙΣ ΕΥΘΥΙ ΠΣ ΕΚΔΟΘΗ ΣΥΓΧΡΩΝΩΣ, ΕΙΣ ΤΑ ΠΛΗΘΗΣ - اليونانية

ԽԻՐԱԹԻՉԻԷ ՀԵՐԱԹՓՈՒԹԷՆ ԱՍԷՐԹԵՆ - الأرمنية

مناد صبري

آية الكرسي كتبها عثمان صبري بأحسن أبجدية أخرجت للناس¹

أمّا "سلامة موسى" فقد دافع عن اقتراح "عبد العزيز" قائلا: «واقترح عبد العزيز فهمي

يحتاج أولاً إلى العمل بإلغاء الإعراب الذي تعلّمناه ولكن لم نعمل به قط، وإلغاؤه يجعل الهجاء

العربي في الخط اللاتيني سهلاً، ثمّ هو يغنينا عن وضع الحركات في أعلى وأسفل الكلمة لأنّ

الحركات في الخطّ اللاتينيّ حروف تدخل في صلب الكلمة وللنّظر في بعض الميزات التي للخط

اللاتيني² وعمل كذلك على تمجيد الحروف اللاتينية مدّعياً أنّها «وسيلة العلم ولا وسيلة غيرها،

لأنّ حضارة أوروبا هي الحضارة العلمية التي تربط الحاضر بالمستقبل، في حين أنّ حضارتنا في

1- الصاوي، محمد، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية، ص.18.

2- سلامة موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية، هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، ص.119.

مصر تربط الحاضر بالماضي، وتشبّثنا بحضارتنا هو عناد لا أكثر»¹. بل أفرد له فصلاً كاملاً
عنونه: "حاجتنا إلى الحروف اللاتينية".

من الواضح الجلي بأنّ حلّكة الجهل هي السبب في طمس كل معالم الشخصية والانتماء
والعلم والتّنوير الفكريّ لأنّ الحركات في اللغة الفصحى «حركات خالصة موروثية، مقدّرة الوقت
وكيفية الأداء، وقد يكون فيها إمالة أو إشماع أو نحو ذلك، وهذا ما لا يمكن أن يتحقّق تماثله مع
الحروف اللاتينية التي هي حروف حركة»²، أمّا الحروف العربية فيعتري بعضها «إبدال أو إقلاب
أو إخفاء أو إدغام حسب السّياق الصّوتي، وهذا ما لا تستطيع أدائه الكتابة والنطق الأجنبيّ»³،
فاللغة العربية تعدّ أهمّ ملمح من ملامح الهوية العربية والإسلاميّة، وأخطر مكوّن من مكوناتها الذي
يميّزها عن غيرها من الأمم، كما أنّ المساس بها أو برسمها يعدّ تشويها لثقافتها، وتحدياً جدياً
لحاضرها ومستقبلها.

والحقيقة أنّ هذه الطريقة التي ابتكرها وقال بها "عبد العزيز فه م ي" ليست من التّيسير في
شيء، بل هي عبارة عن خلط بين الحروف اللاتينية والعربية تفضي إلى تشويه يمسّ الكتابتين معاً،
وهنا نتساءل، إذا كان "عبد العزيز فهمي" يعيب رسم كتابتنا ويرميه بالضعف والتّخلف
والصّعوبة، فهل تخلو الحروف اللاتينية من العيوب حتى نتخذها رسماً؟

1- سلامة موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية، ص. 146.

2- هلال، عبد الغفار حامد، أصل العرب ولغتهم من الحقائق والأباطيل، دار الفكر العربي، القاهرة، 1417هـ/1996م، ص 160.

3- المرجع نفسه، ص. 160.

فهي أيضا تحوي حروفا تنطق ولا تكتب، كما أنّ فيها كلمات يختلف نطقها عن رسمها *،
أم غابت هذه الحقيقة عن تفكيره؟، وأمّا عن تأخّر العرب فلا شأن للخطّ العربيّ في ذلك وهو
واهم في ذلك أشدّ الوهم.

ب - من نتائج استعمال الحروف اللاتينية:

- 1 - صعوبة الكتابة وإهدار الأموال لتعلّم الخطّ الذي يدعو إليه.
 - 2 - إضاعة الوقت، وشيوع الفوضى أثناء تطبيق هذا الاقتراح.
 - 3 - كثرة الشكاوي من صعوبة التعامل مع الخطّ الجديد.
 - 4 - اندثار فن الخطّ العربيّ.
 - 5 - قطع الصّلة بين الأجيال القادمة، والميراث الثقافي العربي الذي لا يمكن في أيّ حال من
الأحوال التّمكن من جمعه وطبعه بالخطّ المقترح، وأمّا الأتراك الذين يتحدّث عنهم، فقد أضاعوا
مجدا عظيما وسؤودا تليداً باتّخاذهم الحروف اللاتينية.
- أمّا أعضاء المجمع اللغويّ فقد عارضوا مشروع "عبد العزيز فهمي" معارضة عنيفة، ونقدوه
نقدا دقيقا مفصّلا¹، ومن هؤلاء "محمد كرد علي" الذي ردّ عليه: «إنّ قول زميلي يوشك أن
تغزونا اللغات الأجنبية فنترك لغتنا ونستعيز عنها بلغة من لغاتهم، هذا خوف لا محلّ له، لأنّ
العربية تزدد كل يوم رسوخا في نفوس أهلها... كذلك قوله إنّ لغتنا كانت سبب تخلفنا في

* بالعودة إلى الفصل الأوّل في خصائص الخطّ العربيّ. ص. 43.

1- للتوسع، ينظر، الجندي، أنور، المساحلات والمهارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، مكتبة الآداب، القاهرة، 1429هـ/2008م، ط.2، ص 31 - 47.

مضمار الحضارة... لا علاقة لها بحروف الكتابة وقواعد الرسم...إنّه يعرف أنّنا أنشأنا مدينة شهد لعظمتها كل من قاموا بعدها، وما حال هذا الخطّ ومن قبله الخطّ الكوفيّ دون الانتفاع بما آل إلينا من علوم القدماء، وما وضعناه نحن وما قدّمته قرائحنا من علوم وآداب»¹، ثمّ يتساءل: ماذا يكون مصير هذا التّاج الفكريّ العربيّ الإسلاميّ الذي أودعه على مرّ العصور عظماء المسلمين كتبهم وآثارهم المطبوعة والمخطوطة؟!، وإذا كان الأتراك قد تساهلوا باعتمادهم الحرف اللاتيني الذي أدّى إلى القضاء على تراث عمره ستمائة سنة، فكيف تدعوننا إلى فحج درهم والتخلي عن خمسة عشرة قرنا من التراث المجيد؟

لعل هذا المستغرب لا يدرك أنّ «الخطّ هو لسان اليد وبهجة الضمير وسفير العقول، ووحى الفكرة وسلاح المعرفة، وناقل الخير، وحافظ الأثر»²، فهو المترجم لخلجات النّفس، ورسول الفكر الحامل مآثر الأوائل والواجب العناية به والمحافظة عليه، وأمّا من ينكر حسناته، فهو كمن ينكر نور الشمس في وضح النّهار، فهذا الخطّ هو الذي تُسجّ عبر القرون الطويلة حتى استقام لأهلها لسانا عربيا غير ذي عوج «ولست أعرف كتابة تحتمل التّجليل غير العربية»³ فيكفيها فخرا وعزّة ومجدا أنّ المصحف الشريف كلام الله المتّزل، مدوّن بها ولا ينبغي أن نتحوّل عنه قيد أنملة .

ومن المؤسف أن يتنكّر لهذه اللغة - العربية - بعض أهلها، ويحاربونها متأثرين بشبهات

أعدائهم من المستشرقين والمنصّرين، متناسين قوله سبحانه وتعالى في سورة المائدة، الآية 57

1- الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، ص 189.

2- عفيفي، فوزي سالم، جامع الخطّ العربيّ، تح: ناجي هلال، ص 223.

3- موسوعة تراث الخط العربي، تح: ناجي هلال، ص 223.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا

اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ الْأَسَى وَالشَّجَى أَنَّا لَمْ نَقْدِرْ لُغْتَنَا حَقَّ قَدْرِهَا «وما زال من يعجز

الكتابة هو الذي يريد أن يصلح لغتها وأساليبها»¹، فقد خلفَ خلفٌ أضاعوا العروبة والهوية

الإسلامية واتبعوا أصوات الغرب، وحال لسان العربية يقول:²

بَلِّيتُ بِكَ لِمِ إِمْتِعَاجِ هَوْلٍ .: أَصَمَّ السَّمْعُ عَنِ عَذْلِ الْعَذُولِ

الْوَهْمُ فَصَانَفُخُ فِي رَمَادٍ .: وَأَنَّهُمْ فَلَدَبُ فِي طُلُولِ

جَرَا فِي حَلْبَةِ الْعُلَمَاءِ رَكْضًا .: بِمَضْمَرَةِ الدِّعَاوَى وَالْفُضُولِ

تَسَامَوْا بِالْفُرُوعِ فَكَسَبْتَهُمْ .: وَهَلْ تَسْمُو الْفُرُوعُ بِلَا أُصُولِ

أَقَامُوا عَاكِفِينَ عَلَى فِتَاوٍ .: تَرْدُ الدَّهْرِ ذَا طَرَفٍ كَلِيلِ

إِذَا سَكَنُوا فَعَنَ عِيٍّ وَحَضْرٍ .: وَإِنْ نَطَقُوا أَتَوَا بِالْمُسْنَحِيلِ

يُضَا حَكْنِي سَرَابُ الْقَاعِ مِنْهُمْ .: وَمَا اخْتَرَعُوهُ مِنْ قَالٍ وَقِيلِ

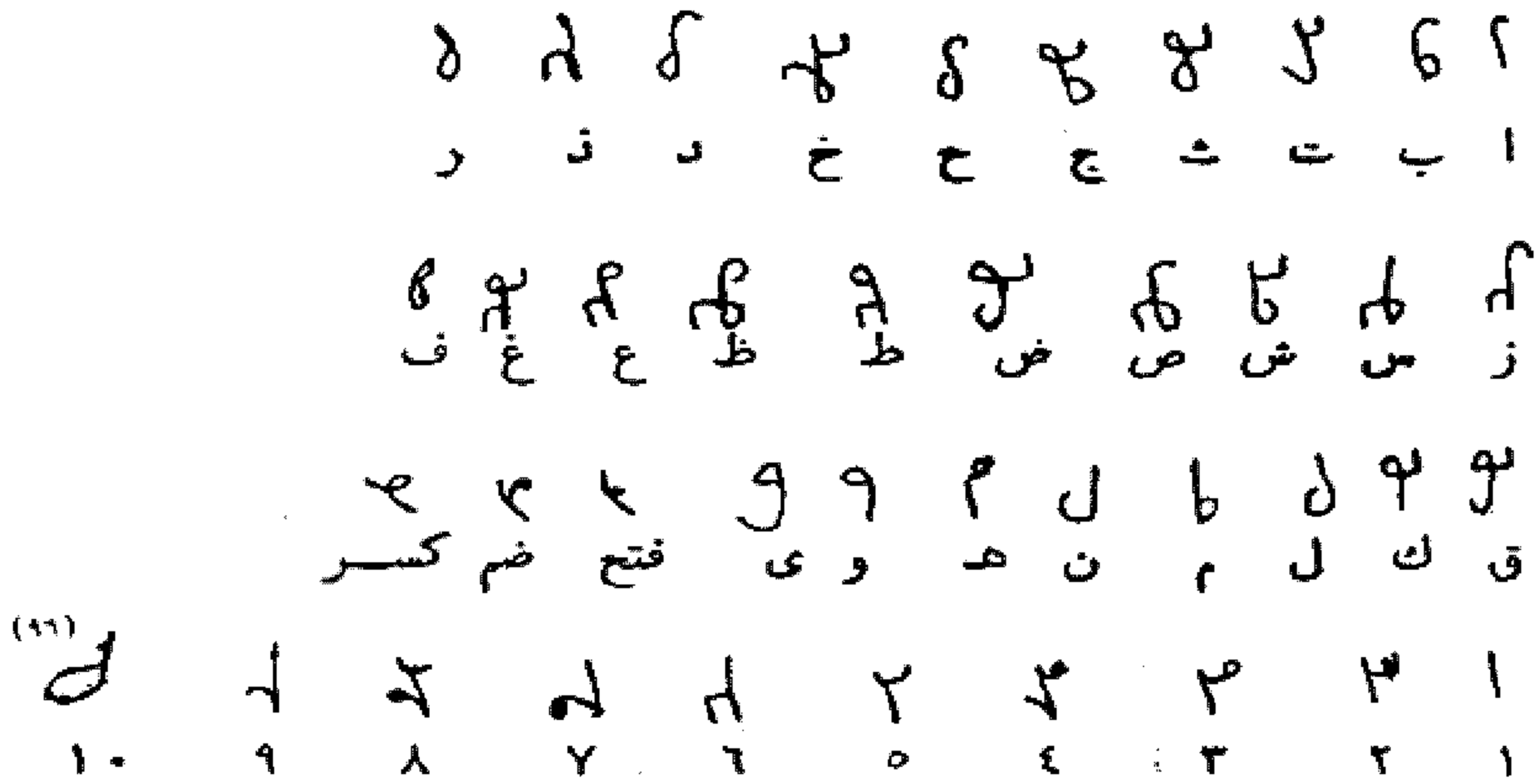
فاللغة العربية وإن كانت تقلق أعداء الإسلام إلا أنهم على عداوتهم لها يهتمون بها اهتماما

بالغا، فهم يُقبلون على تعلّمها بنهمٍ شديد، بغرض التصدي للإسلام وأهله ومحاربته بنفس لغته

3- الرّافعي، مصطفى صادق، تحت راية القرآن، ص 37.

2- المقرئ، أبو بكر، ديوان، ص 100.

وأسلوبه، بالتأثير على أبنائه فكرياً عن طريق الحركة التنصيرية التي شنها عليهم، فالتنصير لا يقف عند دعوة الرهبان والقسيسين إلى دينهم وإنما هو: «توجيه النشء إلى ثقافة غير ثقافته، ومحاولة نزع عقيدته الإسلامية، وإبعاده عن القرآن ولغته العربية»¹، فقاموا بنشر مفاهيم خاطئة عن اللغة العربية واتهموها بالقصور والجمود والتخلف تلقفها ضعاف النفوس من العرب، فجدّوا عليها – الفصحى – ما لا يجدو تَلَبُّبُ الأعداء.



صورة "الخط الجديد" للزهاوي سنة 1896 تبدو فيها آثار العدوان على الإبداع والجمال والهوية معاً²

1- محاسن بنت أحمد بن محمود مولوي قربان، آراء محمود شاكر وجهوده اللغوية، جامعة أم القرى، 1429/1430هـ، ص 40.

2- الصاوي، محمد، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية، ص.5.

جدول رقم ٢									
ألفبائية	ألفبائية	ألفبائية	ألفبائية	ألفبائية	ألفبائية	ألفبائية	ألفبائية	ألفبائية	ألفبائية
أ	ا	ب	ب	ج	ج	د	د	هـ	هـ
ت	ت	ث	ث	ج	ج	د	د	هـ	هـ
د	د	ذ	ذ	ح	ح	ط	ط	ظ	ظ
ط	ط	ظ	ظ	ل	ل	م	م	ن	ن
خ	خ	ح	ح	ع	ع	ف	ف	ق	ق
ر	ر	ز	ز	س	س	ش	ش	ص	ص
س	س	ص	ص	ي	ي	ك	ك	ل	ل
م	م	ن	ن	هـ	هـ	و	و	ز	ز
ث	ث	ج	ج	د	د	هـ	هـ	و	و
ذ	ذ	ح	ح	ط	ط	ظ	ظ	ع	ع
ظ	ظ	ل	ل	م	م	ن	ن	هـ	هـ
ب	ب	ج	ج	د	د	هـ	هـ	و	و

أبجدية مقترحة خالية من كل عيوب الأبجدية العربية¹

1- الصاوي، محمد، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية، ص.16.

3 الوعي المخلصين العرب:

عمل الاستشراق على تكوين عدد من المثقفين العرب الذين زاغوا عن الحق لاستغلالهم في ضرب أهلهم، فيحققوا على أيديهم ما لم يستطيعوا تحقيقه هم بأيديهم، فما يكتبه هؤلاء الكتاب لا يعدو أن يكون مكائد للمستشرقين يردّدونها، فقد ابتغوا الفتنة بين أبناء العالم الإسلامي، فجحدوا قيمهم ومبادئهم حتى يجعل لهم الغرب وُدّاً، ويؤكد ذلك أحد المفكرين: «إن جمعا من المثقفين في بلادنا، بوأوا هؤلاء القوم (أي المستشرقين) مكانة هم دونها يبقين، ووقعوا في شباكهم ففسدت عقائدهم ومثلهم فلا محيص من إمالة اللثام عن وجوههم»¹، فما هم إلا قناع يقف وراءه الغرب يحركهم حسب أغراضه، فيضرم نيران الفتنة بين المسلمين بعضهم ببعض، ويتمكن هو من فرض لغته دونما مقاومة جذية جراء انشغالهم فيما بينهم.

بيد أن الحقيقة التي غفلها هؤلاء وأولئك (المستغربون، المستشرقون) هو أنهم لم ولن

يستطيعوا إبعاد العرب عن اللغة الفصحى لسببين مهمين:

أولهما: وأهمها ارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم الذي تعهد الله بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر 09)، والفصحى محفوظة بحفظ القرآن، فها قد مرت على اللغة العربية «من عهد نزول القرآن إلى عصرنا هذا، أدوار مختلفة بين علو ونزول، واتساع وانقباض، وحركة وجمود، وحضارة وبداعة، والقرآن في كل هذه الأدوار واقف في عليائه، يطل على الجميع من

1- عدنان محمد وزان، الاستشراق والمستشرقون، وجهة نظر، د.ط، ص 70.

سمائه، وهو يشعّ نورا وهداية، ويفيض عذوبة وجلالة، ويهيّل رقّة وجزالة، ويرفّ جدّة وطلاوة، ولا يزال كما كان غضّا طريّا يحمل راية الإعجاز ويتحدّى أمم العالم»¹

ولأنّ القرآن الكريم عربيّ، سخرّ المولى القدير للغة العربية من يحافظ عليها ويعمل لأجلها
«وكلما بدت معارفها تنكر، أو كادت معالمها تتسرّ، أو عرض لها ما يشبه الفترة، ردّ الله تعالى
عليها الكرّة، فأهبّ ريحها ونفق سوقها، بفرد من أفراد الدّهر أديب، ذي صدر رحيب، وعزيمة
راتبة، ودراية صائبة، ونفس سامية، وهمّة عالية، يحبّ الأدب ويتعصّب للعربية فيجمع شملها،
ويكرم أهلها، ويحرّك الخواطر الساكنة لإعادة رونقها، ويستثير المحاسن الكامنة في صدور المتحلّين
بها، ويستدعي التّأليفات البارعة في تحديد ما عفا من رسوم لطائفها»²، فهو يقف ضدّ كل دعوة
مضلّلة من شأنها سلخ الأمّة عن لغتها وفكرها وقيمها وتراثها.

أمّا ثانيها: فيتمثل في الوعي الذي تميّز به أنصار الفصحى الذين أدركوا كنه هذا الغزو،
وكشفوا خططه، وشمّروا عن سواعدهم لتوعية العامّة إلى استحالة تقعيد العامية واتّخاذها لغة
أدبية، فالكلمة لا بدّ أن تكون فصيحة جزلة، بليغة سهلة، لا عامية ولا أجنبية.

وها هو "جمال الدين الأفغاني" يحذّر من أفكار المستغربين «يجب أن نعلم أنّ عوامل غريبة
مهلكة تبدو في أوّل مظاهرها خفيفة الوطأة، سهلة جزلة، لا ضرر من التّسامح بها، وهي أسلوب
عجيب لإضعاف لغة القوم، والتّدرج بقتل التّعليم القوميّ وتنشيط القائلين من الشرقيّين بأنّ ليس
في لسانهم العربيّ أو الفارسيّ أو... آدابا تؤثّر، ولا في تاريخهم مجدا يذكر، وأنّ المجد كل المجد

1- الزرقاوي، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 2، دار الكتاب العربي، ط 1، 1415هـ/1995م، ص 260.

2- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 30.

لذلك الشرقي الخامل أن ينفر من سماع لغته، وأن يتباهى بأنه لا يحسن التعبير بها، وأن ما تعلّمه من الرّطانة الأعجمية هي منتهى ما يمكن الوصول إليه من المدركات البشرية»¹، وهذا ما لمسناه من أفكار "سلامة موسى"، ولويس عوض، وعبد العزيز فهمي... وغيرهم كثير حينما رأوا بأن اللغة العربية عاجزة عن مواكبة العصر، وأنه لا بدّ من إحلال العامية مكانها.

حركت هذه الحرب الفكرية قرائح الشعراء فكتبوا يتغنون بها ويدافعون عن حياضها، وكان "مصطفى صادق الرافعي" من أشدّ من حمّل على أعداء اللغة العربية من أبنائها، لأنّه أدرك جيّداً أنّ معاول الهدم من الدّاخل أخطر وأشدّ أثراً منها من الخارج فأنشد قصيدته:²

أمرُكي دُلها من نسلِها العتبُ .:	ولا تقيّة إلا ما جنّى النسبُ
كانت لهم سبيّاً في كلّ مكـ	وهم لئكبها من دهرها سببُ
لا عيب في العرب العرباء إن نطقوا .:	بين الأعاجم إلا أنهم عربُ
والطير تصدح شنى كالأنام وما .:	عند الغراب يزكي الليل الطربُ
أتى عليها طـ وال اللهـ ناصعة .:	كطلعت الشمس لم تعلق بها الريبُ
ثم استفاضت دى حاج في جوانبها .:	كالبدر قد طمست من نوره السحبُ
ثم استفضـات فقالوا الفجر يعقبُ .:	صبح فكان ولكن فجرها كذبُ
ثم اخفـت وعليها الشمس شاهدة .:	كانها جمرَةٌ في الجوّ تلهبُ
سلوا الكواكب كم جيل تداولها .:	ولم تزل نيرات هذه الشهبُ
وسائلوا الناس كم في الأرض من لغتٍ .:	قديمه جدلات من زهوها الحقبُ
ونحن في عجب بيلهو الزمران بنينا .:	لم نعبث ولبئس الشيمه العجبُ

1- عمارة محمد، جمال الدّين الأفغاني، موقظ الشرق، ص 171.

2- الرّافعي، مصطفى صادق، الدّيان، شرحه: محمد كامل الرّافعي، الاسكندرية، د. ط 1323هـ، ج. 02، ص 14.

إِنَّ الْأُمُورَ لَمَنْ قَدَبَاتٍ يَطْلُبُهَا ∴ فَكَيْفَ تَبْقَى إِذَا طَلَّابُهَا ذَهَبُوا
 كَانَ الزَّمَانُ لَنَا وَاللِّسَنُ جَامِعَةً ∴ فَقَدْ غَدَوْنَا لَهُ وَالْأَمْرُ يُنْقَلِبُ
 وَكَانَ مَنْ قَلْبًا نَا يَرِ جُؤْنًا خَلَفًا ∴ فَالْيَوْمَ لَوْ نَظَرْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ نَدَبُوا
 أَنْتَ مَرَكُ الْغَرْبِ يُلْهِى نَا بِزُخْرِ مَرْفَعِهِ ∴ وَمَشْرِقُ الشَّمْسِ يُبَكِّينَا وَيَنْحَبِ؟
 وَعَيْنُ دَنَا نَهْجُ ذَبْ لُشَارِبِهِ ∴ فَكَيْفَ نَرَكُمُ فِي الْبَحْرِ يَنْسَرِبُ؟
 وَأَيُّ مَرَا لُغَةٍ تَنْ سِي أَمْرٍ أَلْ لُغَةٍ ∴ فَإِنَّهَا ذَكَبَتْ مِنْ فِيهِ تَنْسَكِبُ
 لَكُمْ بَقِي الْقَوْلِ فِي ظِلِّ الْقُصُورِ عَلَى ∴ أَيَّامٍ كَانَتْ خِيَامُ الْيَدِ وَالطَّنْبُ
 وَالشَّمْسُ تَلْفَحُهُ وَالرِّيْحُ تَنْفَحُهُ ∴ وَالظِّلُّ يُعَوِّزُهُ وَالْمَاءُ وَالْعُشْبُ
 أَرَى نَفُوسَ الْوَرَى شَتَّى وَفِيمَرَاتِهَا ∴ عِنْدِي تَأْثُرُهَا لَا الْعِزُّ وَالرُّتْبُ
 أَلَمَرَّتْ الْحَطَبَ اسْتَعْلَى فَصَارَ لَطْفِي ∴ لَمَّا تَأْثَرُ مِنْ مَسِّ اللَّظَى الْحَطَبُ
 فَهَلْ نُضِيْعُ مَا أَبْقَى الزَّمَانُ لَنَا ∴ وَتَنْفُضُ الْكَفَّ لَا مَجْدُ وَلَا حَسَبُ
 إِنَّا إِذَا سُبَّ فِي الشَّرْقِ فَاضِحَةٌ ∴ وَالشَّرْقُ مِنَّا وَإِنْ كُنَّا بِهٍ خَرِبُ
 هِيَهَاتَ يَنْفَعُنَا هَذَا الصِّيَاحُ فَمَا ∴ يُجْدِي الْجَبَانَ إِذَا مَرَوْعُهُ الصُّخْبُ
 وَمَنْ يَكُنْ عَاجِزًا عَنْ دَفْعِ نَابِتَةٍ ∴ فَقَصْرُ ذَلِكَ أَنْ تَلْقَاهُ يُحْسِبُ
 إِذَا اللُّغَاتُ أَزْدَهَرَتْ يَوْمًا فَقَدْ ضَمِنَتْ ∴ لِلْعُرَبِ أَيُّ فَخَارٍ بَيْنَهَا الْكُتُبُ
 وَفِي الْمَعَادِنِ مَا تَمَرَضِي بِرِوْنَقَةٍ ∴ يَدُ الصَّدَا غَيْرَ أَنْ لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

وهو يرى - الرافعي - بأن النزول باللغة دون مترلتها يكون سببه واحد من هذه الأسباب

الثلاثة الآتية: «فإما مستعمرون يهدمون الأمة في لغتها وآدابها لتتحول عن أساس تاريخها الذي هي

أمة به ولن تكون أمة إلا به، وإما النشأة في الأدب على مثل نهج الترجمة في الجملة الإنجليزية

والانطباع عليها وتعويج اللسان بها، وإما الجهل من حيث هو الجهل أو من حيث هو الضعف»¹.

1- الرافعي، مصطفى صادق، تحت راية الإسلام، ص 30.

ويجب أن ندرك جيداً أن اللغة العربية هي رأس المال فينبغي المحافظة عليها من ما من شأنه أن يبتليها بالضعف والهون، ولا نسمح بأن تزاخمها العامية ولا اللغات الأجنبية في مكانتها.

وأما "حافظ إبراهيم" فكتب قصيدته المشهورة "اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها" حيث يقول فيها:¹

مَرَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي وَتَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي
مَرَمَوْنِي بِعُتْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عِدَاتِي
وَوَلِدْتُ فَلَمْ أَلْمِ أَحَدًا لِعِـرَائِسِي مَرَجَلًا وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي
وَوَسَعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفِظًا وَغَايَةً وَمَا ضِغْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
فَكَيْفَ أَضِيقُ إِلَى وَمَرَعَنْ وَصَفِ آلَةٍ وَتَسِيْقُ أَسْمَاءَ لِمُخْشَعَاتِ
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَاءِ الدُّرِّ كَامِرٍ فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَاصَ عَنْ صَدَقَاتِي
فَصَيًّا وَيَحْكُمُ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي وَمِنْكُمْ، وَإِنْ عَزَّ الدَّفَاءُ، أَسَاتِي
فَلَا تَكُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنْ نِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَقَاتِي
أَمْرِي لِي جَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ
أَتُوا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ تَفَنُّنًا فَيَا لَيْسَ كُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
أَيْطَرُ بِكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ يُنَادِي بِوَادِي فِي رَمِيحِ حَيَاتِي ؟¹
وَلَوْ جَزُونَ الطَّيْنَ يَوْمًا عَلِمَ نَقْرٌ بِمَا تَحْنُ مِنْ عَشَّةٍ وَشَنَاتِ
سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا يَعْزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي
حَفِظَنَ وَدَادِي فِي الْيَلَى وَحَفِظْنَهُ لَهُنَّ بِقَلْبٍ دَائِمٍ الْحَسَرَاتِ

1- إبراهيم، حافظ، ديوان، ج. 01، ص. 253.

وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرقاً .: حياءً بذلك الأعظم التخرات
أرى كل يوم في الحـ رائد مزلـقاً .: من القبر يدنيني بغيس أناة !!
وأسمع للكتاب في مصر رضىجة .: فأعلم أن الصائحين نغاتي !!
أهـجـ ربي قومي عفا الله عنهم .: إلى لغت لم تنصل برؤاة ؟ !
سرت لوثة الإفنج فيها كما سرى .: لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقة .: مشكلة الألوان مخدلفات
إلى معشر الكتاب والجمع حافل .: بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
فأما حياة تبعث الميت في البلى .: ونبت في تلك الرؤوس رفاتي
وإما ممات لا قيامة بعد .: ممات لعمرى لم تقس بممات

فهذه اللغة التي تنعى نفسها هي نفسها التي اتسعت لمعاني الإسلام الذي لم يكن لها عهد به كالصلاة والصيام و... ثم اتسعت لمعاني الإسلام بما يحمله من شريعة وأخلاق وعبادات... ولم تعجز أبدا عندما استحدث "عمر بن الخطاب رضي الله عنه" الدواوين والإدارات، وحتى عهد الترجمة والتأليف في علوم جديدة بالنسبة للغة العربية كالرياضيات والكيمياء والطب والهندسة... لم تتخلف العربية عن ذلك بل اتسعت لها اتساعا كبيرا، ووعت شتى العلوم والمعارف. وهكذا كلما تعالت أصوات الحاقدين لضرب هذه اللغة ووأدها، وضرورة محوها، تماقت أصوات أخرى تخاطب العقول وتنير الدروب على أنها لغة العصور ودليل العبور ومنتهى الوصول .

فلذا كان التيسير مطلوباً لذاته حيثما تيسر فـ«يجب أن يعلم أن الكتابة والنحو والعروض والتعريب هي جميعاً في أصل وضعها تيسير لمطلب لم يكن بالتيسير، فتيسير الكتابة بالتقط تارة،

والشكل تارة أخرى أعظم كلفاً وأبعد أمداً مما نتكلفه الآن لتيسير الرّسم والهجاء، وتيسير أشكال الكتابة والطباعة، أمّا النّحو ففي أساسه صناعة تيسير السّليقة...»¹، غير أنّ التّيسير لا يتمّ على غير قاعدة مضبوطة.

لذا فإنّ هذه اللغة العربية هي التي حملت في طيّاتها بذور وحدة الأُمّة العربية الإسلاميّة، فانمّالت عليها المحنّ، وأحاطت بها الخطوب، وتعدّى ساحتها اللّثام، ذلك لأنّها تحمل من لوازم الأصالة والثبات والعراقة، ما يؤهلّها للعالمية، تجلّت في خصائصها المتينة لفظاً وكتابة وعقيدة، ومن أجل ذلك شحذ المستشرقون الغربيّون خناجرهم لقطع هذه اللغة وتشويهها، والسّيطرة على أفكار أبنائها، لأنّهم على يقين تامّ بأنّ وحدة الأُمّة وثبات عقيدتها متوقّف على سلامة اللغة وقوانينها، فانّهم يار اللغة عن طريق نشر اللهجات العامية، أو التّخلي عن الإعراب أو استبدال الحرف العربيّ باللاتيني، فذلك هو مطلب الغزو وبُغيته، وأمّا التزام الأدب للغة الفصحى، واستخدام صورها البليغة، فردّ عمليّ وقويّ على دعاة العامية.

1- العقاد، عباس محمود، أشّات مجتمعات في اللغة والأدب، ص 50.

المبحث الثاني: نفوذ المستشرقين إلى المجامع اللغوية العربية

سعت البلدان العربية إلى تأسيس مجامع لغوية ترعى اللغة العربية، تصونها وتحافظ عليها، تعمل على إعدادها للوفاء بالحاضر، دون التّكبر لماضيها وتراثها العلمي والفكري والأدبي... حتى تتمكّن من التطور الثقافي والحضاري تطوّراً خصباً مثمراً، والمحافظة عليها دون أيّ انحراف، بيد أنّها تفسح للتطور والحركة والنمو، حتى أنشئت هذه المجامع في القرن العشرين.¹

ويعرفها صالح بلعيد - المجامع - بأنّها «مؤسسات لغوية علمية تقوم على خدمة اللغة، وبها جماعة من العلماء، تجتمع للنظر في ترقية اللغة والعلوم والآداب والفنون، ويركّزون اهتمامهم غالباً على الجانب اللغوي والعلمي، وما يجب أن تكون عليه بناء على التراث العربي والعالمي وتزويدها بالمصطلحات الحديثة مسايرة لقضايا العصر»²، اتحدّت فيها جهود العلماء من أجل غرض واحد داخل مؤسسة واحدة، لاختصار الوقت وتنسيق الجهود، ومنهجه الخطى لبلوغ الهدف.

ومع ذلك استطاع المستشرقون الغربيّون بأساليبهم وحيلهم، أن ينالوا ويحوزوا ثقة العرب فتسلّلوا إلى المجامع اللغوية، وتبوأوا فيها المناصب «ولكي نعرف المكانة التي يحتلها علماء الغرب، والثقة التي ينالونها في الشرق، يجب أن نعلم أنّ المجامع العلمية الثلاثة في الشرق الأوسط، أعني: المجمع اللغوي في مصر، والمجمع اللغوي العربي في دمشق، والمجمع اللغوي العراقي في بغداد، لكل

1- ينظر، شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً 1934 - 1984،

2- صالح بلعيد، مقالات لغوية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2004، ص 79.

ذلك عدد وجيه من الأعضاء المستشرقين الذين يستفاد من آرائهم ودراساتهم»¹، وهكذا نجد أن التأثير بالمستشرقين لم يقتصر على الأفراد فحسب، بل جاوزهم ليشمل حتى الهيآت العلميّة في الوطن العربي، ولم يستثن منهم حتى أولئك الذين عُرفوا بعدائهم للإسلام وتعصّبهم ضده.

1 - مجمع العلمي بدمشق:

(1) نشأته: واجهت الحكومة السورية مشكلة عويصة إزاء اللغة العربية وذلك بسبب الحكم العثماني الذي دام أربعة قرون، حجب فيها اللغة العربية عن دوائر الدولة ودواوينها وحتى عن الحياة العامّة، وعند قيام الحكومة العربية سنة 1918م تأسست حركة قومية تدعو إلى نقل قوانين الحكومة وسجلاتها وأنظمتها إلى اللغة العربية، وتألّف الكتب المدرسية بها. ومن أجل ذلك أنشأت الحكومة شعبة سمّتها «شعبة الترجمة والتأليف»، ولم تلبث طويلاً حتى أدمجتها في ديوان المعارف، وفي سنة 1919م حولتها إلى «مجمع علمي عربي» برئاسة «محمد كرد علي» الذي يرجع إليه الفضل في إنشائه.²

(2) أهدافه: جاءت أهدافه على النحو الآتي:

1/ النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوروبية وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة الموضوعات على نمط جديد.

1- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، مقالات بحوث حول الاستشراق والمستشرقين، ص 24.

2- ينظر، شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً 1934 - 1984م، ص 9-10.

2/ جمع الكتب مخطوطة ومطبوعة وتأسيس دار كتب عامة.

3/ جمع الآثار القديمة عربية وغير عربية وتأسيس متحف لها.

4/ إصدار مجلة خاصة بالجمع ينشر فيها أفكاره وأعماله وتكون رابطة بينه وبين المؤسسات

المماثلة.¹

تأسس الجمع بأعضاء عرب خلّص، أثّرت بين أعضائه مسألة قبول عدد من الموضوعات

الاستشرافية بحيث يكون في منتهى كل جزء من المجلة مقالات بالفرنسية، لكن ذلك لم يتم.²

وفي سنة 1920م قرّر الجمع انتخاب المستشرقين الآتية أسماؤهم:

فرنسا: غوستاف لوبون، ماسنيون، غوري، دوسو.

إيطاليا: جويدي جريفي، نلليو، كاياني.

بريطانيا: مارجليوت، براون.

هولندا: هوشيم، سنوك هر.

سويسرا: مونتيه.

اسبانيا: ميكل آسن.

ثمّ تزايد عددهم بعد ذلك، وتنوّعت مهامهم من عامل ومشرف، نصفهم أوروبيون

وأمريكيون، ومن الملاحظ تسرّب بعض الساسة والعسكريين والجامعيين إلى الجمع.³

1- الجبوري، عبد الله، الجمع العلمي العراقي، نشأته، أعضاؤه أعماله، مطبعة العاقي، بغداد، 1385هـ/1965م، ص 26-27.

2- حمدان نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجتمعيون، مكتبة الصديق المملكة العربية السعودية، ط.01، 1408هـ/1988م، ص 140.

3- ينظر، المرجع نفسه، ص.141.

جدول المستشرقين المجمعين في المجمع العلمي العربي بدمشق:¹

المستشرق	حياته	بلده	أعماله - آثاره
1 - آسين بلاسيوس - الأب Asin Palacios	1871 - 1944	اسباني	مجمعي في عدد منها - مثل بلاده في معظم مؤتمرات المستشرقين - رتب حوالي 30 ألف ترجمة للعلماء العرب في الأندلس، تخصص في الفلسفة والتصوف.
2 - أراندوكس Arendenck, C.Von	1881	هولندي	أمين المخطوطات والكتب الشرقية بليدن - أستاذ العربية بجامعةها، دراساته عن الأمامية وجنوب الجزيرة العربية.
3 - أربري. أ. ج. Arberry, A. J.	1905 - 1969	انكليزي	وزير الأنباء (1940 - 44)، مجمعي في عدد منها - رئيس قسم الدراسات الشرقية والإفريقية (1946 - 47).
4 - استروب ج = أويستروب Oestrup. J.E	1867 - 1938	دانمركي	محاضر للغات السامية والحضارة الإسلامية (1796) - له معرفة طوبوغرافية بصحراء سورية، وألف: موجز تاريخ الإسلام (1914) - رحل كثيرا إلى الشرق الأوسط.
5 - أشتولز - كارل A. K.		نمساوي	
6 - باسيه رينه Basset, renet	1855 - 1924	فرنسي	تعمق في الأخلاق والعادات التونسية، رأس مؤتمر المستشرقين في الجزائر (1905) - قنصل في الجزائر - عميد كلية الجزائر، عضو في مجامع عديدة.
7 - براون - ادوارد Browne, E. G.	1862 - 1926	انكليزي	درس الطب انتدب لتدريسه في إيران (1887) اشتهر بجمعه بين الطب والعلوم الطبيعية - عضو في المجمع البريطاني.
8 - بدرسن - جون Pedersen, J	1883	دانمركي	اهتم بالتوراة والإنجيل، له: إسرائيل في مجلدين (1920)، ترجم القرآن إلى الدانمركية - اتصل بعلماء الأزهر - كان في بلاد عربية - عضو في الجمعية الشرقية الألمانية، وجمعية الألسن، وجمعيات أخرى.
9 - بروكلمان - كارل Brockelmann, C.	1868 - 1951	ألماني	أستاذ في جامعات برلين، وهاله وغيرهما وعضو في مجامع برلين وبودابست وغيرهما، وجمعيات أسيوية كثيرة - غزير الإنتاج تحقيا ودراسة.
10 - برتلس Bertels, E. E.	1890 - 1957	روسي	أستاذ الكلية الشرقية بموسكو، له: الصوفية في إيران (1927) والصحافة في أفغانستان (1934)، وفقه اللغة العربية (1955).
11 - بفين B.		انكليزي	
12 - بلاشير ريجي Regis Blachere	1900 - 1970	فرنسي	أستاذ العربية في المدرسة الوطنية بباريس - عضو في أكاديمية النفوس بفرنسا
13 - بوف - لوسيان Bouvat, L.	1942	فرنسي	محرر في مجلة العالم الإسلامي سنوات، له تاريخ البرامكة، الإسلام في إفريقيا السوداء (1907)، الإسلام رسالة وسياسة (1912) الشيوعية والإسلام (1922)...
14 - بوهل Buhl, F.	1850 - 1932	دانمركي	متمكن من العربية، أستاذ للعهد القديم بجامعة كونيهاجن - رحل إلى الشرق وفلسطين
15 - بيارد - دودج Baird, Dodge	1888	أمريكي	رئيس الجامعة الأمريكية ببيروت (1923 - 48) مستشار هيئة الأمم المتحدة لوكالة غوث اللاجئين - محاضر في جامعة برنستون 1951 أستاذ زائر في الجامعة الأمريكية بالقاهرة (1952 - 59)

1- حمدان، نذير، مستشرقون سياسيون - جامعيون - مجمعيون، ص. 161.

16 بيرشم - فان Bercham, Van	1863 - 1921	سويسري	أستاذ اللغات الشرقية في جنيف - طوف في سورية واستخرج آثارها من قلاعها وأبراجها... له: سورية الجنوبية، رحلة إلى سورية، نبذات عن الصليبيين، آثار الباطنية، وخرائط عن مقاطعات سورية ولبنانية.
17 سجب. د. ا. ر. Gibb, Hamilton, AR	1895 - 1971	انكليزي	مولود في الإسكندرية - علم في الاستشراق - مجمي في القاهرة عند تأسيسه - أستاذ بجامعة لندن (1930 - 37) واكسفور (1937) وهارفارد (1955) مدير مركز الدراسات للشرق الأوسط (1962) - غزير الإنتاج.
18 - جيراثيل - فرنسيسكو Gabrieli - F	1904	إيطالي	أستاذ في جامعة رومة - متخصص في الشعر الجاهلي والتاريخ الإسلامي - مجمي في عدد منها - غزير الإنتاج.
19 - جريفي - أوجنيو Griffini, E	1878 - 1925	إيطالي	أمين لإدارة أركان حرب طرابلس (1911 - 13) كلف برسم خرائط المدن والبقاع - مساعد لأمين مكتبة ميلانو - مدير المكتبة بالقاهرة (1920) غزير الإنتاج.
20 جولدزهيير - اغناطيوس Goldziher, Y.	1850 - 1921	مجري	أستاذ بكلية العلوم بجامعة بودابست (1873) انتدبه حكومته للقيام برحلة إلى سورية (1873) ثم رحل إلى فلسطين ومصر والتقى بمحمد عبده وغيره - عضو في مجمع العلوم المجري (1893) ومجامع علمية، حضر مؤتمرات استشرافية - مكتبته تزيد على 40 ألف مجلد، إنتاجه غزير.
21 جويدي - اغناطيوس Guidi Ignazie	1844 - 1935	إيطالي	أستاذ الأدب في الجامعة المصرية (1808) عضو مراسل في مجلس الأعيان برومة - شيخ المستشرقين في اللغات السامية - غزير الإنتاج.
22 - حتى - فيلب Hittl, F	1886	أمريكي	لبناني الأصل تخرج من الجامعة الأمريكية ببيروت - أستاذ تاريخ العرب في الجامعة السابقة، وجامعة برنستون أستاذ للآداب السامية - مجمي في عدد منها.
23 - روسو - رينة (دير) Dussaud, R	1868 - 1958	فرنسي	أستاذ في معهد فرنسا (1905) ومدرسة اللوفر (1910) ومعاون في مجلة تاريخ الأديان - قصد سورية للكشف عن آثار النصرانية وجيل الدروز والصفاء واللحاة - عضو في مجمع الكتابات والآداب الفرنسية - مجمي في عدد منها.
24 - ديدرنغ Dedring, S	1897	سويدي	أستاذ اللغات السامية بجامعة لوند (1937) له: الوافي بالوفيات صلاح الصفدي.
25 - ريتير - هلموت Ritter, H	1892	ألماني	من الأعلام، إشراف على معهد الآثار الألماني باستنبول ثلاثين سنة عميد كلية الآداب في فرانكفورت (1939).
26 - ساخو - ادوارد زاخو Sachau, E.	1845 - 1930	ألماني	أستاذ العربية في ليزيغ - أوفدته الحكومة البروسية إلى سورية والعراق (1879 - 80) أسس معهد اللغات الشرقية ببرلين 1888.
27 - سارطون - جورج Sarton, G	1884 - 1956	أمريكي بلجيكي الأصل	محاضر في الجامعات الأمريكية والأوروبية - وكلية المقاصد والأمريكية ببيروت - زار ومصر - منح ست شهادات دكتوراه فخرية، رئيس الاتحاد الدولي لتاريخ العلوم بباريس.
28 - سترستين Zettersteen, K, V	1866 - 1953	سويدي	أستاذ اللغات السامية في الجامعة أو بسالة إلى سنة 1931، أسهم في عدة معاجم ومجلات - أصبح رئيساً لتحرير مجلة العالم الشرقي - اشترك في مؤتمرات المستشرقين - غزير الإنتاج.
29 - شاخت - جوزيف J. Ssacht	1902 - 1969	ألماني	أستاذ في جامعات ألمانية، والجامعة المصرية (1934) والجزائر (1952)

عضو في مجامع عدة - تخصص في التشريع الإسلامي - غزير الإنتاج.			
محاضر في العبرية بلندن (1920) وأستاذ في جامعات أوروبية والجامعة الأمريكية بيروت (1944 - 145) واستنول رئيس قسم الشرقيين الأوسط والأدنى (1947 - 55).	انكليزي	1888	30 - غليوم - الفرد = جيوم - الفرد Grillame, A
أستاذ بجامعة غرناطة (1929) ومدرّس - مدير المعهد الثقافي العربي الإسباني - طوف بسورية ولبنان - سفير في بغداد ثم لبنان.	اسباني		31 - غومز - اميليو = جوميث Gomez, E اميليو جارثيا
وزير مفوض بالشرق - عضو بالجمعية الآسيوية - اختص بالعربية والجغرافية.	فرنسي	1935 - 1764	32 - فران - جبرائيل Ferrand, G
تخصص في المعاجم وفقه اللغة - انشأ مجلة الدراسات السامية في ليزيج (1932)	ألماني	1949 - 1765	33 - فيشر Fischen, Aug
مدير المكتبة العامة ورئيس لجنة الآثار - أوفدته حكومته إلى الشرق لتعلم العربية، تعرف على أدبائها وعلمائها في بيروت ودمشق وحلب والقدس والقاهرة - محاضر في قسم اللغات الشرقية.	روسي	1951 - 1883	34 - كراتشكوفسكي. أ Kratchkouski, I
عضو في مجمع الروسي وإيران - غزير الإنتاج.	يوغسلافي	1881	35 - كريسكو - يوصا هتنن = Korosco كوروسكو
وفي تحرير صحيفة فلندية (آبو) العاصمة القديمة - علم العربية - يعرف لغات كثيرة - نادرة الإنتاج.	انكليزي ألماني الأصل	1953 - 1872	36 - كرينكون - فريتز Krenkow, F.
من أوائل أساتذة الجامعة المصرية، له: فرنسيو مصر في القرنين السادس عشر والسابع عشر.	فرنسي		37 - كليمان - هوار Clement, H
محاضر لفقه لغات الشرق الإسلامي في جامعة كراكوفيا، عضو مراسل في مجمع العلوم البولوني - رئيس اللجنة الاستشرافية.	بولوني	1948 - 1889	38 - كوفالسكي - ت Kowalski, T
مقيم في شمال إفريقيا، متخصص بدراسة تاريخه ولغاته واتصالاته، متوسط الإنتاج.	فرنسي	1893	39 - كولان - جورج = كولين ColinG, S جورج - سافن
أستاذ مدرسة اللغات الشرقية بباريس قليل الإنتاج في المغربيات.	فرنسي	1893	40 - كولين - جابريل ColinG
مترجم في سفارات دمشق وطرابلس الغرب واستنول والقاهرة - قنصل في حيفا وطرابلس الغرب وأزمير - عضو في الجمعية الآسيوية بالشيوخ يحيى الدبقي في كتاباته.	فرنسي	1928 - 1874	41 - كي. أ = جي آرثور Guy, Arthur
مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة (1941) - استاذ بجامعة ليون (1945) عضو في مجامع عديدة - متوسط الإنتاج.	فرنسي	1905	42 - لاوست - هنري Lause, H
كرسي العربية بكلية الآداب في لشبونة (1911) مجع بلوم لشبونة ومجمع التاريخ بمدريد.	برتغالي	1942 - 1867	43 - لويس - دافيد Lopes, D.
مدير مدرسة تلمسان (1898) درس اللهجات المغربية - من أوائل المستشرقين الأوروبيين.	فرنسي	1956 - 1874	44 - مارسه - وليم Marcais, W
مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة - أستاذ في الجزائر (1916) عضو في مجمع الكتابات والآداب - اختارته اليونسكو في لجنة المستشرقين	فرنسي	1969 - 1886	45 - ماسة - هنري Massé, H
كبير المستشرقين في فرنسا - اشترك في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر بالجزائر 1905.	فرنسي	1962 - 1883	46 - ماسينون - لويس Massig non, L

مستشار وزارة المستعمرات - أقام في القدس وبيروت وحلب ودمشق واستنبول. - تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي (1919) عضو في مجامع عدة ومنها بمصر غزير الإنتاج.			
أسس مدرسة كندي للبعثات (1911) أنشأ مع زعيم مجلة عالم الإسلام (1911) اختص بالإسلاميات.	أمريكي	1863 - 1943	47 - ماكدونالد - د - ب Macdonaald, D, B
مولود في الجزائر - مترجم في المدرسة الحربية السورية (1921) له دراسات متعددة عن سورية.	فرنسي	1873 - 1926	48 - مالنجو - العقيد Malinjoud, C
أستاذ العربية في بودابست، له: دليل القرآن (1881) والتقويم اليهودي (1916).	ألماني	1857 - 1945	49 - مالمير - ادوار Mahler, Ed
	مجري		50 - ماهلر Mahler
من الإعلام - أستاذ العربية في أكسفورد - رئيس تحرير المجلة الملكية الآسيوية - عضو في الجمع اللغوي البريطاني والجمعية الشرقية الألمانية - غزير الإنتاج	انكليزي	1858 - 1940	51 - مرجليوث - د، س Margoliouth, D,S
اختص بالتاريخ الإسلامي له: الوزراء والكتاب: للجهشياري، صفة الأرض: للخوارزمي.	نمساوي تشيك الأصل		52 - موجيك - هانز Muzik, H, Von
استاذ اللغات السامية بجامعة براغ - علم بمدرسة الكتاب المقدسة بالقدس (1895) له رتبة لواء.	تشيك	1868 - 1944	53 - موزال - آلو = موزيل الويز Musil, A
د/ في اللاهوت البروتستانتي من باريس (1883) أستاذ العبرية والعهد القديم في جنيف ثم أضيف إليه العربية وتاريخ الإسلام.	فرنسي سويسري الأصل	1856 - 1927	54 - مونتيه - ادوارد Montet, Ed
أستاذ في معهد اللغات الشرقية (1907) وبرلين (1919) تخصص في فقه اللغة الجبشية والبيئة وجنوب الجزيرة العربية.	ألماني	1867 - 1942	55 - ميتفوخ - أوجين Mittwoch, Eug
مدير البعثة العلمية بطنجة واختص بالمغرب، اسلم وتزوج من مغربية - متوسط الإنتاج	فرنسي		56 - ميشور - بلليز Muchoux, B
أستاذ في جامعة القاهرة للفلك والأدب - عضو الجمع الإيطالي وعدة مجامع ومنها مجمع القاهرة - اشرف على مجلة الدراسات الشرقية فمجلة الشرق الحديث - غزير الإنتاج.	إيطالي	1872 - 1938	57 - فلينو - كارلو Nallino, C,A
أستاذ في جامعة ليزيغ (1918) والعربية في جامعة برلين (1936) عضو في عدة مجامع معهد اللغات الشرقية ببرلين.	ألماني	1881	58 - هارتمان - ريتشارد Hartman, R
مستشار القنصلية ببيروت (1876 - 87) أستاذ السريانية والدراسات الإسلامية بمدرسة اللغات الشرقية ببرلين (1887) انشأ معهد شرقي بسورية (1898 - 1906) عالم الإسلام (1913) ومصر وتركستان أصدر بمعاونة العلماء مجلة.	ألماني	1851 - 1918	59 - هارتمان - مارتن Hartman, M
من علماء الآثار وخاصة في منطقة دجلة والفرات أستاذ الجغرافية التاريخية بجامعة بغداد (1920).	ألماني	1879 - 1948	60 - هرزفيلد - أرنست = Harzfeld, E,E

61 - مس - جان - جاك J. Hess	1866 - 1949	سويسري (فرنسي)	أستاذ الآثار المصرية والآشورية في جامعة فرايبورخ ثم أقام بمصر - أستاذ اللغات الشرقية بجامعة زوريخ.
62 - هوتسام - ت Houtsma, M, T	1851 - 1943	ألماني	كلف بإنشاء والإشراف على دائرة المعارف الإسلامية (1895) عضو في مجامع وجمعيات
63 - هرجرونج سنوك Hurgrony, C		هولندي	مكث لحكومته في جاوة 17 سنة - زار مكة متسماً بعيد الغفار (1884) غادرها قبل موسم الحج - عميد العربية والفقه والأصول والحديث في أوروبا.
64 - هوروفيتش - جوزيف Horvitz, J	1874 - 1931	ألماني	أستاذ العربية في عليكرة (1907 - 14) متخصص بالإسلاميات في الهند - انتقل إلى جامعة فرانكفورت (1915)
65 - هوميل - فريتز Hommel, F	1854 - 1936		علم بالسامية في جامعة ميونخ - متوسط الإنتاج.
66 - هيار Huart, CI	1854 - 1927	فرنسي	قنصل بالمشرق (1897) أمين سر ومترجم بوزارة الخارجية - منتدب بمؤتمر المستشرقين بالجزائر (1905)، وكوينهاجن (1908) قنصل عام (1912) رئيس مجمع الكتابات والآداب الفرنسية 1927، عضو المعهد الفرنسي والجمعية الآسيوية غزير الإنتاج.

محاضرات المستشرقين ما بين 17 نيسان 1921م - 12 نيسان 1946م: ¹

المحاضر	جنسيته	الموضوع	التاريخ
1 - لاووست - هنري Lwusc, H	فرنسي	حياة ابن تيمية وأفكاره	5 آذار 1941م
2 - ماسينون - لوني Massignon, L	فرنسي	وسائل اللغة العربية إلى غايتها الثقافية	14 آذار 1945م

المقالات والبحوث الاستشراقية في ثلاثين جزءاً من سنة 1921 - 1955م: ²

الكتاب	جنسيته	الموضوع	المجلد	التاريخ
1 - آيري Arberry, A.J	انكليزي	جزء من رواية أبي عمر الزاهد غلام ثعلب	14	1949
2 - بيريس - هنري B, H		لغة العربية وسكان الأندلس في القرن الوسطي	19	1944
3 - جبرائيل - ف Gabrieli, Francesco	إيطالي	ديوان الوليد بن يزيد	15	1937
4 - حني - فيليب Hitti, P. K	أمريكي	نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي	5	1925
5 - ديتريش - ألبرت Dietrich, A	ألماني	كتاب الجليس والأنيس للمعافي بن زكريا النهراوي	30	1955
6 - ريتير - ه Ritter, H	ألماني	رسالة ابن سينا	25	1950
7 - شتولز - كارل		اللغة العربية في أفغانستان	30	1955

1- حمدان، نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجتمعيون، ص. 172.

2- المرجع نفسه، ص. 173.

1930	10	درس الآداب العربية	روسي	8 - كراتشكوفسكي Kratchkovski, I
1921	4	نفي أوهم الأوروبيين في صعوبة تعلم اللغة العربية	فلندي	9 - كرسكو - يوحنا أهنتين Korosco, A
1929	9	ترجمة الجاحظ	انكليزي	10 - كرنكو - فريتز Krenkow, Fr
1929	9	صلاح الدين الصفدي	انكليزي	11 - كرنكو - فريتز Krenkow, Fr
1930	10	تصحيفات عربية في معجمات اللغة العربية	إيطالي	12 - نلينو - كارلو Nallino, Carlo, A
1948	23	الأونيسكو - برنامج وآماله		13 - هوكسلي - جوليان
1943	18	كتاب المصايد والمطاردة لكشاجم	ألماني	14 - ولفسون - إسرائيل Wolfensonhn, Y

وبالنظر إلى إنتاج المستشرقين بالمجمع اللغوي الذي انحصر في محاضرتين "لماسيون" و"لاووست" وأربعة عشر مقالا أو تحقيقا جزئيا أو دراسة لمخطوط أو ترجمة مقتضبة موازاة بعددهم فإنه يتبين لنا ضالة إنتاجهم خاصة إذا ما قورن بغزارته خارج المجمع، فهل عقلت عقولهم؟ في الحقيقة هذا أمر طبيعي جدا فكما يقول المثل "إتلك لا تجني من الشوك العنب".

من الأعلام المستشرقين بالمجمع:

أ) بلاشير ريجي **Regis Blanchere (1900 - 1973م)**: ولد في باريس، تحصّل على شهادة ليسانس بجامعة الجزائر سنة 1922م عيّن أستاذ اللغة العربية الفصحى في «المدرسة الوطنية للغات الشرقية» في باريس، واستمر في منصبه حتى 1950م حيث شغل كرسي اللغة والأدب العربيين في السوربون إلى حين تقاعده سنة 1970م¹، إلى جانب عضويته في المجمع العلمي العربي بدمشق، من بين أعماله:

1- ينظر، بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط.03، 1993، ص.127.

ترجمة للقرآن الكريم: ركز في هذه الترجمة على قضيتين هامتين هما: بشرية القرآن،

وتجريدته من المقصد الإعجازي البياني، وهذا ما يذهب إليه معظم المستشرقين في دراساتهم

الإسلامية والقرآنية بأشكال وأساليب مختلفة.

كتاب معضلة محمد ﷺ (Le problème de Mohamed) الذي نلمس

من خلاله مواقف المستشرقين المتجنّية على الرسول عليه الصلاة والسلام فلا تدع شبهة إلا

ألصقتها به، والقول بأن القرآن من صنعه وتأليفه، وهذه الشبهات تتركز أساساً حول الأصول

الإسلامية المتمثلة في الرسالة والرسول¹.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا العضو الجمعي - بلاشير - لم يقدم للمجمع أي بحث أو محاضرة

ما عدا مقال واحد تقديراً منه على التّكريم الذي أحاطه به المجمع².

(ب) جب هاملتون Hamilton Alexander Roskeen Gibb (1895-1971م)

1971م): مستشرق إنجليزي، ولد في مدينة الإسكندرية بمصر، تحصل على درجة الماجستير سنة

1922م بجامعة لندن، وفي 1954م أصبح أحد المشرفين الأوائل على الطبعة الثانية من دائرة

المعارف الإسلامية* وفي 1957م عين مدير المركز دراسات الشرق الأوسط في تلك الجامعة، وفي

سنة 1964م، تقاعد عن التدريس كأستاذ في جامعة هارفرد، لكنه استمر مديراً لذلك المعهد.

1- ينظر، همدان، نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجتمعيون، ص 157.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص 161.

* دائرة المعارف الإسلامية: encyclopedia of islam The، من الموسوعات المشوّهة للإسلام، وتعاليمه، والشّائعة الانتشار لها شبه حجية عند المسلمين، ولها مكانة علمية عند بعض الناس، صدرت بعدة لغات حيّة، ينظر: فاطمة هدى نجما، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، ص 320.

حصل هذا المستشرق في حياته على كثير من ألقاب التشريف التي لا يستحقها علمياً، والواقع أن شهرته تفوق كثيراً قيمته العلمية، وإنتاجه أدنى كثيراً من الشهرة التي حظي بها لأسباب كلها بعيدة عن العلم¹.

وأما عن اتجاهه الفكري فيعتبر «من أبرز المستشرقين المتزمتين، كان يعتقد أن اتحاد المسلمين هو بمثابة لعنة على العالم، وأن بقاءهم مشيتين يجعلهم لا وزن لهم ولا يؤثرون في عجلة السياسة الدولية»² ومع ذلك نجده قد استحق العضوية بالمجمع العربي بدمشق.

وهنا نتساءل، كيف يضم المجمع اللغوي العربي أمثال هؤلاء المستشرقين وهم على ما هم عليه من الضغينة والحقد على الإسلام والمسلمين؟ وهل يرجى منهم النفع في أمورهم أصلاً لا يرضون وقوعها فهم من ألد أعداء الإسلام سواء كان ذلك ظاهراً أو خفياً إلا من رحم ربك والله المستعان.

وأما وجود العدد الكبير من المستشرقين ومن جنسيات مختلفة في المجمع العربي بدمشق، فيفسر بتغلغل الفكر الاستشراقي العلمي في أعلى مؤسسة لغوية بدمشق، فلم يجاري مجمع عربي آخر³، ولا حتى مصر التي استقطبت الثقافة الغربية قبل أي بلد آخر، ومن ثمّ سندي ببعض الملاحظات:

أولاً: تناسب الأعمال والأنشطة الفكرية العليا فقد جمع معظمهم بين الجمعية والجامعة، على نحو: "أراندوك" الهولندي أستاذ العربية بجامعة "ليدن". وكان بعضهم الآخر يجمع بين العضوية في مجمع دمشق والعضوية في جمعيات ومجامع عربية وأجنبية ثانية، منهم "براون" Braun الانجليزي، عضو في المجمع البريطاني، كما تمتع بعضهم بالعضوية في مجامع عربية أخرى، مثل

1- ينظر، بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ص. 174.

2- معالي، منذر، الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، ط. 01، 1418هـ/1997م، ص. 28.

3- ينظر، حمدان، نذير، مستشرقون-سياسيون، جامعيون، مجميون-، ص. 174.

"فيشر" الألماني العضو في مجمع القاهرة، كما جمع أعلامهم العضوية في أكثر من مجمع أو جمعية عبر العالم العربي والغربي، مثل: "فرنشيسكو جبرائيلي" الإيطالي، و"إغناطيوس جولد زهير" المجري¹.

ثانياً: الجمع بين العضوية الجمعية والعمل العسكري والسياسي: فمن السياسيين نجد "ماسنيون" المعروف بعمالته لفرنسا "آبري" الانجليزي الذي أصبح وزيراً للأنباء، و"هورجرونيه" الهولندي الذي خدم الاستعمار الهولندي في أندونيسيا طوال 17 سنة². هؤلاء المستشرقون وأمثالهم لهم دورهم العلمي والدراسي في المجمع التي تسلّوا إليها لتحقيق أغراض سياسية واستشرافية في آن واحد.

أمّا العسكريون فنجد مثلاً: المستشرق الإيطالي "جريفيني-أوجينيو" أمين إدارة أركان حرب طرابلس (1911-1913م) والعقيد الفرنسي: "مالنجو" مترجم في المدرسة الحربية الثورية إبان الاحتلال الفرنسي 1921م، وكذلك اللواء التشيكي "موزيل ألوا"³. ومن ثمّ فإنّ أيّ عمل لأمثال هؤلاء يتّسم بالبعد الفكري المغرض الذي يتجلّى في التعرّف على اللّغات المحلية ورسم الخرائط الطوبوغرافية للبلاد الإسلامية والإحصائيات المختلفة والدراسات حولها.

ثالثاً: مجتمعون مسلمون: وأكثرهم من السياسيين الذين يقتضي عملهم إعلان إسلامهم في ظروف معيّنة، منهم: الهولندي "هورجرونيه" الذي زار مكة قبيل موسم الحجّ وتسمّى بـ: "عبد الغفار"، والانجليزي "فريتز كرينكوف"، اعتنق الإسلام وتسمّى "بمحمد سالم الكرنكوي"، وقد بلغ عددهم في مجمع دمشق حوالي ستين مستشرقاً، منهم من يجيد الفصحى كتابة وحديثاً⁴.

1- ينظر، حمدان، نذير، مستشرقون-سياسيون، جامعيون، مجتمعون-، ص. 174-175.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص. 167-177.

3- ينظر، المرجع نفسه، ص. 176-177.

4- ينظر، المرجع نفسه، ص. 179-180.

2 المجمع العلمي بالقاهرة:

ظلت الدعوة إلى إنشاء مجمع لغويّ تراود الأدباء والعلماء خاصّة مع اشتداد الدّعوات إلى استعمال اللهجات العامية، أو استقبال الوافد الدّخيل من اللّغات الأجنبية، حيث خشي حماة الفصحى أن يصير الأمر فوضى لغوية، تختلط فيها الألفاظ والتراكيب العاميّة والأجنبية - وبخاصّة التركية والأوربية - بالعربية الفصحى حيث تتداخل وتتوالد، فيكثر فيها المهجين من الألفاظ والأساليب كثرة تفصل ماضي الثقافة العربية عن حاضرها. وتجعل الخطر جسيما أثيما على مستقبل ثقافتنا وأمتنا العربية الأصيلة، على أنّهم كانوا حريصين على مواكبة الفصحى للعصر الحديث، والتّعبير عن مستحدثاته، وفتح باب التّعريب والتّوليد بحساب تفرضه ضرورة المعاصرة، وتسمح بالتيسير اللّغوي دون عقوق أو تمرّد على الضّوابط التي تأصّلت في العربية الفصحى¹.

وفي سنة 1932م* تأسّس المجمع باسم "مجمع اللّغة العربية الملكي"، ومركزه القاهرة برئاسة "محمّد توفيق رفعت باشا"، يتألّف من عشرين عضوا عاملا يختارون من غير تقيّد بالجنسية وقد كانت أوّل لجنة عيّنت فيه مؤلّفة من (15) عضوا عربيا ومسلما، وخمسة أعضاء أجانب هم: "جب" بمدرسة لندن للدراسات الشرقية، و"فيشر" بجامعة ليزج، و"نلليينو" بجامعة روما، و"ماسنيون" بجامعة فرنسا، و"فنسك" بجامعة ليدن، ثمّ نصّ المرسوم الثاني بتعيين "ليتمان" الألماني بدلا من "فنسك"².

1- ينظر، التّركزي إبراهيم، التّراث المجمع في خمسة وسبعين عاما، أكمله وراجعته: سميرة صادق شعلان، جمال عبد الحّي أحمد، خالد محمد مصطفى، إشراف، كمال بشر، 1428هـ/2007م، د.ط، ص 01.

* كان ذلك في: 14 من شهر شعبان 1351هـ الموافق ل: 13 ديسمبر 1932م.

2- ينظر، حمدان، نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجميون، ص. 183، للتوسع، ينظر: مجلّة اللّسان العربي، الرّباط، العدد: 01، 1964م، ص 92.

وتقدّر اختيار أعضاء مراسلين وذلك بناء على اقتراح من رئيس المجمع اللّغويّ بدمشق من هؤلاء الأعضاء: (أربري من لندن، جبريلي من روما، لاووست من ليون، ينرج من أوبسالا)، وأعضاء آخرون من أقطار عربيّة¹.

أهدافه: وتركزت أهمّ أهدافه في النقاط الآتية:

أولاً: المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون، ومستحدثات الحضارة المعاصرة.

ثانياً: وضع معجم تاريخي للغة العربية، مع نشر أبحاث دقيقة في تاريخ بعض الكلمات.

ثالثاً: تنظيم دراسة علمية اللهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربيّة.

رابعاً: أن يبحث عن كل ما له شأن في تقدّم اللّغة العربيّة².

وفي سنة 1952م تمّ إنشاء جماعة الدّراسات الشرقية باقتراح من المستشرق "جب" يهدف إلى نشر البحوث الشرقية الممتازة خارج مصر، وتنظيم لجان علمية وفنيّة خاصّة بالدّراسات الشرقية، كما اشترك المجمع المصريّ في الاتّحاد المجمعيّ الدّولي بغرض التعاون الدّولي لتقديم العلوم عن طريق البحوث المشتركة حسب العلوم التي تختصّ بها الجامعات الممثلة في الاتّحاد، وفي سنة 1960م دُعي المجمع للمشاركة في المؤتمر الدّولي الخامس والعشرين للمستشرقين الذي عقد بـ: "موسكو"، صدر فيه قرار رئيس الجمهورية "جمال عبد الناصر" بإنشاء مجمع اللغة العربية المتّحدة يتمّ فيه إدماج مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، والمجمع العربيّ في دمشق، مع بقاء كل منهم باعتباره مجمعا فرعا³.

1- ينظر، حمدان، نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجميون، ص 183.

2- إبراهيم الحاج يوسف، دور مجامع اللغة العربية في التعريب، منشورات كلية الدّعوة الإسلامية، طرابلس، ط 1، 2002، ص 23.

3- ينظر، حمدان، نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجميون، ص 183.

جدول بالمستشرقين المجمعين في مجمع اللغة العربية بالقاهرة:¹

المستشرق	حياته	بلده	أعمال أخرى
1 - أربري Arbery - A.J	1905 - 1969	انكليزي	مجمعي بدمشق - وزير الأنباء (1940 - 44) رئيس قسم الدراسات الشرقية والإفريقية - مجعبي في عدد من المجمع.
2 - بلاشير Blacher, R, L	1900 - 1973	فرنسي	مجمعي بدمشق - جامعي في معهد مولاي يوسف بالرباط - مدير معهد الدراسات بالرباط.
3 - بيرك - جاك Berque.J		فرنسي	أستاذ التاريخ الاجتماعي في الكوليج دي فرانس - عين بالمجمع المصري 1968 مدير البحوث الفنية والتجريبية في مرسى اللبان (1953) ومشرف على الدراسات العربية في بكيفا (1955).
4 - جب - ه - ا - ر Gibb - A.R	1895 - 1971	انكليزي	مجمعي بدمشق - أستاذ بجامعة لندن (1930) واكسفورد (1937) وهارفارد (1955) مدير مركز الدراسات المشرق الأوسط (1962)
5 - جبريل - فرنسيسكو Gabrieli - F	1904	إيطالي	أستاذ في دامة روما - مجعبي بدمشق - متخصص بالشعر الجاهلي والتاريخ الإسلامي - غزير الإنتاج.
6 - جرمانوس عبد الكريم Germanus, J	1884	مصري	مجمعي بدمشق - محاضر في عواصم غربية وإسلامية - اسلم في مسجد دهي الأكبر.
7 - جرومهان - أدولف Grohmann, A		نمساوي ألماني	مجمعي بدمشق - جامعي بالقاهرة (1954) متخصص بأوراق البردي المحفوظة بدار الكتب المصرية.
8 - جوميز - إميليو - جارسيا - غومز - اميليو Gomez, E		اسباني	مجمعي بدمشق - أستاذ بجامعة غرناطة (1929) ومدرسيد، مدير المعهد العربي الأسباني - سفير في بغداد ثم لبنان.
9 - ريتسانو - امبرتو = رتوتانو Rizzitano Umberto		إيطالي	أستاذ الدراسات الإيطالية بجامعة بلرمو بصقلية، عين بالمجمع المصري 1968، وجامعة عين شمس، معظم إنتاجه ترجمات ودراسات لآثار وكتاب حديثين.
10 - فنستك Wensinck - Arent - Jan	1882 - 1939	ألماني هولندي	معجمي - دراساته خطيرة مثل: العقيدة الإسلامية: نشأتها وتطورها التاريخي - اخرج من مجمع القاهرة أثر افترائه على الإسلام.
11 - فيشر Fischer - Aug	1865 - 1949	ألماني	مجمعي بدمشق - متخصص في فن المعاجم وفقه اللغة - أنشأ مجلة الدراسات السامية في ليبزيغ (1932).
12 - لاووست هنري Lause - H	1905	فرنسي	مجمعي بدمشق - مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة (1941) - أستاذ بجامعة ليون (1945).
13 - ليتمان - أنو Littmann - E	1975 - 1958	ألماني	جامعي بمصر وألمانيا والولايات المتحدة - اشترك في بعثات التنقيب إلى سورية وفلسطين والحبيشة - آثاره تزيد على (550) اشترك في تحرير دائرة المعارف - اختص باللغات الشرقية ولاسيما العربية ولهجاتها.
14 - كونتز - شارل ²		فرنسي	
15 - ماسينون لويس Massignon, L	1883 - 1962	فرنسي	مجمعي بدمشق - كبير المستشرقين في فرنسا - مستشار بوزارة المستعمرات - تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي (1919) في القاهرة.
16 - نيلو - كارل Nallino-C-A	1972 - 1938	إيطالي	مجمعي بدمشق - جامعي بالقاهرة - مجعبي بإيطاليا - اشرف على مجلة الدراسات الشرقية - فمجلة الشرق الحديث.
17 - نيلو - ماريا Nallino, Maria	1907	إيطالية	ابنة كارل نيلو - تابعت كتابة أبيها عن الحياة الدينية والثقافية بالمملكة العربية السعودية (1939) وخلفت أباه في مجلة الشرق الحديث.

1- حمدان، نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجعبيون، ص 211-214.

1) كارلو ألفونسو نلينو: Carlo Alfonso Nallino (1872-1938م): مستشرق

إيطالي تخرّج من جامعة "تورينو"، وتنوّعت علومه بين الجغرافيا، والأدب، والفلك والتاريخ، والفلسفة، والفقه واللّهجات، منحه وزارة المعارف الإيطالية مكافأة دراسية لكي يدرس في القاهرة، فجاءها في ديسمبر 1893م، وساعدته قوّة ملاحظته في فهم أحوال مصر خصوصا والشرق والإسلام على وجه العموم، حيث أصدر كتابا عنوانه «اللغة العربية في لهجتها المصرية» حتى يدرس الإيطاليّ اللغة العربية بواسطته¹.

انتخب عضوا في مجامع عدّة منها: المجمع العلمي الإيطاليّ، والمجمع العلميّ العربي بدمشق (1920م)، والمجمع اللّغوي بالقاهرة (1932م)، كما تولّى الإشراف على مجلّة الدّراسات الشرقية، ثمّ مجلّة الشرق الحديث، من آثاره: تاريخ الأدب العربيّ (1915-1917م) الفلسفة الشرقية أو الإشرافية لابن سينا (1923-1925م)، وكتب في دائرة المعارف الإسلاميّة عن: ابن رشد، ابن جابر، الغزالي، الإباضية²...

عرف "نلينو" بمهامه السيّاسة الاستعمارية، فبعد غزو إيطاليا لطرابلس لجأت إليه وزارة المستعمرات لتستعين بخبرته العميقة بالعالم الإسلامي، أمّا زيارته للمملكة العربية السعودية فقد نتج عنها كتابه القسم الأوّل من النّظام السيّاسي والإداري، والقضائي في المملكة، ما يكشف عن انتمائه السيّاسي والعسكري³.

وساهم في الدّعوة إلى العاميّة في كتابه "نحو اللّغة المغربية العربية مع استعمالات اللغة العامية"، كما ألّف في اللّهجة المصرية "اللغة العربية في لهجاتها المصرية"، ولعلّ دراسة "نلينو" لأحوال

1- ينظر، بدوي، عبد الرّحمان، موسوعة المستشرقين، ص 585.

2- ينظر، حمدان، نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجتمعيون، ص 186.

3- ينظر، المرجع نفسه، ص 190.

الشعب المصري عن طريق دراسة لهجته كان تمهيدا لأطماع استعمارية إيطالية في إفريقيا العربية التي تحققت في ما بعد في غزو ليبيا¹.

(2) فنسك Arent Jan Wensinck (1882-1939): مستشرق هولندي، من ألد أعداء الإسلام ونيه، انتخب عضوا بالمجمع اللغوي المصري، ثم أخرج منه على إثر أزمة أثارها الدكتور الطيب "حسين الهواري" مؤلف كتاب (المستشرقون والإسلام)، صدر سنة 1936م، وذلك بعد نشر فنسك آراءه في القرآن والرسول حيث ادعى أن الرسول ﷺ ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التي سبقته².

(3) لويس ماسنيون Louis Massignon (1883-1962): يعد "ماسنيون" من أكبر مستشرقي فرنسا المعاصرين، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر، زار البلاد الإسلامية مرّات عديدة، وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى، انتخب عضوا في الجمعيتين: المصري والسوري، تخصص في الفلسفة والتصوّف الإسلامي، من أهم آثاره "الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام"، صدر عام 1922م، وهو من كبار محرري "دائرة المعارف الإسلامية"³.

وكان "ماسنيون" من أخطر الدعاة إلى الحروف اللاتينية واتخاذها أداة لكتابة اللغة العربية كما دعا كذلك إلى "إهمال الإعراب"، زاعما أن ذلك ييسر تعليم اللغة العربية على الأجانب، ودعا رجال المجمع العلمي بدمشق إلى اتخاذه وسيلة التجديد، وكرّر دعوته في أندية الشباب العربي في باريس لكن دعوته لاقت رفضا قاطعا وردّا عنيفا⁴.

1- ينظر، حمدان، نذير، مستشرقون - سياسيون، جامعيون، مجميون-، ص. 191-193.

2- ينظر، السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون (ماهم وما عليهم)، دار الوراق، د.ط، د.ت، ص. 45.

3- المرجع نفسه، ص. 45.

4- ينظر، الجندي أنور، التبشير والاستشراق والدّعوات الهدامة، دار الأنصار، القاهرة، المجلد: 05، د.ط، د.ت، ص. 182.

ومن ثمّ فإنّ هذا المجمع اللّغوي أيضاً شمل مستشرقين لهم خلفيات سياسية استعمارية تنبؤ عن أغراضهم الخفيّة الكامنة وراء تغلغلهم في هذه الهيآت العلمية.

3 المجمع العلمي العراقي:

بدأت فكرة تأسيس المجمع عام 1921م، باسم «لجنة الترجمة والتعريب» برعاية وزارة المعارف، مهمّتها: تعريب الكلمات الأجنبية ووضع مصطلحات لها، وفي سنة 1945م أنشأت "لجنة التّأليف والنّشر" التي عجزت عن القيام بالأعمال الكثيرة المنوطة بها، نظراً لتوسّع نطاق عملها، وبالتالي ألغيت وقام مقامها «المجمع العلميّ العراقي» وذلك سنة 1947م¹.

أهدافه: تمثّلت في النّقاط الآتية:

✓ العناية بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشؤون الحياة الحاضرة.

✓ البحث والتّأليف في آداب اللغة العربية وفي تاريخ العرب والعراقيين ولغاتهم وعلومهم وحضارتهم.

✓ دراسة علاقات الشعوب الإسلامية بنشر الثقافة العربية.

✓ حفظ المخطوطات والوثائق العربية النّادرة وإحيائها بالطّبع والنّشر على أحدث الطّرق العلمية.

✓ البحث في العلوم والفنون الحديثة وتشجيع التّرجمة والتّأليف وبثّ الرّوح العلمية في البلاد².

أصدر المجمع مجلدات ضخمة من مجلته، من اثني عشر جزءاً بدءاً من عام 1950م حتى إلغائه 1963م، أمّا موضوعات المستشرقين المراسلين فكانت محدّدة، منها الإسلامية والعلمية

1- ينظر، إبراهيم الحاج يوسف، دور مجامع اللغة العربية في التعريب، ص. 26-27.

2- الجبوري، عبد الله، المجمع العلمي العراقي، نشأته، أعضاؤه، أعماله، ص. 37.

والاجتماعية والأدبية، نشرت ضمن أعداد المجلة¹، والجدير بالذكر هو قلّة المستشرقين في هذا المجمع. وفي ما يلي جدول بمحاضراتهم:²

عنوان المحاضرة	المحاضر	تاريخ إلقائها
1 الشعر العربي	الفردجيوم	1948/12/22
2 - دراسة الشريعة في انكلترا والاتجاهات الفقهية الحديثة	ج. اندرسن	1950/02/20
3 - خطط البصرة	ماسينون	1951/12/17
4 - خطورة موقفنا الفاصل في تاريخ العالم (بالإنكليزية)	ايلسون	1952/10/31
5 - ملحمة كلكتاش قصة البحث عن الحياة الأبدية	هايدل	1954/03/27
6 العلوم والهندسة الحرّة (بالإنكليزية)	ايرل بنتك	1956/12/20

من أعلامه المستشرقين:

1) عبد الكريم جرمانوس J.GERMANUS (1884-1979): مستشرق مجري، ولد في "بودابست"، تعلّم اللّغات الغربية، وأتقن العربية والتركية، صنّف كتابا بالألمانية عن الأدب العثماني 1906م، وفي سنة 1912م عيّن أستاذا للغات العربية والتركية والفارسية، وتاريخ الإسلام وثقافته في المدرسة العليا الشرقية، وظلّ يدرّس اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية، والأدب العربي قديمه وحديثه، حتّى أحيل إلى التقاعد سنة 1965م³.

دعاه "طاغور" إلى الهند أستاذا للتاريخ الإسلاميّ، وهناك أعلن إسلامه في مسجد "دهلي الأكبر"، وألقى خطبة الجمعة، وتسمّى بـ "عبد الكريم".

1- ينظر، حمدان، نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجميون، ص. 227.

2- المرجع نفسه، ص. 228.

3- ينظر: العقيلي نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ج. 03، ط. 4، د. ت، ص. 46.

قدم إلى القاهرة وتعمّق في دراسة الإسلام على شيوخ الأزهر، ثم قصد مكة حاجًا، وزار قبر الرسول ﷺ، وصنّف في حجّته كتابه "الله أكبر" الذي ترجم لعدّة لغات¹.

انتخب عضواً في المجمع الإيطالي 1952م، ومراسلاً للمجمع م عين، اللغوي بالقاهرة سنة 1965م، والعلمي العراقي سنة 1962م، من آثاره: التيارات الحديثة في الإسلام، نحو أنوار الشرق منتخب شعراء العرب 1961م، نخضة الثقافة العربية 1944م².

2) ألفرد جيوم: A. Guillaume (1888-1962): مستشرق إنجليزي، تخرّج من جامعة أكسفورد، عيّن أستاذاً للغة العربية، ورئيس قسم الشرقيين 1947م انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق 1948م والعراقي 1949م³.

نلمس من خلال آثاره ميله الشديد إلى اليهود واليهودية، مثل: أثر اليهودية في الإسلام 1927م، اليهود والعرب 1946م، كما نلمح له روح التعصّب ضدّ الإسلام من خلال روحه التبشيرية التي شاعت في معظم دراساته، من كتبه الخطيرة: حياة محمّد 1956م، والإسلام 1954م، اللذان يقومان على فكرة أخذ الرسول ﷺ من التوراة والإنجيل عند تأليفه القرآن⁴.

سيطرت اليهودية على فكر "جيوم" فلم يستطع الانفكاك منها في أيّ نتاج له، فجاء بفكرة أنّ الإسلام لا يصلح إلّا لعهد النبي محمّد ﷺ، فهو القائل: «كل مسلم يعلم أنّ كثيراً من القرآن جاء للوجود كي يلتقي مع بعض أزمات أو لأحوال مؤقتة في حياة محمّد»⁵. وإذا كان كذلك فإنّ محمداً ﷺ لم يكن نبياً إلا على عرب الجاهلية الذين عاصروه، متجاهلاً بذلك عالمية الإسلام ودوام الرّسالة.

1- ينظر: العقيلي، نجيب، المستشرقون، ج. 03، ص. 46.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص. 46.

3- ينظر، العقيلي، نجيب، المستشرقون، ج. 2، دار المعارف، القاهرة، ط. 05، 2006م، ص. 117.

4- ينظر، حمدان، نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجتمعيون، ص. 123 وأيضاً، فاطمة هدى نجا، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، ص. 314.

5- حمدان، نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجتمعيون، ص. 234.

تعقيب:

إذا كان مفهوم المسلمين للغة العربية «أنها لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم، فاللغة العربية هي لغة العرب وهي لغة الإسلام نفسه، وقد كانت معجزة القرآن أن جميع الأمم التي تتكلم العربية وتفكر بما تجمعها وحدة فكر وتربطها آصرة إيمان واحد»¹ فاللغة العربية سلاح من أقوى الأسلحة النفسية للسيطرة على أفكار المسلمين ذلك أن «التفرقة بين الإسلام والعروبة ومحاولة معارضة لطبائع الأشياء ،ذلك أن العروبة تشكّلت في إطار الإسلام وصلتها به صلة جذرية وعضوية معا»²، فالإسلام هو المكوّن الحقيقي للعقلية العربية الإسلامية ومزاجها. وإذا كانت أهداف المجامع وأغراضها تتجلى في "المحافظة على سلامة اللغة العربية، والحرص المنطقي على وفائها بمطالب العلوم والفنون في تقديمها لحاجيات العصر الحديث، وإحياء التراث العربي في العلوم والفنون والآداب وتوحيد المصطلحات في اللغة العربية، والبحث في كل ما له شأن في تقدّم اللغة العربية"³. فكيف يسمح القائمون عليها بانضمام المستشرقين إليها وتوغلهم فيها؟

هذا ما أنكره البشير الإبراهيمي على مجمع اللغة العربية بالقاهرة وذلك في كلمة ألقاها بمناسبة تنصيب أحد عشر عضوا جديدا بتاريخ 12 مارس 1962م حيث قال: «وأشدّ ما كنّا ننكر من أعماله (يقصد المجمع) استعانتته بالمستشرقين في شأن هو من خصائص الأمة العربية»⁴ فهو يرى أنّه إذا كان على العرب أن يتغاضوا عن بعض نقائص المجمع وسلبياته، كالبطء والتثاقل في السير، وعدم التعجيل بنشر ثمراته إلى الأمة في مجلته، وأن يتساهلوا ويتسامحوا معه لكونه ف

1- الجندي، أنور، أحاديث إلى الشباب (عن العقيدة والنفس والحياة) في ضوء الإسلام، دراسات في الإسلام، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الدينية، العدد: 165، 1394هـ/1974م، ص 119.

2- المرجع نفسه، ص 75.

3- مجلّة اللسان العربي، الرّباط، العدد. 01، صقر 1384هـ-، 1964م، ص 92.

4- الإبراهيمي، محمد البشير، آثار الإمام، جمع وتقديم: الإبراهيمي أحمد طالب، ج. 05، (1954-1964) دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 1997، ص 293.

النشأة، فإنه من العار أن يغضوا الطرف عن تسلل المستشرقين إليه فيصرّح قائلاً: «إلا شيئاً واحداً ما كنّا نقبل فيه عذراً ولا نتسامح فيه فتيلاً، وهو مسألة الاستعانة بالمستشرقين، ولقد كنّا نستسيغ الاستعانة بالأجنبيّ في بناء سدّ، أو مدّ سكة، أو تخطيط مدينة، ممّا سبقنا إليها الأجانب وبرعوا فيه، أمّا الاستعانة بهم في شأن يخصّنا كاللغة فلا...!! ومتى رأينا مستشرقاً بلغ في العربية وفهم أسرارها ودقائقها ومجازاتها وكناياتها ومضارب أمثالها ما يبلغه العربيّ في ذلك كلّهُ؟... على أن بعض أولئك المستشرقين الذين كانوا أعضاء بهذا الجمع، كانوا مستشارين في وزارات خارجية في بلدانهم، وهذا قاذح آخر يضاف إلى قاذح قصورهم في اللغة العربية»¹.

ونحن نرى أن ما قاله "الإبراهيمي" في مجمع القاهرة ينطبق تماماً على المجمعين الآخرين السّوري والعراقي، فكيف يرجى المحافظة على اللغة العربية والقيام بها نحو التقدم والازدهار من غربيّ أجنبيّ طالما عمل على هدم أسسها ونقض علومها، خاصّة إذا كان من السّياسيين أو العسكريّين؟ وحتى على اعتبار إسلام بعضهم، فهذا لا يؤهّلهم لمثل هذه المطالب التي تحتاج إلى عرب أقحاح مبحرين في فهم اللغة العربية، موغلين في علومها، غيورين عليها، مالكين لناصريتها، محبّين لها مخلصين، لا يتغنون من وراء ذلك جزاء ولا شكوراً.

ولسدّ تأثير الفكر الاستشراقي الهدّام، لزم علينا إيلاء لغتنا التي تمثّل هويّتنا، ومجدنا وعنوان أصالتنا، كل الاهتمام والرّعاية والعناية، فنحيا بها، ونحافظ عليها، درّة نفيسة عزيزة، حتى نتمكن من التصديّ لكل وسائل التشويش والتغريب.

وهذا ما ذهب إليه مصطفى صادق الرّافعي حينما قال: «إذا كانت اللغة بهذه المترلة، وكانت أمّتها حريصة عليها، ناهضة بها، متّسعة فيها، مكبرة شأنها، فما يأتي ذلك إلّا من روح التسلّط في شعبها، المطابقة بين طبيعته وعمل طبيعته، وكونه سيّد أمره، ومحقق وجوده، ومستعمل قوّته

1- الإبراهيمي، محمد البشير، آثار الإمام، ج.5، ص 293.

والآخذ بحقه»¹ فإيماننا بقوة لغتنا، وعظمة مكانتها، وأن تقدّمها لا بدّ أن يكون بأيدي أبنائها، بمنحها رفعة وسيادة وقوّة، لا تنقضي ولا تندثر عبر العصور، حيث يضيف الرّافعي «أمّا إذا قويت العصبية، وعزّت اللغة، وثارت لها الحمية، فلن تكون اللّغات الأجنبية إلّا خادمة يرتفق بها، ويرجع شبر الأجنبي مترا لا شبرا... وتكون تلك العصبية للغة القومية مادّة وعونا لكلّ ما هو قوميّ، فيصبح كلّ شيء أجنبيّ قد خضع لقوّة قاهرة غالبية، هي قوّة الإيمان بالمجد الوطني واستقلال الوطن، ومتى تعيّن الأوّل أنّه الأوّل، فكل قوى الوجود لا تجعل الذي بعده شيئا إلّا أنّه الثاني»²، ولا حجة لنا أن نترك الغربيين يقومون على حماية لغتنا.

ذلك لأنّ العربيّ الغيور على لغته كالمرباط في سبيل الله، فهو ليس مطالبا بحماية لسانه فقط، بل «مطالب بحماية العالم من خسارة فادحة تصيبه بما يصيب هذه الأداة العالمية من أدوات المنطق الإنساني، بعد أن بلغت مبلغها الرّفع من التطوّر والكمال، وأنّ بيت القصيد هنا أعظم من القصيد كلّ... لأنّ السّهم في هذه الرّمية يسدّد إلى القلب ولا يقف عند الفم واللسان، وما ينطقان به في كلام منظوم أو منشور»³ فاللغة هي القلب النّابض بالحياة، وصلاح الأمتّة في صلاحها، وفقدانها - اللغة - يعني ذوبان الأمتّة، وضياح أصالتها، وتغييب هويّتها.

وخلاصة القول، فما من شكّ في أنّ تماسك الأمتّة في تماسك ووحدة لغتها، لذا وجب على أبنائها - لا أبناء الغرب - المحافظة عليها وعلى سيرورتها وانتشارها، فصيحة في جميع مناحي الحياة، وأن يدافعوا عنها، ويدودوا عن حياضها، فالمدافع عن لغته، مدافع عن أصله، وروحه، وكيانه. كما وجب الحذر أيضا على لغتنا هذه من الدّخلاء عليها.

1- الرّافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، ج. 03، ص 29.

2- المرجع نفسه، ص 30.

3- العقّاد، عباس محمود، اللغة الشاعرة، ص 06.

المبحث الثالث: أبعاد الحركة الاستشرافية

أشرقت شمس الإسلام، وانبج نور الحق، واكتست الأمة العربية ثوب الوقار، تستمد قوتها من الدين الخفيف، تنشر الهداية وتنشد السلام في ربوع العالم الفسيح. كما قال الشاعر حسّان بن ثابت:

نُورُ أَضَاءَ عَلَى الْبَرِّيَّةِ كُلِّهَا .: مَن يَهْدِ لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْدِ¹ .

وتدل كلمة (من) الشرطية على عموم الرسالة الحمديدية، فكل من يتبع الرسول ﷺ

سيهتدي طريق الصواب، قال تعالى: قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ^{١٥} قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ^{١٥} يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^{١٦} ﴿ (المائدة 16/15)

إذن فقد خرجت الأمة العربية برسالتها الدينية والخلقية إلى هذا العالم فأنشأت «جيلا جديدا

يعيش لفكرة ويعمل لغاية، ويكافح في سبيل عقيدة، يعطي ولا يأخذ، يؤثر البذل والتضحية في

سبيل الله وابتغاء مرضاته، وينصرف عن مطامح الدنيا وأهوائها، ويتميز في المجتمع بذوق

خاص، وحكم خاص، وفلسفة ربّانية، فقد وضعت الدعوة الإسلامية الهدف المستنير أمام النفوس

1- بن ثابت، حسّان، ديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.2، 1414هـ/1994م، ص 65.

المشرقة»¹، فهذا الدين القويم أقام أخلاق العرب على الرجولة، هذب حضارتهم، ووحّد صفوفهم فكانوا بذلك الأمة المصطفاة التي اختارها المولى لتبليغ الرسالة.

وذلك أنّ العرب «كانوا بالإسلام ولم يكونوا بدونه فهو الذي صنعهم وهو الذي شرفهم بحمل لواء الدعوة الإسلامية وكرّم لغتهم بترول القرآن الكريم بها»² تلك اللغة التي وحدت العرب والمسلمين يتلون بها آيات الله ويتذاكرون علوم كتابه.

كانت دهشة الغرب حيال لغة العرب كبيرة جدًّا، تعجزهم بلاغتها ويذهلهم انتشارها يقول غوستاف لوبون (Gustave Le Bon): «فمع أنّ الفاتحين * الذين ظهروا قبل العرب لم يستطيعوا أن يفرضوا على الأمم المغلوبة لغاتهم، قدر العرب بالعكس على فرض لغتهم عليهم، ولما صارت اللغة العربية عامّة في جميع البلاد.. حلّت محلّ ما كان فيها من اللّغات... وكان للغة العرب مثل ذلك زمنًا طويلًا»³، فهي تثبت دائماً وعلى مرّ العصور أنّها صالحة لكلّ زمان ومكان.

ولكن «ما جهله المؤرّخون من حلم العرب الفاتحين وتسامحهم كان من الأسباب السريعة في اتّساع فتوحهم، وفي سهولة اعتناق كثير من الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم التي رسخت وقاومت جميع الغارات»⁴، وبقيت قائمة حتّى بعد توارى سلطان العرب، فلم تضعف ولم تخور بل صمدت، أمام كلّ محاولات التّغريب، ما أدّى إلى ضرورة دراستهم الإسلام ولغته فقد: «أصبح

1- الجندي، أنور، الإسلام في عين الخطر، مركز الإسلام العربيّ، ط.1، 1434هـ/2013م، ص221.

2- الجندي، أنور، عطاء الإسلام الحضاري، دعوة الحقّ، رجب 1416هـ/العدد، 163، السّنة الرابعة عشر، ص100.

* أمّا تحت فنطلق مصطلح الفاتحين على الفتوحات الإسلامية فحسب.

3- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص456.

4- المرجع نفسه، ص14.

الإسلام واللغة العربية موضع عناية بصورة مباشرة وأساسية لبعض اهتمامات الفكر العلميّ

الأوروبيّ¹ كي يفهموا فكر العرب الذي أوصلهم إلى هذه المكانة.

غير أنّ هذا الاهتمام الأوروبيّ بالإسلام واللغة العربية لم يكن بريئاً، ف«تشويه صورة

الإسلام بين الأوروبيين كان ضرورياً لتعويضهم عن الشعور بالتخلف»² حتّى يذنبوا عقدة الشعور

بالتقص، والالتفاف على المسلمين الذين طالما اعتبروهم العدوّ اللدود لهم حسداً من عند أنفسهم

من بعد ما تبين لهم الحقّ، حيث يقول غوستاف لوبون «والحقّ أنّ أتباع محمّد ظلّوا أشدّ من عرفته

أوربة من الأعداء إرهاباً عدّة قرون، وأنّهم عندما كانوا لا يربحوننا بأسلحتهم، كما في زمن شارل

مارتن والحروب الصليبيّة، أو يهدّدون أوربة بعد فتح القسطنطينية، كانوا يُدّلّوننا بأفضلية حضارتهم

السّاحقة وأنّنا لم نتحرّر من نفوذهم إلّا بالأمس»³ فشّتان بين حضارة العرب الرّائدة في ذلك

الزّمان، وحضارة الغرب التي كانت في الحضيض في أسفل سافلين، وكما يقول حسّان بن ثابت:⁴

وَهَلْ يَسْنُوِي ضَلَالِ قَوْمٍ تَسْفَهُوا .: عَمَى وَهَذَاةٌ يَهْدُونُ بِمُهْنَدِ

ترسّخت جذور الحقد والكراهة للغرب تجاه الإسلام والمسلمين حتّى «إنّ المستشرقين ليفقدون

أعصابهم وينسون مقامهم العلميّ وترتج نفوسهم وتضطرب قلوبهم حينما يشغلون أنفسهم

بالبحوث الإسلاميّة، وأحقّاد العصور التي ملأت الصّدور، وأمّلت عليهم هذا الحقد والغیظ الذي

1- جوراني ألبرت، الإسلام في الفكر الأوروبي، الأهلّة للنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، ص37.

2- الوزان، عدنان، موقف المستشرقين من القرآن الكريم، ص05.

3- لوبون غوستاف، حضارة العرب، ص600.

4- بن ثابت، حسّان، ديوان، ص60.

لم يستطيعوا كظمه في كلّ حالاتهم»¹ فمؤامرتهم تحاك للإسلام جيلا بعد جيل لحجب نوره، وإطفاء شعلته، وتوهين قوّته من أجل الحدّ من توسّعه.

وهذا لسان حالهم يقول: «إنّ مهمّتهم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها»²، حتى أنّ "إتين دينيه" في كتاب له عن السيرة النبوية يتساءل: «ليت شعري ما عسى أن يكون منشأ البغض الذي يضمّره المسيحيون (الغريون) للإسلام»³، وكأّتهم في ثأر شديد العنف، فهدف الحملة التّغريبية الأساسي هو القضاء على مفهوم الإسلام من حيث كونه إسلاما بوصفه ديناً، ومنهج حياة، ونظام مجتمع، ودستور أمّة لضرب العالم الإسلاميّ والإجهاز عليه جملة واحدة.

وحتى بعد ضعف المسلمين وتواري حكمهم بقيت لغتهم عنوان تراثهم وثقافتهم تشكّل غصّة في حلق الغرب «ولما أخذت فضائل الصّحراء تضعف، توقفت الحضارة العربية عن النّمو، ولكنها تركت شيئا وراءها هو اللغة العربية، أشرف إرث تركوه، هذه اللغة ليست إرث العرب وحدهم، بل هي رابط للتّفاعل بين الشعوب لم يكن له من قبل مثيل»⁴، فهي لا تزال تشكّل خطرا على الغرب، تمثّل وحدة المسلمين التي تؤرّقهم ف «صحيح أنّ الوحدة الإسلامية نائمة، ولكن يجب

1- أحمد نصري، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، ص404.

2- حسين علي أحمد، وسائل الغزو الفكري الاستشراقي في دراسة التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل، كلية العلوم الإسلامية، قسم الشريعة، مجلة جامعة تكريت، المجلد، 19، العدد، 04، نيسان، ص404.

3- طعيمة صابر، أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي، بحوث حول العقائد الوافدة، عالم الكتب، د.ط، ص99.

4- جواربي ألبرت، الإسلام في الفكر الإسلامي، ص35.

أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ»¹. فالإسلام قوّة لا يمكن الاستهانة بها رغم كيد الكائدين ومكر الماكرين.

أدرك أعداء الإسلام قيمة اللسان، ومدى تأثيره على الأمة الناطقة به، وأن «أحكم عروة كانت تربط العالم الإسلامي، على اختلاف ألسنته وأجناسه في قارتي آسيا وإفريقيا، هي لغة العرب التي بها نزل القرآن»². هذه اللغة التي حالت بينهم وبين تحقيق مقاصدهم ومآربهم لذا وجّهوا إليها ضربات عنيفة في صورة غزو جديد هو الغزو الثقافي.

أكّدت هذه الحملات المسعورة الشّرسة التي تشن ضدّ اللغة العربية النوايا الخفية التي يبيّنها الاستشراق، فهذه الحرب ليست على اللغة ذاتها من حيث كونها لغة، وإنّما هي حملة ضدّ الإسلام والمسلمين، لتمزيق وحدتهم، وشلّ حركتهم، وتعطيل فكرهم، وبدا جلياً أن الدور التخريبي الذي يقوم به المستشرقون الذي صار بيّناً للعيان باعتراف من المستشرق "ماسينون" (Massignon) الذي صرّح «لم نبحت في الشرق إلّا عن منفعتنا، لقد دمّرنا كل ما هو خاص بهم، وقد دمّرنا فلسفتهم ولغاتهم وأديبهم»³، فهدفهم إذن هو حجب الصّورة المشرقة للإسلام عن نظر العالم.

لقد تآزروا لتدمير لغة القرآن، لغة الإسلام والبيان، هدفهم القضاء على المسلمين فكراً وحضارة وتاريخاً، رغم أنّهم شهدوا لها بخصائصها الفريدة: «فلغة القرآن تعرض-من حيث هي أثر لغويّ- صورة فذة لا يُدانيها أثر لغوي في العربية على الإطلاق، ففي القرآن ولأوّل مرّة في

1- خليل، عماد الدّين، نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله، دار النفائس، لبنان، ط.1، 1420هـ/1999م، ص25.

2- شاكر، محمود، أباطيل وأسمار، ص 2004.

3- عللوه، محمد، الغزو الفكري والرّد على افتراءات المستشرقين، دار الأقصى، دمشق، ط.1، 2002، ص119.

تاريخ اللغة العربية يُكشف الستار عن عالم فكريّ تحت شعار التّوحيد لا تعد لغة الكهنة والعرفان

الفرقيّ المسجوعة إلّا نموذجاً واهياً من حيث وسائل الأسلوب ومسالك المجاز في اللفظ

والدّلالة»¹، فهم على ثقة تامّة من فاعليتها ودورها الأساسي في تكوين العالم الإسلاميّ.

جاء في رسالة بعث بها "شكيب أرسلان" * أمير البيان العربيّ إلى مصطفى صادق الرافعي

«كلّا أيّها الأخ، إنّ هذه الفئة لا تمجّ الفصاحة من حيث هي، ولا تحارب اللغة العربية نفسها،

لكنّها تحارب منها القرآن، إنّ هذه الفئة تحارب القرآن والحديث وجميع الآثار الإسلاميّة وتريد أن

تبدّل بها كلام الجاهليّين ومن كلام الفصحاء، حتى المخضرمين والمواليد، وكلّ كلام لا يكون فيه

مسحة دينية»، ثمّ يضيف «حتى إذا تمّ لهم ما يبتغون من غصن مكانة القرآن في صدور النّاس

يكونون قد طعنوا الإسلام طعنة سياسية في أحشائه على حين يزعمون، أنّ الموضوع لغويّ لا

دخل له بالسياسة» إلى أن يقول: «إنّ هي إلّا حلقة لغوية من سلسلة دسائس مقصود بها الإسلام،

لا القرآن من حيث كونه قرآناً، ولا الفصاحة من حيث كونها فصاحة»².

ذلك لأنّ قوّة الإسلام كامنة في طبيعته، في بساطته ووضوحه وشموله، عزيز باستعلائه عن

العبودية للعباد، بالعبوديّة لله ربّ العباد، ومن ثمّ فإنّه ضامن للنّصر طالما عمر الإسلام القلب

والضمير، وحتى وإن وقعت الهزيمة الظّاهرة في بعض الأحيان، من أجل كلّ هذا «يحاربه أعداؤه

1- عللوه، محمد، الغزو الفكري والرّد على افتراءات المستشرقين، ص120.

* شكيب أرسلان (1869-1946)، كاتب وأديب ومفكّر عربيّ لبنانيّ اشتهر بلقب أمير البيان لغزارة كتاباته، من أشهر كتبه: لماذا تأخر المسلمون وتقدّم غيرهم؟ عروة الاتّحاد، حاضر العالم الإسلاميّ، تاريخ غزوات العرب.

2- ينظر الطويل، السيّد رزق، اللسان العربيّ والإسلام معاً في معركة المواجهة، ص(43/42).

لأنّه يقف حجر عثرة أمام مخطّطاتهم، يعوّقهم عن أهدافهم الاستعمارية الاستغلالية، كما يُعوّقهم عن الطّغيان والتّأله في الأرض فيطلقون عليه حملات التّشويه، والخداع والتّضليل»¹، فهم يزعمون أنّ «مصلحة الجنس البشري تقتضي تطهير!! الأرض من المسلمين وأوراقهم المشوّشة (أي القرآن الكريم) باعتبار أنّه مصدر شرور العالم وآثامه»²، فالقضاء على الإسلام يقتضي بالضرورة القضاء على اللغة العربية.

إنّ محاربة اللغة العربية تستهدف أوّل ما تستهدف استئصال الإسلام، والتّشكيك في مصادره بما في ذلك الفقه والحديث، من أجل إحداث جوّ من الاضطراب الفكريّ والنّفسي في المجتمع الإسلاميّ، وهذا ما ذهب إليه العقّاد حين قال: «الحملة على اللّغة في الأقطار الأخرى هي حملة على لسانها أو على آدابها وثمرات تفكيرها على أبعد الاحتمال، ولكنّ الحملة على لغتنا نحن هي حملة على كلّ شيء يعيننا وعلى كلّ تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية وعلى اللسان والفكر والضمير في ضربة واحدة، لأنّ زوال اللّغة في أكثر الأمم يبقّيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها، ولكنّ زوال اللّغة العربية لا يبقى للعربيّ أو المسلم قواماً يميّزه عن سائر الأقوام، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولا عُرف ولا معرفة ولا إيمان»³.

باتت مخططات وأبعاد هذه الحرب الفكرية واضحة المعالم، بيّنة الأهداف فهي ترمي إلى تمزيق وحدة الأمة العربيّة، التي حملت مشعل الحضارة الإسلامية، وبدا فضلها وتميّزها على سائر

1- خضر، عبد العليم عبد الرحمان، الإعلام الغربيّ والمؤامرة على الإسلام في إفريقيا، ع/1418، 182، ص161-بتصرّف-

2- المرجع نفسه، ص177.

3- العقّاد، عبّاس محمود، أشّات مجتمعات في اللّغة والأدب، ص127.

الأمم ذلك أن «الدَّعوات التي تستهدف هدم الدِّين والأخلاق قد تضلّ جيلاً من الشَّباب، لكنّ الأمل في إنقاذ الجيل القادم يظلّ كبيراً مادام القرآن حيّاً مقروءاً، ومادام الناس يتذوّقون حلاوة أسلوبه، وجمال عباراته، أمّا هذه الدَّعوة الخطيرة فهي ترمي إلى قتل القرآن نفسه-وهيئات- والحكم عليه بأن يصبح أثراً ميتاً..»¹، لذلك فقد اعتمد الغرب أوّل ما اعتمد على محاربة اللّغة العربيّة.

وقد بدا لنا جليّاً أن «تحمّل المستشرقين على الإسلام، فغريزة موروثه وخاصةً طبعية، تقوم على المؤثرات التي خلّفتها الحروب الصليبية، بكلّ ما لها من ذيول في عقول الأوربيين الأوّلين»² ولن تحمد هذه الحرب حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فحقّدهم الدّفين على الإسلام والمسلمين يحجب عنهم نوره وعطاءه، ولا غم لك إلّا أن نقلّوه موتاً يغيظكم³ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ (آل عمران 119).

فأعداء الأُمّة الإسلاميّة يتربّصون بها من كلّ جانب فهم لم ولن يغفلوا عن محاربتها، والكيد لها بشتّى الوسائل والطّرق حتّى وإن كانت تلك الحرب، قد خلعت عنها ثوب المواجهة المسلّحة فهي قد أخذت طابعا فكريّاً مختلفاً، تنفق فيها الأموال الباهظة، وتبذل فيها الجهود الكبيرة، يحاولون ما استطاعوا إظهار الودّ والتّفاهم لكنّنا ندرجهم في قوله تعالى يَقُولُ اتَّقِ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴿البقرة 120﴾.

1- الطّويل، السيّد رزق، اللّسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة، ص17.

2- الدّيب، عبد العظيم، المنهج عند المستشرقين، د.ط، ص345.

فمراوغاتهم كلّها تنصب في هدف واحدٍ وهو القضاء على الإسلام وتحقيق ما لم تستطع الحروب المسلحة تحقيقه دون مواجهة واضحة بيّنة، فهذه الحرب على اللغة العربيّة لغة القرآن الكريم إنّما تهدف إلى:

أوّلاً: القضاء على لغة القرآن، دستور المسلمين، ودليلهم إلى الله سبحانه وتعالى، لمحوه من صدورهم، فلا يحسنوا قراءته، ولا يتمكنوا من فهمه ولا حفظه، فلا يبقى للمسلم دعامة يرتكز عليها، ولا مرجع يعود إليه، ولا قبلة يتّجه نحوها.

ثانياً: عدم فهم التراث العربيّ، لأنّه مدوّن باللغة العربيّة وبالتالي خلق حاجز عميق يحول دون المسلم وتراثه وتوسيع الهوة بينه وبين الأجيال القادمة.

ثالثاً: تشتيت الوحدة العربيّة من خلال قطع العلاقات بين الدّول العربيّة، فاتّخاذ العامية يؤدّي بالضرورة إلى صعوبة فهم كل دولة عامية الدّولة الأخرى، وبالتالي تفرّقهم وتزعزع وحدتهم.

رابعاً: ملأ الفراغ الذي تركه اللغة العربيّة، باتّخاذ المدنية الغربيّة الفاسدة بديلاً عنها، من خلال إحلال لغاتها الأجنبية، ومحاولة فرض سيطرتها.

فغايتهم إذن من هذه الدّعوات والافتراءات هو أن تدرس هذه اللغة المجاهدة في غربّة شديدة على نفوس الناشئة من أهلها فتغدو غريبة في وسطها بين أصحابها ما يستتبعه ضياع وانسلاخ في هوية وثقافة العربيّ المسلم **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ** ﴿٢٩﴾ وَلَوْ

نَشَاءُ لَا زَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْنَاهُمْ بِسِمَتِهِمْ^٤ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ^٥ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴿محمد 29-30﴾.

فلا يقول بقصور اللّغة العربيّة واندثارها إلّا ظنين انطوت سريرته على حقد وغلّ دفينين واجتمع قلبه على سريرة لئيمة وجهل سحيق، ولكن هيهات فهذه اللّغة لن تضعف ولن تخور مادام هناك من يتلو القرآن ويدعو إلى الإسلام والهداية.

إنّ الرّوح الغالب على معظم الدّراسات الاستشراقية للغة العربية، هو روح الكراهية والعداء، والدّس عليها وعلى الثقافة العربية الإسلامية بصفة عامّة، باستثناء قلة من المخلصين دفعتهم غريزة حبّ المعرفة والعلم إلى البحث الموضوعي الهادف.

فقد كان الغرب على يقين تام من أنّ سرّ قوّة المسلمين وعزّتهم يكمن في دينهم، فجعلوا يحملون معاولهم في حنق وقوّة، ويهجمون بها على حصون الإسلام ليقوّضوها، ويزلزلوا ثقة المسلمين بأنفسهم، ويثثوا فيهم الضّعف والوهن، كانت اللّغة العربية من أهم وأبرز هذه الحصون التي حاول الاستشراق اقتحامها والنيل منها من خلال غزو فكري سلطانه - الكلمة - .

وبعد، فإنّ هذا العداء السّافر للّغة العربية المجاهدة، لأنّها روح الأُمّة الإسلامية ومزاجها، فالقضاء عليها، قضاء على روح الأُمّة وإفساده، فحيثما كان الإسلام كانت اللّغة العربية «فمسألة اللّغة العربية هي مسألة الدّين الإسلاميّ بعينه، فإذا فرّط المسلمون في لغتهم الفصحى: لغة القرآن والحديث والشّريعة، أضاعوا دينهم بأقرب ممّا يتطلّب المرسلون المسيحيون منهم»¹، فما بقي لنا نحن العرب إلّا إحدى اثنتين وهي: أن نكون أو لا نكون، كما قال الرّافعيّ: «وهذه الأُمّة الدّينية التي يكون واجبها أن تشرف وتسود وتعتز، يكون واجب هذا الواجب ألا تسقط ولا تخضع ولا تذلل»²، لأنّها خير أُمّة أخرجت للنّاس، أُمّة شرفها الله واصطفّاها فرفع قدرها، أُمّة العزّة والكرامة.

1- الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، ص132.

2- الرّافعيّ، مصطفى صادق، وحي القلم، ج.03، ص31.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصل اللهم على نور الهدى
الناطق بالضاد، وهادي العباد، سيد الخلق محمد عليه الصلاة والسلام وعلى أصحابه الأبرار الذين
كانوا للحق أفضل منار.

وبعد :

كانت اللغة العربية ولا تزال وثيقة الأواصر بهوية الأمة ووجودها إنها الروح العربية الأصيلة
التي تأبى الركون إلى المساعي المزيفة لجوهرها، وباتت طبيعة الصراع القائم حولها واضحة جلية
وترتب عن البحث بعض النتائج:

- 1 علاقة العربية المتينة بالقرآن الكريم فهما صنوان لا يفرقان
- 2 تتمتع اللغة العربية بخصائص فريدة لا تجاريتها فيها لغة أخرى، فهي اللغة العالمية ثابتة في
أصولها وجذورها.
- 3 تحتل العربية مكانة مرموقة بين اللغات جميعها، وقد شهد لها بذلك أعداؤها فضلا عن
أبنائها.
- 4 اعترف جمع من المستشرقين بأهمية ومكانة وجمال اللغة العربية فهي التي نقلت الحضارة إلى
أروبا في عصورها المظلمة.
- 5 لم تكن دواعي اهتمام المستشرقين بالعربية بريئة فقد حملت في طياتها التنصير والاستعمار
إلا القلة القليلة التي اهتمت بالجانب العلمي الخالص.
- 6 بيان حقيقة هؤلاء الأعداء ووضوح نواياهم الخفية المحطمة للوحدة العربية والبعيدة عن
هدف الإصلاح اللغوي كل البعد فهي تستهدف أول ما تستهدف تمزيق الوحدة العربية.
- 7 ركز أعداء الإسلام على لغته لأنهم يدركون تماما مكانة اللغة وأهميتها.

8 - ختساءل دائما لماذا لا يهاجم هؤلاء الأعداء لغة أخرى غير العربية ولكإنها اللغة الوحيدة في العالم التي تستحق كل هذه الحملات؟ والجواب الأكيد والمحسوم بالنسبة إلينا هو ارتباطها العميق بالإسلام فهي لغة القرآن لغة الكتاب والسنة.

9 - الاتهامات التي وجهت للعربية من تعقيدها وصعوبة نحوها وكذا خطها ما هي إلا دعوات هدامة ترمي لبغض اللغة وتقليص مجالات استعمالها.

10 - إن هذه الضربة تستهدف تحطيم المسلم من داخله، من أعماق أعماقه، تضربه في لسانه ووجدانه، وإذا ما تم لها النجاح والتفوق فإنها لن تبقى ولن تذر.

11 - بثّ روح التّحاذل والتّهاون الدّيني والتشكيك بالتاريخ العربي واللغة وافتعال الأزمات اللّغوية.

12 - إن اقتران العربية بأهم الثوابت الروحية للأمة العربية التي تتمثل في الدين الإسلامي يجعل الموقف الاستشراقي منها لا يعد وأن يكون موقفا من الإسلام في حد ذاته.

13 - إن أعداء الإسلام يطمعون في غزو المدينة العربية أفكار المسلمين وأرواحهم وهو المسعى الجوهري وراء جهودهم

14 - تكمن جهود المستشرقين في محاولة اقتلاع الأمة العربية الإسلامية من جذورها بالمساس بثوابتها في أعماقها.

15 - لقد كانت حيل المستشرقين مأكرة استطاعت من خلالها كسب ثقة العرب والتسلل إلى الجامعات اللّغوية ونشر أفكارهم ومسامعهم.

16 - تأثير المستشرقين البالغ على بعض الدارسين والنقاد العرب الذين ما انفكوا يرددون أفكارهم ومزاعمهم وفي المقابل فمضة وهبة لمفكرين عرب هبوا لنصرة الإسلام والتمكين للعربية والرد على الفريق الأول.

17 - يمكن تلخيص أهداف وأبعاد الحركة الاستشراقية في ترسيخ الشعبية للغرب، وخلق نوازع الاستسلام لقيمه والانقياد له كونه المخلص من أضرار التخلف والتدهور.

18 - واجبنا نحو لغتنا الأم لغة الدين والحضارة والتراث والتاريخ.

19 - أثر القرآن البارز في التمكين للغة العربية وتحسينها.

وختاماً فإن اللغة العربية هي التي وسعت وحي الله تعالى وخلّدت حكمة الفطرة وجرت بالشعر والفن وحوّت سرّ البيان وجلّت مكنونات الفكر فخدمت العلم وسجلت التاريخ وأشادت الحضارة العربية الإسلامية ووضعت معالم التشريع وسارت بركب الإنسانية إلى المجد والخلود.

أما الاقتراحات فهي الاستفاضة في الموضوع والتعمق فيه بالبحث عن جماليات اللغة العربية ومكنوناتها ومحاولة إدراك البعد الاستشراقي وما يمثله من غزو فكري من أجل مواجهته ومجاботه والكف من توغله وسيطرته على العالم الإسلامي.

وبعد فهذا مبلغ جهدي ومنتهى رجائي أن أكون قد وفقت في الوقوف على أهم نقاط هذا البحث وأسأل الله الجليل أن يسدّد خطانا ويوفّقنا لما فيه الخير والصلاح فله سبحانه الحمد في الأولى والآخرة، هو أهل التقوى وأهل المغفرة وصل اللهم على نبينا محمد الأمين صلاة دائمة أبد الآبدين.

والله ولي التوفيق

192	02	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾
190	61	﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾
168	93	﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾
180	120	﴿ وَلَن رَّضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ ﴾
252	124	﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾
48	138	﴿ صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَن أَحْسَنُ مِمَّنِ اللَّهُ صَبَّغَهُ وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴾
171	07	﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ تُّحْكِمُكُم هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَىٰ مُّتَشَابِهَاتٌ ﴾
252	119	﴿ قُلْ مُّوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾
171	11	﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنِ ﴾
163	82	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾
174		
28	15	﴿ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾
245		
210	57	﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الذِّبِّ أَوْلِيَ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾
154	64	﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾
168	54	﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ
28	59	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾
195	153	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾

		﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرِكْهُ يَلْهَثَ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾
168	175 – 178	
169	30	﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾
48	3	﴿ أَنْ اللَّهَ بِرِئْءِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾
99	32	﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُّورَهُ ۚ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾
28	61	﴿ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾
173	69	﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾
28	06	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾
173	18	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾
80	24	﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبَرِ ۚ وَالْبَصِيرُ وَالسَّمِيعُ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾
28	01	﴿ الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾
26	02	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾
27	37	﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَرَبِيًّا ﴾

174	01	﴿الرَّكَتَدُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾
25		﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾
28	04	
42		
146	46	﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾
31		
34		
66	09	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾
130		
215		
200	43	﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
25		﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾
28	103	
155	81	﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾
168	82	﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾
27	88	﴿قُلْ لِّينِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾
167	108 - 105	﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾
167	01	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾

168	97	﴿ فَأَنمَّا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا ﴾
27 41	113	﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾
65	18	﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾
182	40	﴿ وَمَنْ لَّنَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴾
28	02	﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾
26	193 – 195	﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٤﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٥﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾
28	01	﴿ طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ﴾
132 170	14	﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾
107	34	﴿ قَالَتِ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾
28	75	﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾
28	02	﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾
28	03	﴿ لَا يَغْرِبُ عَنْهُ مُثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

48 137	28	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾
167	69	﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ ﴾
6	23	﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾
26	28	﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾
168	53	﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾
68	69	﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾
26	3	﴿ كَتَبْتُ فَصَّلَتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾
26	42	﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾
26	44	﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ ﴾
27	7	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾
28	02	﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾
26	03	﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾
28	02	﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾

27	12	﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾
253	30 – 29	﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَفَهُم ۖ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعْرِفَنَّهُمْ ۖ بَئِيسَ مَا كَتَبُوا بِتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾
59	4 – 3	﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٢﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾
171	21	﴿ لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ ﴾
47	37	﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾
167	19 – 16	﴿ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۖ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۚ ﴿١٩﴾ ﴾

« .. ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»

9

رواه الترمذي (2907)

«..وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة وبُعث إلى الناس عامّة»

30

رواه البخاري في صحيحه كتاب: التيمم، رقم 335، ومسلم في صحيحه،
كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم 521، والنسائي في سنن، متاب الغسل
والتيمم باب التيمم بالصعيد، رقم 432

«تركت فيكم شيئين لن تضلّوا بعدهما: كتاب الله وسنتي»

99

الحسيني، عبد الله بن محمد بن الصديق، الكثر الثمين في أحاديث النبي الأمين، عالم
الكتب، بيروت، ط.02، 1403هـ/1983م، رقم الحديث 1427

133/127/125	W. Spitta سبيتا
203/149/145	
138/127	Karl Vollers كارل فولرز
86/75/64	Sigrid Hunke زيغريد هونكه
234/233/150	Wolfdietrich Fischer فولف ديتريش فيشر
225/37/21	Carl Brockelmann كارل بروكلمان
149	Henry Fleche هيري فليش
161/151/50/36	Nodleke, TR نولدكه
149/101/96/82/47	Fuck, J فوك يوهان
162/155/152	
117/116	De Sacy S. البارون دي ساسي
151	Bergstrasser برجشتراسر
179/130/129	William Willcocks ويلكوكس
195/180	
230/225/81	Blachere بلاشير
231	Hamilton Alexander Roskeen Gibb جب هاملتون
237/230/228	Nallino, C, A كارلو ألفونسو نلينو
240/236/36	Germanus, J عبد الكريم جرمانوس
241	A. Guillaume ألفرد جيوم
117	جان شارل زكار
102	Raymond Lulle رايموند لولوس
102/92	Roger Bacon روجر بيكون

-القرآن الكريم - رواية حفص عن عاصم -

-الحديث الشريف

المصادر والمراجع:

❖ الأبراشي، محمد عطية، لغة العرب وكيف ننهض بها، دار الكتاب العربي، مصر، ط. 1، 1366هـ/1947م.

❖ إبراهيم، الحاج يوسف، دور مجامع اللغة العربية في التعريب، منشورات كلية الدّعوة الإسلامية، طرابلس، ط. 1، 2002.

❖ الإبراهيمي، أحمد طالب:

■ آثار الإمام محمدّ البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ج. 1، (1929-1940)، ط. 1، 1997.

■ آثار البشير الإبراهيمي، ج. 5، 1954 - 1964 دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 1997.

❖ ابن جني، أبو الفتح عثمان:

■ الخصائص، تح: محمد علي النّجار، ج. 1، دار الكتب المصريّة، د. ط.

■ الخصائص، تح، النجار محمد علي، ج. 3، دار الكتب المصرية.

■ المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج. 2، القاهرة، 1414هـ/1994م.

❖ ابن سعيد، موسى، اللغة العربية بين الحفاظ على الهوية ومواكبة عصر العولمة، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر.

-
- ❖ ابن شنب، محمّد، سلسلة محاضرات الملتقى الدّولي محمّد بن شنب والاستشراق المنظّم بولاية المديّة من 07 إلى 10 ديسمبر 2014، شيكو للطباعة والنّشر، الجزائر، 2015.
- ❖ ابن فارس، أحمد بن زكريا أبو الحسين، الصّاحبيّ في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط.1، 1418 هـ/1997 م.
- ❖ ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم، تح. خالد رشيد، لسان العرب، دار الصّبح، ج12، بيروت، لبنان، ط.1، 01، 2006/1427 م.
- ❖ أحمد بن نعمان، مصير وحدة الجزائر بين أمانة الشّهداء وخيانة الخفراء!؟ شركة دار الأمة، ط.1، 2005.
- ❖ أحمد نصري، آراء المستشرقين الفرنسيّين في القرآن الكريم.
- ❖ أمين عثمان، فلسفة اللغة العربيّة، محاضرات للتعرف على الفكر الإسلاميّ، قسنطينة، العدد. 4، 1390 هـ/1970 م.
- ❖ أنيس فريجة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجليل، بيروت، ط.1، 1409 هـ/1989 م.
- ❖ أوزون زكريا، جناية سيويّه، الرّفص التام لما في النحو من أوهام، رياض الريس للكتب والنشر، ط.1، 2002.
- ❖ الباتلي، أحمد بن عبد الله، أهميّة اللغة العربيّة ومناقشة دعوة صعوبة النّحو، تق، القرني عائص بن عبد الله، دار الوطن للنّشر، ط.1، 1412 هـ.
- ❖ بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط.3، 1993.
- ❖ برجشتراسر، التطوّر النحوي للغة العربيّة، صح: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1414 هـ/1994 م.

❖ بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله: النجار عبد الحليم، ج. 1، دار المعارف، القاهرة، ط. 5.

❖ بصري أحمد، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم-دراسة نقدية- دار القلم للطباعة والنشر، ط. 1، 2009، الرباط.

❖ بن رسلان أبو عبد الله محمد سعيد، فضل العربية.

❖ البنعلّي، تركي بن مبارك بن عبد الله، العتاب لمن تكلم بغير لغة الكتاب ، تق: زهير الشاويش، د.ط، 1430هـ.

❖ بيومي، سعيد أحمد، أم اللغات، دراسة في خصائص اللغة العربيّة والنّهوض بها، www.Kotobarabia.com، ط. 01، 1423 هـ/ 2002 م.

❖ التّريّ إبراهيم، التّراث الجمعيّ في خمسة وسبعين عاما، أكمله وراجعته: سميرة صادق شعلان، جمال عبد الحيّ أحمد، خالد محمد مصطفى، إشراف، كمال بشر، 1428هـ/ 2007م، د.ط.

❖ التّميمي، ثابت الخطيب، في موكب اللغة الخالدة، عمّان، دار الفاروق، ط. 1، 1429هـ/ 2008م.

❖ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، فقه اللغة وأسرار العربية، المكتبة العصرية، ط. 2، 1420هـ/ 2000م.

❖ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح. عبد السلام هارون، ج. 3، ط. 07، 1418هـ/ 1998م.

❖ الجبري، عبد المتعال محمد، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مطبعة المدني، القاهرة، ط. 1، 1416هـ/ 1995م.

❖ الجبوري، عبد الله، المجمع العلمي العراقي، نشأته، أعضاؤه أعماله، مطبعة العافي، بغداد، 1385هـ/1965م.

❖ الجرجاني، عبد القادر، دلائل الإعجاز، مطبعة المنار، د.ط، د.ت.

❖ الجندي، أنور:

■ أخطاء المنهج العربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب، والاجتماع، الموسوعة الإسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني: ط.1، 1974م.

■ الإسلام في عين الخطر، مركز الإسلام العربي، ط.1، 1434هـ/2013م.

■ التبشير والاستشراق والدّعوات الهدامة، موسوعة مقدّمات العلوم والمناهج محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل، دار الأنصار، القاهرة، المجلد: 05، د.ط، د.ت.

■ شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق، د.ط، 1397هـ/1978.

■ الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، 1402هـ/1982م.

■ معالم الفكر العربي المعاصر، مطبعة الرسالة، د.ط.

❖ جوراني ألبرت، الإسلام في الفكر الأوروبي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، د.ط.

❖ الجوزي، ابن القيم، الفوائد، دار الكتاب الحديث، د.ط، 1433هـ/2012م.

❖ جوزيف شاخت وكليفورد بوزورت، تراث الإسلام، ج.1.

❖ الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ج.1، دار المدار الإسلامي، ط.1، 2002.

❖ الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي الدمشقي:

■ تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، ج. 1، الفاتحة، البقرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. 1، 1997، ط. 2، 1999.

■ تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، ج. 2، الفاتحة، البقرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. 1، 1997، ط. 2، 1999.

❖ حسن محمد، خليفة، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط. 01، 1997م.

❖ حسين حسن، الاشتقاق في اللغة العربية، مجلة المنطق (فكرية إسلامية)، محور اللغة العربية وتحديات العصر، العدد (78 و 79)، 1411هـ/1991م، لبنان.

❖ حسين علي أحمد، وسائل الغزو الفكري الاستشراقي في دراسة التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل، كلية العلوم الإسلامية، قسم الشريعة، مجلة جامعة تكريت، المجلد 19، العدد 04، نيسان.

❖ حسين محمد محمد:

■ أزمة العصر، الطباعة والنشر.

■ حسين محمد محمد، الإسلام والحضارة الغربية، دار الفرقان، د. ط.

❖ حسين، آصف، صراع الغرب مع الإسلام، استعراض للعداء التقليدي للإسلام في الغرب، تر: مازن مطبقاني، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط. 1، 1434هـ.

❖ حمدان نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجميون، مكتبة الصديق المملكة العربية السعودية، ط. 01، 1408هـ/1988م.

❖ حمدي محمود عبد المطلب، سائح في رياض الفصحى، بحث لغويّ يقوم اللسان العربيّ فيصوّب الأخطاء اللغوية التي شاعت بين الناس، دار الطلائع، القاهرة، 2005.

❖ خفاجي، محمد عبد المنعم، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ط. 1، 1412هـ/1992م.

❖ خليل عماد الدين، نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله، دار النفائس، لبنان، 1420هـ/1999م.

❖ داغر، أسعد، حضارة العرب، تاريخهم، علومهم، آدابهم، أخلاقهم، عاداتهم، مطبعة هندية بالموسكي بمصر، 1336هـ/1918م، د.ط.

❖ الدّيب، عبد العظيم، المنهج عند المستشرقين، د.ط.

❖ الرّافعي، مصطفى صادق:

■ تاريخ آداب العرب، ج. 1، مكتبة الإيمان، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط. 1، 1421هـ/2000م.

■ تاريخ آداب العرب، ج. 2، مكتبة الإيمان، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط. 1، 1421هـ/2000م.

■ تاريخ آداب العرب، ج. 3، مكتبة الإيمان، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط. 1، 1421هـ/2000م.

■ تحت راية القرآن- المعركة بين القدم والجديد- المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1423هـ/2002م.

■ وحي القلم، المكتبة العصرية، د.ط، ج. 3، 2002.

❖ رضا أحمد، معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، مجلد 03، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1378هـ/1959م.

❖ روى، سي. هجمان، اللغة والحياة والطبيعة البشرية، ترجمة وتقديم: داوود أحمد السيد، عالم الكتب، القاهرة، ط.2، 2000.

❖ الزجاجي، أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط.3، 1399هـ/1979م.

❖ الزرقاوي، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 2، دار الكتاب العربي، ط.1، 1415هـ/1995م.

❖ زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، د.ط.

❖ زكريا سعيد، نفوسة، تاريخ الدعوة إلى العامة وآثارها في مصر ، دار النشر والثقافة، الإسكندرية، ط.1، 1383هـ/1964م.

❖ السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون (ماهم وما عليهم)، دار الوراق، د.ط، د.ت.

❖ سري طارق، المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، مكتبة النافذة، ط.1، 2006.

❖ سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 4، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 1996.

❖ سعيد ادوارد، الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط.6، 2003.

❖ سلامة موسى:

■ البلاغة العصرية واللغة العربية، هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط.

■ اليوم والغد، سلامة موسى للنشر والتوزيع، ط.1، 1928م.

■ أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د.ط.

❖ سمائلوفتش، أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د.ط، 2001.

❖ السيد محمود، التمكن للغة العربية: آفاق وحلول، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 83، ج.2.

❖ الشافعي، المطلبى محمد بن ادريس، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، ط.1، 1357هـ/1938م.

❖ شاكر محمود، أباطيل و أسمار، مكتبة الخانجي، القاهرة، الجزء 1 و2، ط.3، 2005.

❖ شاهين، عبد الصبور، عربية القرآن، مكتبة الشباب، د.ط، 2009.

❖ الشرقاوي، محمود، الإسلام وأشدّه في الثقافة العالمية، رابطة العالم الإسلامي، ربيع الآخر 1416هـ، ع.160.

❖ شوق، شاكر عالم، ترجمة معاني القرآن الكريم ودور المستشرقين فيها، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاغونغ، المجلد 04، ديسمبر 2007م.

❖ شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية في خمسين عاما 1934 – 1984م.

❖ الصاحبي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، في فقه اللغة العربية ومساثلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، 1418هـ/1997م.

❖ صالح بلعيد، مقالات لغوية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2004.

❖ الصاوي، محمد سعيد إسماعيل، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية.

❖ الصيادي محمد منحي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية.

❖ طعيمة صابر، أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي، بحوث حول العقائد الوافدة، عالم الكتب، د.ط.

❖ الطّناجي، محمود محمّد، في اللغة والأدب دراسات وبحوث، المجلّد الثّاني، دار الغرب الإسلاميّ، ط.1، 2002.

❖ الطّويل، السيّد رزق، اللّسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة، دعوة الحقّ، العدد. 60، 1407هـ/1986 م.

❖ عبد التّواب، رمضان:

■ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الخانجي، ط.3، 1417 هـ/1997 م.

■ فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 06، 1420هـ/1999 م.

■ بحوث ومقالات في اللغة، الخانجي - الرفاعي، ط.1، 1403هـ/1982 م.

❖ عبد الحميد بن باديس، آثار الإمام، مطبوعات وزارة الشؤون الدّينية، ج.6، ط.1، 1415هـ/1994 م.

❖ عبد الرحيم عبد الجليل، لغة القرآن الكريم، مكتبة الرّسالة الحديثة، ط.1، 1401هـ/1981 م.

❖ عبد العليم مصطفى أحمد، خصائص العربيّة بين القديم والحديث، د.ط، د.س.

❖ عبد المحسن عبد الرّاضي محمّد، الغارة التّنصيرية على أصالة القرآن الكريم، د.ط، د.س.

❖ عبد المحسن عبد الرّاضي محمّد، ماذا يريد الغرب من القرآن، مجلة البيان، الرّياض، ط. 1، 1427هـ/2006 م.

❖ عدنان محمد وزان، الاستشراق والمستشرقون، وجهة نظر، د.ط.

❖ العربي، حامد كمال عبد الله حسين، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، دار المعالي، ط. 1، 1466هـ/2002 م.

❖ عطار، أحمد عبد الغفور، الزحف على لغة القرآن، بيروت 1385هـ/1965 م، ط.1.

❖ عفيفي، فوزي سالم، جامع الخط العربي، تح، ناجي هلال.

❖ عفيفي، أحمد، اللغة وصراع الحضارات، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د.ط، د.س

❖ العقاد، عباس محمود:

■ اثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار النهضة، مصر، طبعة خاصة، 1998.

■ أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف، القاهرة، ط.06، د.ت.

■ اللغة الشاعرة، نخضة مصر، د.ط، 1995.

❖ العقيلي نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ج.03، ط.4، د.ت.

❖ عللوه، محمد، الغزو الفكري والرد على افتراءات المستشرقين، دار الأقصى، دمشق، ط. 1، 2002.

❖ علي عبد الواحد، وافي:

■ فقه اللغة، نخضة مصر، ط.03، 2004.

■ اللغة والمجتمع، دار عكاظ، ط. 1403، 4 هـ / 1983م.

❖ عمارة، محمد، جمال الدين الأفغاني موقف الشرق وفيلسوف الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط.2، 408 هـ / 1988م.

❖ عمارة إسماعيل أحمد:

■ المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات العربية، عمان، دار حنين، ط. 2، 1992م / 1412هـ.

■ المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، دار البشير، الأردن، ط.1، 1417هـ / 1996م.

■ المستشرقون والمناهج اللغوية، دار حنين، عمان، ط.2، 1992م.

■ بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير، الأردن، ط.1، 1417هـ/1996م.

■ المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الإستشراقية، دار

حنين، ط.2، 1412هـ/1992م.

❖ عمر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن.

❖ عميرة عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، دار الجيل،

بيروت، د.ط.

❖ العناني علي، محرز ليون، الأبراشي محمد عطية، كتاب الأساس في الأمم السامية ولغاتها وقواعد

اللغة العبرية وآدابها، المطبعة الأميرية، ط.1، 1354هـ/1935م.

❖ عوض، لويس، دراسات أدبية، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط.1، 1989م.

❖ عوض، إبراهيم، دفاع عن النحو والفصحى، الدعوة إلى العامية تطل برأسها من جديد، شبكة

الألوكة، مكتبة زهراء الشرق، د.ط.

❖ عيسى، بريهمات، الترجمة والتأويل، المجلة الحامعية، المركز الجامعي، الأغواط، العدد 01، ماي

2003م، المجلد.03.

❖ العيسى سالم، الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط،

1999م.

❖ فتاوى كبار الكتاب والأدباء، تقديم: بنكراد سعيد، مستقبل اللغة العربية، نخضة الشرق العربي

وموقفه إزاء المدنية الغربية، وزارة الثقافة والفنون، قطر، 2013.

❖ فليش هنري، العربية الفصحى، دراسة في البناء اللغوي، تح: شاهين عبد الصبور، مكتبة

الشباب، د.ط.

❖ فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، القاهرة، 1950م، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط.

❖ فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، القرون الإسلامية الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، ط.1، لبنان، 1998م.

❖ فوك يوهان:

■ الدراسات العربية حتى مطلع القرن العشرين، نق: سعيد حسين بحيري، محسن الدمرdash، زهراء الشرق القاهرة ط.1، 2006.

■ العربية دراسات في اللغة والأساليب، تر: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخاجي، مصر، 1400هـ/1980م.

■ تاريخ حركة الاستشراق، الدّراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، نقله عن العربية، عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط.1، 2001.

❖ فولفديتريش فيشر، الأساس في فقه اللغة العربية، تر: بحيري سعيد حسن، المختار، للنّشر، القاهرة، ط.1، 1422هـ/2002م، ص 126

❖ الفيصل، سمر روعي، قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، د.ط، د.س، دار النشر.

❖ قميحة جابر، أعداء الإسلام ووسائل التضليل والتّدمير، دار التّوزيع والنّشر الإسلامي، مصر، ط.1، 1423هـ/2002م.

❖ لطيمات غازي مختار، في علم اللغة، دار طلاس، ط.2، 2000.

❖ لوبون، غوستاف، حضارة العرب، تر. عادل زعتر، هنداوي، د،ط، د،س.

❖ مجمع فؤاد الأول للغة العربية، مؤتمر المجمع سنة 1944، تيسير الكتابة العربية، مطبعة الأميرية بالقاهرة، 1946.

❖ مجموعة من الكتاب، أبحاث عربية في الكتاب التكريمي للمستشرق الألماني فولفديتريش فيشر.

❖ محاسن بنت أحمد بن محمود مولوي قربان، آراء محمود شاكر وجهوده اللغوية، جامعة أم

القرى، 1430/1429هـ.

❖ محمد إسماعيل علي، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، الكلمة للنشر والتوزيع، ط. 1،

1421هـ/2000م.

❖ محمد الخضر حسين، في العربية وتاريخها، المكتب الإسلامي، مكتبة دار الفتح، دمشق، ط. 02،

1380هـ/1960م.

❖ محمد أمين حسن محمد بني عامر، المستشرقون والقرآن الكريم، دار الأمل، الأردن، ط. 01،

2004م.

❖ محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، دار الفرقان.

❖ محمود شاكر، أباطيل وأسمار، ج(21) في مجلد واحد، مكتبة الخانجي، ط. 3، 2005.

❖ المطغي، عبد العظيم إبراهيم محمد، افتراءات المستشرقين على الإسلام، عرض...ونقد، مكتبة

وهبة، القاهرة، ط. 01، 1413هـ/1992م.

❖ معالقي، منذر، الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، ط. 1، 1418هـ/1997م.

❖ المعتوق أحمد محمد، الحصيلة اللغوية، أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها، عالم المعرفة، د. ط.

❖ منصور، خيرى، الاستشراق والوعي السالب، د. ط، د. ت

❖ موسوعة تراث الخط العربي، تح: هلال ناجي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، مصر،

ط. 1، 2002.

❖ المؤلفون، خفاجي محمد، الأدب الإسلامي - المفهوم والقضية، دار الجيل، ط. 1،

1412هـ/1992م.

❖ الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير، الاستشراق، الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق، ط.8، 1420-2000.

❖ نجح فاطمة هدى، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان، لبنان، ط.1، 1413هـ/1993م.

❖ الندوي، السيد أبي الحسن الحسيني، مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقون، إعداد سيد عبد الماجد الخوري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط.01، 1423هـ/2002م.

❖ النشواتي، محمد نبيل، الإسلام يتصدى للغرب الملحد، دار القلم، دمشق، ط.01، 1431هـ/2010م.

❖ هلال، عبد الغفار حامد، أصل العرب ولغتهم من الحقائق والأباطيل، دار الفكر العربي، القاهرة، 1417هـ/1996م.

❖ هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط.5، 1401هـ/1981م.

❖ الوزان، عدنان، موقف المستشرقين من القرآن الكريم.

المجلات والدوريات:

- ❖ البحرة، نصر الدين، لغة الضاد في معاركها مع العامية.
- ❖ الجندي، أنور، عالمية الإسلام، مجلّة اقرأ، دار المعارف، القاهرة، تصدر كلّ شهر.
- ❖ الجندي، أنور، عطاء الإسلام الحضاري، دعوة الحق، رجب 1416هـ، العدد. 163، السّنة الرابعة عشر.
- ❖ الجندي، أنور، أحاديث إلى الشباب (عن العقيدة والنفس والحياة) في ضوء الإسلام، دراسات في الإسلام، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الدّينية، العدد: 165، 1394هـ/1974م.
- ❖ خضر عبد العليم عبد الرّحمان، الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في إفريقيا ع/ 182، 1418هـ.
- ❖ خلّاطي، محمد مزعل، اللغة العربية المعاصرة بين الطموح والتّحدي، مجلّة كلية التربية، جامعة واسط، قسم اللغة العربية، العدد الثاني عشر.
- ❖ خليف، عبد الرحمان، اللسان العربيّ بين الانتشار والانحسار، رابطة العالم العربي، عدد. 101، 1410هـ/1990م.
- ❖ زيدان أشرف محمد، مكانة اللغة العربية في ضوء تلازمها بالقرآن الكريم، جامعة ملایا، ماليزيا، مجلّة مداد الآداب، العدد. 01.
- ❖ عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، ج. 3، ط. 1، 1997.
- ❖ قاسم مولود، اللغة والشخصية في حياة الأمم، مجلّة الأصالة، قسنطينة، العدد: (17-18)، 1394هـ/1974م.
- ❖ مجلّة اللّسان العربي، الرّباط، العدد. 01، صقر 1384هـ/1964م.

❖ المشرق، مجلة كاثوليكية، تحوي مباحث علمية دينية وفنيّة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،
1898م، ج.1

❖ الندوي، عبد الله عبّاس، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطوّر فهمه عند الغرب، دعوة الحقّ،
رابطة العالم الإسلامي، جمادى الآخرة، 1417هـ/العدد، 174، السّنة الخامسة عشر.

الدّواوين والمتون:

- ❖ إبراهيم، حافظ، ديوان، ج.1، د.ط، د.ت.
- ❖ ابن أبي بكر المقرئ، ديوان، مطبعة نخبة، 1305هـ.
- ❖ حسّان بن ثابت، ديوان، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.2، 1414هـ/1994م.
- ❖ الرافعي، مصطفى صادق:
- الدّيان، شرحه محمد كامل الرافعي، الإسكندرية، د.ط، 1323هـ، ج.01.
- الدّيان، شرحه: محمد كامل الرافعي، الإسكندرية، د.ط، 1323هـ، ج.02.
- ❖ العربي، حامد كمال عبد الله حسين، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، دار المعالي، ط.1، 1466هـ/2002م.
- ❖ العمريطي، شرف الدين يحيى، متن الدّرة البهية، نظم الأجرومية، دار عمر بن الخطاب، مصر، ط.1، 1422هـ/2007م.

شكر

إهداء

مقدمة.....أ

مدخل.....6

الفصل الأول: مكانة اللغة العربية في وسطها التداولي

المبحث الأول: تجليات اللغة على الفرد والمجتمع.....10

المبحث الثاني: اللغة العربية في البيئة الجاهلية.....19

المبحث الثالث: القرآن عنوان الثبات والبقاء.....25

المبحث الرابع: أثر القرآن وفضله على اللغة العربية.....33

3 - من منظور الثقافة العربية الإسلامية.....33

4 - من المنظور الاستشراقي.....36

المبحث الخامس: خصائص العربية ومكانتها بين اللغات.....43

3 - قدم اللغة العربية.....43

4 - النحو.....45

سعة المفردات.....49

الخط العربي.....52

مكانتها.....58

3 - من منظور الثقافة العربية الإسلامية.....58

4 - من منظور استشراقي.....62

الفصل الثاني: طبيعة الفهم الاستشراقي للغة العربية

مفهوم الاستشراق.....68

لمحة حول نشأة الاستشراق.....71

المبحث الأول: نظرة المستشرقين للغة العربية.....73

مفهوم الصراع اللغوي.....77

79	المبحث الثاني: دواعي اهتمام المستشرقين باللغة العربية.....
80	5 -الدواعي الحضارية.....
87	6 -الدواعي العلميّة.....
96	7 -الدواعي التنصيرية.....
106	8 -الدواعي الاستعمارية.....
111	محاربة الاستعمار الفرنسي للعربية في الجزائر: -أنموذجا-.....
123	المبحث الثالث: معارك المستشرقين مع اللغة العربية.....
123	5 -الدعوة إلى العامية.....
135	6 -دعوى صعوبة النحو.....
140	7 -مزاعم إصلاح الخط العربي.....
143	8 -إنشاء المجلات.....
148	المبحث الرابع: رؤى استشراقية منصفة.....
158	المبحث الخامس: ترجمة المستشرقين للقرآن الكريم: أساليهم وأهدافهم.....
170	منهج الغرب في ترجمة القرآن الكريم.....

الفصل الثالث: آثار الحركة الاستشراقية وأبعادها

177	المبحث الأول: انعكاسات دعوات المستشرقين الغرب على المثقفين العرب.....
179	4 -الدعوة إلى العامية.....
179	1/سلامة موسى.....
183	2/لويس عوض.....
187	3/أنيس فريجة.....
190	4/أحمد لطفي السيد.....
193	5/سعيد عقل.....
195	6/عيسى اسكندر المعلوف.....
197	3 -دعوى تيسير النحو.....

أ -الفريق الأول	197
ب -الفريق الثاني.....	198
4 -إصلاح الخط العربي.....	201
ت اقتراح عبد العزيز فهمي.....	201
ث من نتائج استعمال الحروف اللاتينية.....	209
5 -وعي المخلصين العرب.....	215
المبحث الثاني: نفوذ المستشرقين إلى المجامع اللغوية العربية.....	222
2 -المجمع العلمي بدمشق.....	223
4 -المجمع العلمي بالقاهرة.....	234
5 -المجمع العلمي العراقي.....	239
المبحث الثالث: أبعاد الحركة الاستشراقية.....	245
خاتمة.....	256

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس لتراجم أهم الأعلام

مكتبة البحث

فهرس المحتويات

ملخص

تعرضت اللغة العربية لمحاولات الغزو والتغريب التي قاومها حركة اليقظة، وتحاول هذا البحث الكشف عن المخططات الاستشراقية التي استهدفت اللغة العربية، بالإساءة إليها، وتشويه صورتها، من أجل تقويض المجمع الإسلامي مبرزاً المحاولات التي قامت لها الدعوات المختلفة القديمة والمنجددة، وميناً طريقة وطبيعة دراسة المستشرقين للغة العربية وخصائصها مع الرد على افتراءاتهم وأباطيلهم، وبقي صوت الاعتدال والإنصاف خفيضاً أسيراً لأهوائهم كما يشخص البحث الحالة التي وصلت إليها ثقافتنا اليوم حيث تعاني مخططات عدائية على قيمها وأهدافها ومسيرتها وهويتها محاولاً تتبع مسار هذه المؤامرة وأبعادها وآثارها .

تجني، محاولة هذا البحث ردّة فعل طبيعية على قوى الغزو ورفع الغشاوة، ومنازلة هذه الإستراتيجية الفكرية، ولنخلص إلى استنتاج أكيد يتمثل في أن أنماط الفكر وأساليب العمل هي التي فرضت هذا النوع من الصراع.

Résumé

La langue Arabe a été exposé tout le temps à des tentations d'invasion et d'occidentalisme qui ont été combattu par le mouvement de vigilance donc cette recherche essaye à découvrir les stratégies des orientalistes qui visent à briser la langue Arabe et défigure son image ainsi que l'image de la société musulmane en générale en démontrant la méthode et la nature des études orientalismes de la langue Arabe et de leur caractéristiques en démentant les mensonges des orientalistes car la voix d'équité est restée basse selon leurs désirs.

Cette recherche aussi diagnostique l'état de notre culture d'aujourd'hui qui souffre des tentatives d'évangélisation sur leurs valeurs, leurs objectifs, son identité et son parcours en essayant de suivre (son) le chemin de cette conjuration, leurs objectifs et leurs effets.

Alors cette recherche est une réaction naturelle sur les forces de cette invasion pour enlever le voile et combattre cette stratégie intellectuelle contre l'Islam et la langue Arabe, cette stratégie qui a fait des mains et des pieds pour éteindre la lumière de l'Islam.

En conclusion on voit que les types de pensées et les méthodes de travail ont exigé ce genre de conflit.